

آية عبد الفتاح

الواصة الملعونة

مع أول صرخة يطلقها الوليد معلنا مجيئه إلى هذا
العالم الواسع ، يبدأ سباق مع الحياة لأسباب عدة ،
للدراة للنجاح ، للعمل للمال ، للحياة نفسها ،
و أثناء السباق ، هل سأل نفسه لماذا أطلق أول
صرخة ؟ لماذا وطئت قدماه على هذه الأرض ؟ لماذا
جاء إلى هذا العالم أصلا ؟

قد يقول للعبادة و لتعمير الأرض ، و لكن تعمير
الأرض مجالا واسع ، لذلك خلق الله الانسان لمهمة
محددة عليه تأديتها ، هناك من يعيش عمره كله يبحث
عنها ، و هناك من يعرفها مبكرا ، لكن الله يتركه
يختار هل سيؤديها على أكمل وجه أم يتخلى عنها ،

منا من يظن أنه يسير في الدرب الصحيح و لكن أقداره
ترسم له طريق آخر فيحزن وينهار ، و يتخلى عن
دربه ، و آخر يغير دربه مع الأقدار و يرضى بها ،
يسعى للوصول لنهاية الطريق

فهل ستتخلى عنه ؟ هل ستتقم على قدرك و تنهار و
تستسلم للعثرات و الظروف ، أم ترضى و تكمل
الطريق الذي رسمه القدر لك ؟

الفصل الاول

(عيناى متسعة لم تترحزح أنشا واحدا فقط ظلت
محدقة في الشاشة لا أصدق ما أراه ، و فمي المفتوح
أغلقه بيديّ ، شلتي الفرحة لدقائق ، أشعر بأحضانهم
اسمع تهليلهم و حمدهم و لكنني لا أتحرك ، "زغروته

" أمي اختلطت بصوت عبد الحليم ، فتسللت الأصوات
إلى أذناي و امتزجت مع طبول قلبي التي تفرع فرحا
فكونت نغمة جميلة انتشلتني من صدمتي و عدم
تصديقي ، فانطلقت أرقص معهم فرحا ، و أغني كأني
عصفور تحرر من سجنه ، يغرد و يطير ليصل إلى
عنان السماء و يخطف نجمة منها ،
لا اصدق أنني حصلت على هذا المجموع ، بالتأكيد
سيدخلني الكلية التي أحب ، و أحقق حلمي و أكون
إعلامية مشهورة)

- "ألف ألف مبروك يا نور "

قاطع كتابتها على الهاتف صوت صديقتها فرح ،
صديقتها الوحيدة التي أنهت الثانوية معها و الآن هما
تحتفلان بنجاحهما.....

احتضنتها نور و قبلتها من وجنتيها و قالت:

- "الله يبارك فيك، أنا مش مصدقة اني جبت ٩٥ %

طميني... أنتِ كمان عملتي ايه ؟ "

وقفت تعدل ياقة فستانها بفخر تقول

- "جبت ٩٤ % و نص"

قبلتها نور مرة اخرى تهنئها

- " ألف مبروك يا حبيبيتي !.... هاه لسه مصرة بردو

على كلية أثار مع إن مجموعك كبير "

أومات برأسها تؤكد : "طبعا و بإذن الله هبقى باحثة

آثار مشهورة و أنتِ إعلامية مشهورة "

رددا معا : "بإذن الله "

بعد ثلاثة أعوام

(في البداية تسلل الحزن و خيبة الأمل إلى قلبي ، فأنا
لم أظن أن مجموع الكلية التي أريد عالي جدا ، و
مجموعي رغم جهدي و سهر الليالي ، لم يساعدي
في الوصول إليها ، لم استسلم لهذا الشعور و بدأت
بإجراءات التحويل إلى إعلام ، و لكن لم أنجح فأظلمت
الدنيا حولي ، و صرت فتاة أخرى يائسة لا تحضر
محاضرات لا تدرس لا تجتهد ، فقد تدرس آخر
أسبوعين في العام ، و بالكاد تحصل على درجات
تنجوها من الرسوب و إعادة العام ، أتى العام الثالث لي
في الجامعة فهبت رياح الأمل بجسدي من جديد ،
لتنعشني و تحيي فيّ تلك الفتاة المجتهدة التي تحب

الكتب و الدراسة ، و تزيل تلك اليأسه من بين جنباتي
، حاولت من جديد أن أتخلص من هذا السجن و
التحويل لكن لم أنجح ، فأقمتني تلك اليأسه و دخلت
جسدي لتعبث بمستقبلي و دراستي كما تشاء ،
(.....)

- "فوقي يا نور ، فوقي حرام عليك هضيبي كل حاجة
باليأس ده "

توقفت أنامل نور عن الكتابة وأغلقت الهاتف تلتفت
لصديقتها الجالسة أمامها في حديقة الجامعة تقول
لها :

- "فرح أنت عارفة كويس أني مش بحب الكلية دي ،
حاسة أني في سجن و مليش نفس اذاكر "

تأملت فرح ملامح صديقتها الذابله ، لا روح فيها ،
هذه ليست صديقتها التي تشع حماسة و أمل إنها فتاة

أخرى ، أين صديقتها ، زفرت فرح بهدوء و لتحاول
أقناعها

- "أنتِ حاولتِ تحولي قبل كده و منفعش خلاص
هضياعي سنين عمرك عشان حلم ضاع منك ، فوقي
خلاص إحنا في آخر سنة و هتتخرجي و تخلصي من
السجن ده زي ما بتقولي"

أشاحت نور بوجهها عنها لتقع عينيها على زهرة
ذابلة في الحديقة ، تأملتها هي تشبه روحها الذابلة بين
جنباتها ،

لقد فارقها الهدف الذي يرويها فنكست رأسها بخيبة
أمل ، وجفت أوراق الشغف مع الأيام لتتساقط أوراقها ،
ورقة ورقة ، حتى ماتت الزهرة

زفرت صديقتها بصوت عالي تحاول أن تكبح غضبها
منها ، و استجمعت آخر ذرات الهدوء بداخلها ، لعالها

تعيد إحياء الأمل بداخلها و تعود نور التي تعرفها ،

أردفت

- "نور ... احدي ربنا و أرضي بنصيبك و أنا أهو

معاك في نفس الكلية ذاكري و اجتهدي و احضري

معايا ، حاولي تقاومي اليأس اللي جواك ، آخر سنة

خلاص و نتخرج و اعلمي اللي انتي عايزاه "

لم ترد نور عليها ، فقامت فرح و قد قطعت كل حبال

الأمل من نصحتها و سئمت منها ، نهضت لتذهب إلى

المحاضرة القادمة تاركة إياها ،

فنظرت نور في إثرها و عقلها يردد كلام صديقتها

يوقظ ضميرها النائم ، و يردد ما قالتها أمها لها قبل

وفاتها :إن ضاع منك الحلم ، و بذلت ما بوسعك

لاستعادته و لم تحسلي عليه ، إبدئي من جديد ، و

اصنعي حلما جديدا ، لعل الطريق الذي اختاره الله لك

خير من حلمك القديم ، فلا تيأسي "

ترددت الكلمات بداخلها فبدأت تروي آخر بذرة شغف

لديها أوشكت على الموت ، و نهضت لتحضر معها

المحاضرة تتفض عنها تراب اليأس ، و بذرة الأمل

بدأت تتشق لتخرج منها عود أخضر يحارب بداخلها

ليحيى و يصير شجرة شغف عامرة،

و بدأت تذاكر لتتخرج و بعدها تبحث عن هدف

آخر ،شغف آخر

(أول ما وطئت قدماي بوابة الخروج من الجامعة و

أنا أحتضن بين يدي شهادة تخرجي ، شعرت بتحطم

سلاسل السجن التي تقيدني ، ملأت رئتي بالهواء ،

فما أجمل الشعور بالحرية سرت في الطريق و
ابتسامتي مرتسمة على وجهي أرى كل شئ وردي....
مرت أيام معدودة و صرت افكر ماذا بعد التخرج ماذا
سأفعل ؟ هل أحاول الدخول إلى إعلام و أحارب من
جديد ؟ و إذا فعلت هذا هل سأنجح أم سأضيع سنوات
من عمري ؟ ماذا سأفعل ؟

وكأنني أسير في متاهة حبست بداخلها ،
فعدت تلك اليأسه الحمقاء لتتلبسني من جديد ، لأسير
هائمة في الطرقات بلا وجهة و لا هدف ، و لم أجد
أحداً يرشدني إلى طريقي ...

فاستسلمت و أسلمت نفسي للرياح تسيرني كيف تشاء
و جلست في البيت لم أعمل ، حتي جاءت فرح تقترح
عليّ العمل معها تحت قيادة عالم أثار كبير و مشهور
فقد أحتاج مترجم لغات فرعونية قديمة و كنت جيدة

في الترجمة ، فذهبت أعمل معها ، لم أفرح كثيرا و
لكن كان هذا أفضل من المكوث في البيت)

- "يلا يا نور ، الكل طلع

و الأتوبيس هيمشي ، اقلي التلفون ، و اركبي "

قال هذه الجملة ثم صعد الحافلة التي ستأخذهم إلى

موقع المقبرة الأثرية

عادت إلى الواقع وأغلقت هاتفها تصعد خلفه ، جلست

بجوار فرح ، تطلعت إليها، رأتها لا ترمش ، تحديق في

شاشة هاتفها ،

و يديها تكبش في كيس الفشار و تأكل بنهم ، كأنها

ستذهب في رحلة غافلة عن تساقط بعضه على

ملابسها ،

أخرجت نور الهاتف و هي تبسم ، هي تعرفها جيدا
تحب قراءة الروايات و عندما تقرأها لا تشعر بما
حولها و تسافر إلى عالم آخر ، بدأت أناملها تتحرك
على لوحة مفاتيح الهاتف و تكتب

(معاذ ! أول ما تلاقت نظرانا أشعل فيّ الأمل من
جديد ، فابتسمت و كانت هذه البسمة تخلق بداخلي
هدفا من نوع آخر ، هدفا تحلم به كل فتاة شاب على
حصان أبيض يأتي و يخطفها من وسط الجميع ليظفر
بها ،

و قلبي تزيد ضرباته كلما تقابلنا أو تكلمنا فهل هذا هو
الحب الذي يتحدثون عنه ؟سقف أحلامي ازداد علوا
ليرتفع و يصل إلى عنان السماء ، فهل سيتحقق أم
سيكون هباء منثورا تطيره الرياح كأحلامي

(السابقة ؟)

بعد عدة أيام

سماء حالكة السواد يختبئ فيها القمر وسط غيومها
مرتعدا من صفير الرياح التي تعوي كذئاب متوحشة
مفترسة تشدهم بأنيابها تكاد توقعهم ، و تطيرهم
كالرمال التي تقذفها على أعينهم و وجوههم ،
قاومت نور الرمال تفتح عينيها الملتهبة بصعوبة ،
بالكاد ترى ظلها يبتعد في الظلام ، حاولت رفع ساقتها
و تحريكها أكثر من مرة لتلحق بهما لكنها تصلبتا
كالصخرة و غاصت قدمها في الرمال ، وكلما ازدادت
مقاومتها تتشبث بها الرمال أكثر و تسحبها للأسفل ،
فتشعر بدقات قلبها تنتفض ، صاحت بصوت
مرتعش : "فرح الحقيني الرمال بتسحبني مش عارفة
اطلع منها ..."

كانت فرح تسير ببطء تقاوم الرياح ، و تزيد قبضتها
على شالها تلتمس منه أمانا يحميها من عواء و صفير
الرياح ،

توقفت تلتقط أنفاسها لقد تعبت من اللحاق به و نادت
عليه أكثر من مرة لكنه لم يتوقف ...

ووسط لهاتها المسموع ، انتبهت أذناها إلى صوت
نور الخافت ينادي و يستغيث بها فتسارعت نبضات
قلبها تشعر بخطر أصاب صديقتها ، ركضت إلى مصدر
الصوت ، تراها تغرق في الرمال فمدت يدها
تقول :متقلقيش يا نور هاتي إيدك أنا هطلعك ، هاتي
إيدك ..."

قبضت نور على يدها تتشبث بها كما يتشبث الغريق
بطوق النجاة ، فجذبته فرح بقوة ، لكن رمال
الصحراء عاندت و صارت تشدها و تجذب ساقي نور

حتى وصلت الرمال لركبتيها ، لم تستسلم فرح لها و
أعدت الكرة لتسحبها بقوة أكبر ، فرفعت الرمال
حاجبها بعناد و جذبت صديقتها إلى العمق ، و لم
تكتفي بهذا بل تطاولت يدها لتقبض على قدمي فرح
هي الأخرى ، تغوص مع صديقتها بالأعماق ، ابتلعت
الرمال ساقي نور و قدمي الأخرى

فصاحا هما الاثنان و قد تمكن الرعب من

قلبيهما : "معاذ الحقنا يا معاذ"

توقفت ساقاه عن السير ، شاعرا بنار الغضب بداخله
قد هدأت قليلا بفعل الرياح ، تلفت حوله ، يبحث عنهما
لقد كانتا وراءه ، يناديان عليه ، فجأة صمت كل شئ
حوله ماعدا صوت الرياح التي تعوي في أذنيه ...و
لكن أذناه التقطت صوتهما الخافت مختلطا بصوت
الرياح ، فاقترب من الصوت قليلا ، سمع صياحهما

ثانية ،فتتبعت كل خلية بجسده يركض إليهما و الخوف
يتسلل إلى قلبه

رأى الفتاتان تسحبهما الرمال ، فلم يظهر منهما سوى
جذعهما العلوي ،

يتحركان بعشوائية ليتخلصا من سيطرة الرمال ...

اقترب منهما و قال بنبرة مضطربة : "أهدوا و

متحركوش ..أنا هطلعكم من هنا متخفوش.. بطلوا

حركة عشان تعرفوا تخرجوا و ما تغصوا"

قبض على أيديهما الممدودة ، و زفر يجمع قوته

ليجذبهما بكل طاقته ، مما أغضب الرمال و ابتلعتهما

أكثر ، حاول ثانية و هذه المرة جمع قوته كاملة ، و

لكن رمال كانت أشد قوة

وابتلعتهما حتى غاص جسداهما بالكامل ما عدا أيديهما

و وجهيهما

توقف يلهث بشدة، و عجزه كتفه فكف عن المحاولة

لكن لما رأى دموع الخوف في أعينهما تستغيث به ،

نفض عنه العجز ، قاوم الألم الذي يسري في ذراعيه

و أخذ يسحب أيديهما من جديد

و لكن ابتسمت الرمال لتنتصر عليه في النهاية ، و

أطعمت الفتاتان رمالها لتخرس فمهما ، و يغرقا في

هدوء

الفصل الثاني

الرياح ما زالت تعوي و تعصف ، تحمل الرمال و

تسكبها على جسده ، تضرب عينيه ووجهه ،

و هو كأنه حبس في رسمة جدارية لا يتحرك لا يشعر

بأي شئ حوله ، نائم على بطنه يمد يديه أمامه ، و لا

يزال عقله يطارده بذكرى ما حدث للمرة الثالثة يعيد و

يكرر المشاهد ، فتشعر يديه بتقلت أيديهما منها فيعود

و يجذبهما و يسحب بكل طاقته ،

ولكن أيديهما تتسرب كالرمال من بين أصابعه ، أذناه

تسمع صوت استغاثتهما الأخيرة ، وعيناه ترى تلك

الدموع و الخوف في أعينهما ، و حركاتهم العشوائية

تودعه ، ما زال يشعر بكل شئ ، و رغم ذلك لا يصدق

بأن الرمال انتزعتهما من بين يديه لتدفنهما و تكتم

أنفاسهما ، فتزهق روحيهما و يموتان

أغمض جفنيه يحاول أن يسيطر على عقله يوقف
المشهد الذي يكرره و يسكت ضميره ، لكن صوته يعلو
ويغفه : "أنت المسئول عما حدث ، أنت السبب و
ليست الرمال"

ضرب بقبضة يده على الرمال بغضب ،فسألت نفسه
بتيه : " ماذا ستقول لرئيسك ، و لأسرتكما ، ماذا
ستخبرهم ، ... "

قام من مكانه لا يعرف هل يهرب من الرمال المتحركة
التي ابتلعتها ، أم يهرب من ضميره ؟.....

يسير ببطء في الصحراء ،يرفع ذراعه ليحمي نفسه
من الرمال التي تصفه كضميره الذي يصفعه بالتهم ،
لكن نفسه تدافع و تنفي التهمة عنه و لكن تسقط
مهزومة أمامه ...

ساعة ساعتان أو أكثر لا يذكر كم من الوقت مضى

وهو يسير؟ لم يشعر بأقدامه التي تحارب الرياح

الشديدة

تلفت حوله، لم يتبين أي شيء ، مازال الظلام يخيم

على كل شيء ، و الرياح تلسع عينيه برمالها

تلهبها ،

توقف فجأة لا يرى ضوء النيران في المخيم ، دار

حوله بتيه لا يذكر من أين سار؟ من أين الطريق

لهناك؟ ، عاد يسير في اتجاه آخر

و لكنه لم يعثر على المخيم ...

فسقط بركبتيه على الأرض و قد استبد به التعب ، و

أنهكت ساقاه من السير ، و شفثيه كتلك الصحراء

العطشى للماء ، جافة تنتشر بها شقوق الجفاف

نام على الارض بيأس و أحاط به الإحباط، فسلم عينيه
لهما في سلام ، هاربا من كل شيء....

و قبل أن يغلق أجفانه الملتهبة لمح بحيرة ماء تحيط
بها الأشجار على بعد خطوات ،أسند ثقل جسده الواهن
على يديه زاحفا كسلحفاة عجوز ،

زحف و زحف حتى وصل إلى الماء ، يغترف منها
بيديه الإثنتين و يصب في جوفه الجاف ،

فجأة تقلص فمه بتقرز و حاول بصق ما في فمه ، و
لكن اندفعت إلى جوفه و صارت تجرح حلقة بحوافها
الحادة فسعل بشدة يخرجها من فمه قبل أن تقضي
عليه هو الآخر ، فهي رمال و ليست ماء ، و عينيه
بدأت تخرف و ترى السراب

ألقى بجسده على الأرض مستلقيا بعد أن أنهكه كل
شيء يشعر بقواه تخلت عنه ، أغمض عينيه يسكت
صراخ لسانه الذي يريد قطرة ماء واحدة تروي عطشه
..... احتضن الرمال مسلما عينيه لذلك الظلام الذي
أنقذه من وحش العطش و الجوع ، و ترك السؤال
عالقا ، هل سيأتي أحد و ينقذه أم هذه الصحراء
ستسجنه و تميته عطشا ؟

بعد يومين

النهبات ذاتها تصدر من الغرفة ، اقترب من باب
غرفتها ، و قرب رأسه من بابها المغلق يسمع شهقات
مكتومة ، فتح الباب بهدوء ، يراها تكتم شهقاتها
بوسادة مسكينة تعصرها بين يديها كما يعصر الألم

خافقها ، ففسكب علها سول ءموعها اللى لا

تنضب ،

إلى ملى تبكى يافتاة؟ ... و هل بكاء يعىء شىء؟

تقءم منها خطوات بسىطة و ءلس ىربء على كءفها

المهءز ...

و كان هءه التربىة هى إشارة خضراء لتزءاء شهقات

بكائها ، و ىءول إلى نءىب ، نزع أظافرها من الوساءة

المسكينة ، فارءمء بأحضانه ءءرف مزىءا من الءموع

ءءرر شهقاتها المكءومة

فءاء أنىن قلبه ىصرء من ءءىء ، لم ىقءر على إسكائه

كمءاولاءه الفاشلة سابقا

ربت علي كتفها ثانية ، و مع كل تربيته يتمنى أن
تسقط على كتفه هو و صدره المتألم فهو يحتاجها

بشدة

بصوت مبحوح خرجت كلماتها الباكية :

"يعني خلاص نور ماتت مش هشوفها تاني.... يعني
الأول ماما و بعدين هي تسيبنا... أنا كان قلبي حاسس
أني آخر مرة أشوفها "

عض على شفثيه يحاول أن يتحكم بنبرة الحزن التي
تطغى على صوته ليؤكد بشمعة تفاؤل تنير بضوء
خافت قلبه المظلم : "نور مماتتش يا نورين ، أدام
ملقوش جثتها يبقى لسه في أمل أنها عايشة "

ابتعدت عنه قليلا ليرى عينيها المنتفختين من البكاء و
سيول دموعها الساقطة ، تقول بين شهقات
بكائها : "عدي يومين ...و مفيش اخبار عنها هي و

فرح و لا لقيين أي أثر ... كإن الأرض أنشقت و

بلعتها "

ازداد أنين قلبه لكنه أردف بأمل يربت به عليهما :

"متفديش ثقتك بالله يا نورين نور أختك لسه عيشة و

بإذن الله هنلقيا بس أنت أدعي لها إنها ترجع ، البكا

مش هيرجعها ، أدعي لها يا بنتي و متفديش الأمل

في ربنا"

بين كل كلمة يقولها يمسح دموع عينيها المنهمة ، و

يبتسم ابتسامته الحزينة ، فيتبرع لها بذرات أمل تداوي

قلبها المكثوم

قلت شهقات بكائها و عادت إلى أحضانه لعل هذا

يخفف من ضربات خافقها المتألمة ، و دعت بتضرع :

"يارب ترجع يا بابا ، يارب"

بطنه تصرخ و تستجد به أين الطعام؟، و صحراء
لسانه تستغيث بالماء ، لكن أين الطعام و الماء؟
هل مازال في الصحراء أم هو على فراشه و سيفتح
عينيه و ينهض يروي جوفه ، يطعم معدته...؟
قاوم ألم جفنيه و فتحهما بصعوبة مقاوما الرمال التي
تدخل عينيه ...

قابلته صورة مهتزة ، لكن الظلام مازال يسود
الأجواء فأغلقهما متيقنا أنه مازال في الصحراء و
بضع دقائق ستغادر روحه جسده البالي....
سمع عواء يقترب منه ، فتحهما ثانية تراءى له جسم
مبهم يقترب منه بسرعة عجيبة....
ما هذا الكائن الذي يقترب منه بسرعة هكذا؟ ..

أجابهُ عواؤهُ القريب فضغط على عينيه ينكر ما يحدث ، و ضربات قلبه تتسارع تستغيث به و تستحلفه بالهرب

أحس بنفس دافئ يقترب من وجهه و يشم كل خليه منه ، و قطرات سائل لزج تسقط على جبهته
فتح عينيه ثانية ليرى أنف و فم ذئب قريب جدا منه ، يسيل لعابه عليه و يفتح فمه لترحب أنيابه به
فأغلقهما يصم آذانه عن استغاثة قلبه رافعا راية الاستسلام له ، و الآن سيلحق بالفتاتين دون أن يحمل
عبء إخبار أحد ..

فماذا كان سيقول لهم ،
هل سيقول لهم أنه خرج من المخيم غاضبا بعد شجاره مع رئيسه ، فلحقته نور و فرح ليهدأ من روعه ،

وحاولا إيقافه لكنه لم يسمع لهما و سار رغم الرياح

العاصفة فذهبا معه؟

أسلم عقله للظلام ، يعانق الموت ، فأخذه لعالم آخر

لعله يرحمه من ألم قبل الموت على يد هذا

الذئب

الفصل الثالث

حبيبات دقيقة صغيرة جدا ، تتدحرج باندفاع نحو

وجهتها ، لتصل إليها ، و بحوافها المدببة الحادة

تجرح جدرانها ، فتشقق نور كغريق أنقذ من الماء ،

تسعل بشدة و تبصق ما بجوفها من رمال تكتم انفاسها

، تلهث و صدرها يعلو و يهبط متلفتة حولها بتيه ،

كل شئ أخضر حولها ، أشجار زهور و ورود ، و

بعض الفراشات المتطيرة هنا و هناك

استندت على الأرض بكفيها لتجلس ، لكنها تأوهت

بخفوت تشعر بألم يشق رأسها فجأة ، و صداع ينبض

بشدة

هي لا تفهم شئ لقد كانت في صحراء

قاحلة لا تزينها نبتة صغيرة أو قطرة ماء تروي ، هل

ماتت و انتقلت إلى جنة خضراء الآن أم ماذا ؟....و

أين فرح لقد ابتلعها الرمال معها ؟

أدارت رأسها بالمكان و عينيها تبحث عن صديقتها ،
حتى رأتها مستلقية بجوارها على بطنها غائبة عن
الوعي

هزتها قليلا ، تنادىها : "قومي يا فرح ...قومي شوفي
احنا فين "

فتحت عينيها تشهق و تسعل لتبصق ما بجوفها ، و
بعد أن هدأت موجة السعال ، نظرت لصديقتها التي
تأوه بجانبها و خط من الدماء متجمد في جبهتها
ليسير بجانب عينيها

جحظت عيني فرح برعب وقالت بصوت متحشرج:

"إيه الدم اللي بينزف من رأسك ده يا نور"

عادت تسعل وتشعر بأحبالها الصوتية تكاد تتشق

منه ، مازالت تشعر ببعض الحبيبات تجرح حلقها

تلمست نور موضع الألم ، فشعرت بالدماء متجمدة
على جبينها ، قالت : "معرفش ...معرفش إيه اللي
حصل أنتِ كنتِ معايا و كنا بنغرق في الرمال
المتحركة و معاذ كان بيحاول ينقذنا "

بصقت فرح ما بجوفها و حاولت التركيز وسط لهاثها ،
لقد كانت تحارب الرمال لتخرج منها ، و ما زالت
بفمها تشعر بطعمها المقزز ، ردت
عليها : "ايوا ...بس احنا جينا هنا ازاي ، و احنا
فين"

أجابت بتيه اصابها: "معرفش....."

استندت فرح بيديها الاثنتين على الأرض لتجلس
مستندة إلى شجرة خلفها ، و عيناها تتأمل ما حولها
بتعجب ، هي متأكدة أنها كانت في الصحراء ، فكيف

وصلوا إلى مكان به أشجار و زهور يطل على بحيرة

كبيرة تتجمع عليها بعض الطيور و تشرب

أحست نور بألم رأسها يزداد ، فأراحتها إلى الشجرة

هي الأخرى بجوارها تغمض عينيها و تتألم ، هذا

الصداع يكاد يفتك بها

و لكنها فتحت عينيها فجأة ، تفتش في جيبها فستانها

عن شئ ما ، تعجبت فرح لذلك فسألتها : "بدوري على

إيه يا نور؟ "

فأجابتها وهي تخرج هاتفها من جيبها و ابتسامة أمل

ارتسمت على وجهها : "بدور على ده ، يمكن في

إشارة و نقدر نتصل بحد"

تلاشت ابتسامتها و هي تقول بنبرة سكنها بعض

اليأس : "التليفون مفهوش شبكة ...شوفي تليفونك كده

"

أخرجت الأخرى هاتفها من جيب فستانها ، و عبس
وجهها هي الأخرى تخبرها نفس الكلام: " مفيش
شبكة "

فتتهدتا معا بيأس، سألتها فرح : "طب هنعمل إيه
دلوقتي هنعرف أحنا فين ازاي "

ساد الصمت للحظات

حتى لمحت فرح طيف أحدهم من بعيد فهتفت :
- "قومي خلينا نسال أي حد عن المكان اللي أحنا
فيه ... "

- "هو أحنا لقينا حد عشان نساله "

- "اه في واحد ماشي أهو يلا قومي "

نهضت نور تستند إلى شجرة و الصداع يزداد قرعا
برأسها ، تشعر أن كل شيء يدور حولها لكنها

نسيت كل ما يؤلمها عندما سمعت صرخة ألم من
صديقتها ، فاقتربت منها و سألتها بقلق : "مالك في
أيه "

جلست فرح ، تمسك بقدمها اليمنى تقول : " معرفش
فجأة حسيت بألم في رجلي "

جلست بجوارها تخلع حذاء صديقتها لترى ماذا حدث
لها ، فعضت فرح على شفيتها تكتم الألم

تفحصت قدمها جيدا ، لا أثر لأي كدمة أو جرح أو
دماء ، ليس بها أي شيء ، تركتها برفق تقول :

- "مفيش جرح و لا أي كدمات يا فرح...يبقي احتمال
يكون كسر "

- " إزاي أنا مش فاكرة أني وقعت عليها أو خبطها "

- " معرفش "

عضت شفيتها متحملة ألم قدمها لتقف و تستند إلى

الشجرة و سارت بخطوات بطيئة تعرج أمامها

فوقفت نور متحدية ذلك الدوار و ألم رأسها و لحقت

بها حتى خرجتا من البستان

بيوت صفراء مبعثرة متباعدة عن بعضها مكونة من

طابق أو طابقين أو ثلاث ، كلها تشبه بعضها لا يوجد

اختلاف واحد سوى بعدد الطوابق و بعض المحال

الصغيرة ، تحيط بالبحيرة التي تنعكس عليها أشعة

الشمس فتتألأ و تزداد جمالا

كل شئ يشبه الآخر هنا حتى الناس هنا يرتدون

الجلباب رمادي شاحب أو أسود ، و النساء يرتدين

عباءات مزركشة ، يلفون رؤوسهن بوشاح ملون

هل هما بإحدى الواحات أم ماذا ؟

سارت خلف أحدهم تقول :

"لو سمحت "

توقف الرجل عاقدا جبينه يتأملها من رأسها لأخمص

قدميها

تعجبت نور لذلك فتنحنت بخرج تسأله : "لو سمحت

أحنا توهنا منعرفش أحنا فين"

لم ينتظرها تكمل سؤالها بل تركهما و سار يكمل

بطريقه

، فنادت عليه فرح : "يا أستاذ... لو سمحت .."

تجاهلها الرجل و ذهب بطريقه...

تعجبت نور قائلة : "مالو الراجل ده سبنا ومشى و لا

كأننا مش مبنتكلم معاه"

- "سيبك منه ، تعالي نسأل حد تاني"

سألوا عدة أشخاص و ردة الفعل نفسها تتكرر ،
يتجاهلوها ، و يمضون في طريقهم و كأنهم لا
يقولون شيئا

أمسكت رأسها تتأوه بخفوت ، و جلست على أحد
الأرصفة تستريح من الدوار الذي أصابها ثانية ،
جلست فرح بجانبها تمسد قدمها المصابة
تهتف : "هنعمل إيه دلوقتي "

- : " معرفش .. هنعمل إيه؟ "

صوت عصافير بطنهما شق الصمت السائد بينهما ،
فقال فرح : " هو أنتِ مجعوتيش يا نور "

لمست بطنها التي ترقزق من الجوع ، تقول : "جعت
جدا .. دوري كده في جيوبك على فلوس "

بدأت الفتاتان تفتشان عن أي نقود معهما ، فاخرجا

بعض المال

أخذتهم فرح قائلة : "استريحي أنت و أنا هروح أجيب

أكل من المطعم ده "

رائحتها الشهية نادتها ، فلبت نداءها و تتبعتها حتى

وصلت ، وقفت أمام محل صغير ، تقترب من الزجاج

لترى الطعمية و هي تنزلق في الزيت ، و تسبح وسط

أخواتها ليتدرج لونها الاخضر حتى يصير بني شهى،

لعت فرح شفيتها ، و فمها يتمنى تذوقها كلها

- "ادخلي يا بنتي ...كلي بدل ما أنتِ وقفة كده "

التفتت إلى مصدر الصوت ، فرأت شيئا يستند على

عكازه ، رغم ذلك يحتفظ ببعض القوة ، يغزو شعره

لون فضي يلمع تحت ضوء الشمس ، وجهه بشوش

يبتسم فتغلق عينيه ، تحاوطها بعض التجاعيد

الجميلة ، ابتسمت له بحرج و هي تقول : " لو سمحت

عايزة سندوتشين طعمية و سندوتشين فول "

قالت جملتها و أخرجت النقود

لاحظ الرجل عرجها ، فأخذ منها النقود ، احتفظ

بابتسامته البشوشة و دعاها للدخول : " اقعدى هنا

يبنتى على ما يجهز طلبك "

شكرته بابتسامه و جلست تنتظر الطلب ، و بعد عدة

دقائق عاد ليعطيها طلبها و يودعها بابتسامته

البشوشة ، فشكرته بكلمات معدودة و أخذت منه

الطعام

راقبها و هي تعرج إلى صديقتها ، و تجلس بجوارها

على الرصيف المقابل لمحله و يأكلان....

صراخ عالي و همهمات عالية و أناس تركض و
تتحلق حول الرصيف المقابل لمحله ، أصابه قلق ، و
هم يقتحم الجمع يدفع هذا و يتجاوز ذاك ، يحشر نفسه
وسطهم حتى وصل إلى وسط الزحام ،

وقعت عينيه على فتاة راقدة على الأرض تغلق جفنيها
بسلام ، تحتضن صديقتها رأسها تنادي عليها و تلطم
وجه الفتاة تحاول إفاقتها لكنها في عالم آخر لا تسمعها

....

اقترب منهما ، لتتضح له الصورة فالفتاة الباكية هي
ذاتها التي كانت تعرج

أفاق من صدمته و قال لها : "ايه اللي حصل يا

بنتي ..."

خرجت كلماتها مبعثرة مبهمة بين شهقات بكائها الكثير

، لم يفهم منها شئ سوى أن صديقتها سقطت فجأة

بين يديها دون مقدمات

تفحص رأس الفتاة المغمى عليها ، فلمح خط الدماء

المتجمد على جبينها فصرخ بأحد الواقفين : "هات

عربيتي هنا يا دنجل "

أوما الصبي و ذهب ليحضر سيارته ،

زادت همهمات الناس حوله ، و نظراتهم المتعجبة ،

يقفون مكتوفي الأيدي لا يفعلون شئ سوى الكلام ،

فصرخ بهم الشيخ :

"حد يجي يساعدني نشيلها نوديهل المستشفى بدل ما

أنتوا وقفين كدا "

فظهرت سيدتان قويتا البنية ، حملاها ووضعاهما في
سيارته التي وصلت للتو

جحظت عيني فرح تتأمل السيارة قديمة الطراز كأنها
خرجت لتوها من فيلم أبيض و أسود ، تشبه سيارات
رشي أباظة بأفلامه

انتشلها من تعجبها صوت الشيخ يقول لها : "يلا يا
بنتي اركبي "

مسحت دموعها الساقطة بأصبعها و ركبت جوار
صديقتها تحتضن رأسها بقلق تهمس : "فوقي يا
نورفوقي "

و أغمضت جفניה لتحرر دمعين قلقتين عليها ،
فتسيل و تسقط على وجنة نور التي تسبح بعالم آخر

راقبها الشيخ من مرآته و قال محاولا بث الطمئينة

لها : " متقلقيش يا بنتي ... في مستشفى

قريبة هنروح و إن شاء الله خير .. "

الجزء الرابع

شعاع شمس ينسل من فجوة الستار الصغيرة ليتسلل

رويدا رويدا يدعب عينيها ، فتغلقهما جيدا ، كانت

تتمني العودة إلى ظلامها ، لكن أنفها أعادها إلى

واقعها ليلتقط رائحة مطهرات نفاذة تملئ الغرفة ،

فتحت أهدابها الثقيلة ، تدور عيناها في المكان

سقف و جدران بيضاء ، و بجوارها عمود معلق عليه
كيس به سائل يسيل عبر خرطوم رفيع ليصل إلى يدها
الملتصقة بالخرطوم

بتأكيد هي في المشفى ، و لكن هل كل ما عشته حقيقة
، أم كان حلما مزعج؟ ، هل تمكن معاذ من إخراجها
من الرمال و أوصلهما إلى المشفى؟

التفتت إلى تلك النائمة بسلام على فراش أبيض مثلها ،
تحتضن قدمها اليمنى جبيرة بيضاء

جذب نظراتها صوت الباب الذي فتح فجأة ليظهر
شاب نحيف قليلا يرتدي معطف أبيض ، يقترب منها و
ينحني يلتقط أوراق معلقة على سريرها ، يعتدل
ليقرأها

فينعكس ضوء الشمس على شعره ليتلأأ باللمعة
فضية ...

عقدت نور جبينها بتعجب ، فهذا الشاب يبدو عليه قد
طرق أبواب الثلاثين، فكيف ينتشر الشيب بشعره هكذا

تتحنح الطبيب بصوت عالي ، لتهرب نظراتها إلى

سقف الغرفة تلوم نفسها على تأملها الطويل ،

اقترب منها يمسك رسغها يراقب نبضها و هو يقول

بنبرته الهادئة : " حمد الله على سلامتكم يا أنسة ... "

خرج صوتها الواهن يهمس بضعف : أنا فين و ايه

اللي جبني هنا "

لمس الشاشة الأبيض الذي يضم رأسها بعناية و قال :

أنت في المستشفى ... "

أفصحت عن سؤال الذي يدور بعقلها : " عارفة إني في

المستشفى بس ايه اللي جبني هنا ؟ "

اعتدل طبيب بوقفته يدون بعض الكلمات على أوراقها

المعلقة ، و همّ أن يجيبها لكن سبقه صوت فرح

الواهن و رغم ذلك احتفظ بحماسة الأطمئنان

عليها : "حمد الله علي السلامة يا نور.... أنتِ عاملة

ايه دلوقتي"

اجابتها نور : "الحمد لله..بس ايه اللي جبني هنا"

جلست فرح تسند رأسها إلى وسادتها سامحة له

بفحصها هي الأخرى ، و أجابتها : "وقعتي في الشارع

، و أغم عليكي مكنتش عارفة أعمل ايه ؟... لكن

الحمد لله ربنا رزقنا بعم حسين راجل طيب ربنا

عربيته و ووصلنا على المستشفى هنا ... و مرضيش

يمشي إلا لما يظمن"

و قبل أن تنهي جملتها سمعوا طرقات على الباب ، و

ظهر الشيخ بابتسامته البشوشة ، يحمل أكياس كثيرة

يضعها على الأرض و هو يقول :: "حمد الله على

سلامتكم

عاملين ايه دلوقتي ؟"

انتقلت عدوي التبسم إليهما ليجيباه بصوت

متعب : "الحمد لله "

قالت فرح تزيل آثار تعجب عن وجه نور : "اهو ده عم

حسين اللي وصلنا المستشفى"

ظلت محتفظة بابتسامتها و بنبرة منهكة : "شكرا يا عم

حسين "

مسح الرجل رأسه بخجل و هو يرد عليها: "لا شكر

على واجب يا بنتي ،اي واحد في مكاني هيعمل كده "

أشارت فرح إلى مقعد بجوار فراشها تدعوه للجلوس

فجلس على مقعد يسأل الطبيب : "طمني يا دكتور....

عاملين ايه و هيخرجوا امتي ؟ "

دون بضع كلمات على أوراق فرح و أجابه بعملية :

"هم كويسين و ممكن يخرجوا بعد يومين تلاتة ...

نظمن بس على جرح راس الأنسة نور لم و لا لا ...و

نكتبها على خروج بإذن اللهلكن الأنسة فرح

هتخرج بس هتفضل رجلها في الجبس لمدة شهر

عشان الكسر يلم بسرعة "

أعاد الأوراق مكانها و استأذن مغادرا ، فساد الصمت

للحظات قاطعته نور و هي تقول : "ممكن أسأل

حضرتك سؤال "

التفت إليها

: "طبعاً اتفضلي يبنتي "

راقبت ملامحه و هي تسأل : "هو أحنا فين ... أقصد

أيه أسم المدينة اللي أحنا فيها دي !"

اهتزت ابتسامته و تلعثت كلماته قليلا يسألها : "هو

أنتوا ... مش من مدينة دي ؟"

هزا رأسهما بلا و أضافت فرح : " معرفش هتصدقني

و لا لا

أحنا توهنا ومنعرفش أحنا فين؟ ... فجأة صحينا لقينا

نفسنا.... "

رمتها بنظرة الجمت لسانها ، و التفتت له تعدل كلام

صديقتها : "فرح تقصد أن أحنا توهنا و مش عارفين

أيه المدينة دي و لا أحنا فين ؟

و موبيلاتنا مفيهاش إشارة و كنا عايزين نطمئن على

أهالينا فلوسمحت قولي أحنا فين ؟ "

ابتلع الرجل ريقه بصعوبة و لم يجب

فقال فرح :

"يا عم حسين سكت ليه؟.. هو سر حربي و لا

ايه؟... هو ليه كل أما نسأل حد يسبنا و مش يرد في

ايه ..."

ارتسمت ابتسامة متوترة على وجهه و قال بكلمات

مبعثرة : لا بينتي ... مش سر ... و لا حاجة بس"

تغضن جبين نور بريية و هي تقول :: "بس ايه يا عم

حسين"

أطبق عليه الصمت لثواني ، ليقول بنبرة مهتزة : أنتوا

هنا في مدينة اسمها.. اسمها جوبا ..."

عقدت فرح حاجبيها تتعجب : "جوبا أول مرة أسمع

عنها و فين المدينة دي ؟ "

فأشاح الرجل وجه عنها و قال : "دي ...دي جنب

الأقصر بس من جوا"

نور : "أنا عارفة كل القرى و المدن في أسوان و

الأقصر بس عمري ما سمعت عن المدينة دي ..."

ظهرت بضع قطرات عرق على جبينه و هو يرد

عليها : "ما هي على أطراف الأقصر.... عشان كده

قليلين اللي يعرفوها "

نظرت فرح لهاتفها الموضوع على المنضدة بجوار

فراشها و التقطته و فتحته : "طب ليه مفيش شبكة

هنا "

ثقل لسانه و زاغ بصره عنهما : "ما المدينة دي

مفيش شبكة ..."

نهض ملقيا كلمات سريعة تسبق خطواته نحو

الباب : الحمد لله اطمنت عليكموا ... همشي أنا بقى ...

عشان سايب المحل لوحده"

تعجبت نور منه : " ماله الراجل ده كان مرتبك و قام

بسرعة كده ليه"

-: " معرفش يا نور"

- " أول مرة أعرف أن في مدينة أسمها جوبا و جنب

الأقصر "

- "فعلا أحنا لفينا الأقصر دي شبر شبر بس عمرنا

ماشوفنا المدينة دي يمكن زي ما بيقول مطرفة عشان

كده ما اسمعناش عنها زي ما بيقول الراجل ده "

- " و يمكن بيكذب علينا أو مخبي علينا حاجة "

غيوم سوداء تكاتفت مع بعضها لتحاصر القمر المنير

و تخفيه عن العالم ، فيخيم ظلام الحزن في

القلوب ، كما خيم على قلوبهم بعد اختفاءها

رغم تحلقهم حول مائدة واحدة إلا أن عقولهم تدور في

مدارات متناثرة مبتعدة عن بعضها كلا له عالمه ، و

الصمت يعم المكان يقتل الضحكات و الأحاديث ،

بالطبع فقمر البيت قد غاب ،

أطباقهم كما هي لم تمس ، وقفت تحملها ، و تتركهم

على طاولة المطبخ ، لتترك معهم تحملها و جمودها و

تخونها ساقياها تنهار و تقع على الارض ، تندفع

الدموع لتتحرر من أسوارها و تسيل كأنهار على

وجنتيها ،

ارتكنت إلى الحائط تكتم شهقة كادت تخرج و تفضحها

أمامهم ، و هي تتذكر ذلك اليوم

.....

توكز أبنا كما وكزها القلق بقلبها و هي تأمره :رن

علها تاني يعني ايه مبردش؟... رن تاني"

التفت أبنا ذا العشرون عاما إليها يقول : "رنيت علها

يجي خمسين مرة ونفس الكلام، التليفون مغلق و غير

متاح "

- "إزاي يبني دي قالتلي هترجع يوم الأحد و النهاردة

الأربع و لسه مرجعتش ...طب أقولك رن على زميلتها

نور "

- " رنيت علها نفس الحكاية "

تاكلها القلق أكثر لن تنتظر ثانية و نهضت عازمة بكل

تصميم : "لا أنا قلبي مش مطمئن أنا لازم اروح

الشركة اللي بتشتغل فيها و أسأل عنها قوم البس يلا

عشان تيجي معايا "

لحقها أبنا يقبض على ذراعها و يجلسها

، يتحدث معاها بمنطق لعلها تقتنع : "يمكن يا ماما

طوله في البعثة و لسه هناك ، و أنتِ عارفة المكان

هناك الشبكة فيه وحشة"

لم تستمع له لاغية عقلها ، تاركة زمام أمرها لقلبها

ليدفعها دفعا تطمئن على حبة قلبها المفقودة ، تشعر

قبضة تكتف خافقها و تخنقه ، و خاطرا يحدثها أن

أبنتها بخطر

أتجهت إلى غرفتها تقول بعزم

:"لا أنا قلبي مش مطمئن بيقولي في حاجة حصلت

لبنتي ... يلا قوم البس عشان نروحهم "

بعد ساعة وصلا إلى الشركة و سألت عن فريق البعثة
الذي خرج لاستكتشاف مقبرة بالوادي الجديد من
أسبوع ، فأجابتها الفتاة أنها كانت معهم ، و قد عادوا
جميعا ماعدا أبنتها و زميلاتها نور و شاب آخر يدعي
معاذ ، و ظلوا يبحثون عنهم و لكن لم يجدوا أي أثر
لهم ، ازداد إحكام القبضة على قلبها و تسارع تنفسها
حتى سقطت مغشيا عليها

.....

عادت من ذكريتها تمسح سيول دموعها بقوة ، يجب
أن تتماسك أمامهم ، و لا تُنزل أي دمعة أخرى ، تكتم
هذه الشبهات الباكية كما تكتم حزنها بقلبها و تغلق
عليه ألف باب

فهي الآن عكازهم و سندهم، عمودهم الفقري ، الذي
يُسند الجسد كله ، بأنهارها ينهار البيت بأكمله

وقفت تمسح دمعة هاربة من عينيها ، لا وقت للضعف
و الانهيار.....

هي الآن تحمل على كتفها مسؤوليات كثيرة ، فهي الأب
و الأم

تذكرت كيف كانت فرح تضع المال بين يديها ، لتكمل
مصاريف البيت ، و تحضر الكتب لهذا ، و العلاج لذاك
.....

تذكرت كيف كانت تربت على كتف أبنتها الصغرى و
تأتي بالحلوى لولدها ، و تفرح الآخر بهاتف
جديد

هي من كانت تتفق المال و تساعدهم في المصاريف،
لم تبخل عليهم قط ، فمنذ أن تركهم والدها بعد أن
أنهت الثانوية ، خرجت تعمل بجانب دراستها بالجامعة
، لتجمع قوط يومها و تعود بنهاية اليوم و تعطيها كل

شئ كسبته ، عدتها أبنها رغم ثقل الحمل عليها بهذا
العمر ، لكن لم يكفي هذا المال ، فخرجت هي أيضا
تعمل بمصنع لصنع حلويات ، هكذا سيروا حياتهم ..
و الآن كيف تدبر أمرها بدون أبنتها الغالية؟ من أين
تكمل مصاريف بيتها ؟ كيف تشتري لهم الملابس و
الكتب الدراسية؟

ماذا ستفعل إذا أكتشفوا أن حبة قلبها.....؟

استعادت بالله من هذه الفكرة ، تطردها من عقلها ،
هي مازالت على قيد الحياة و ستعود و تحضنها و
تملئ عينيها بطلتها الحبيبة

رفعت عينيها الدامعتان للسماء تستجير بربها ، كي
يعطيها الصبر و القوة لتحمل ما هو قادم

(كل شئ يصيب قلبي بريية و يجعل عقلي يدور في
دوائر مغلقة بلا نهاية ، لي طرح أسئلة لا حصر لها
تؤرق مضجعي ، فأسهر ليلي أحاول الإجابة عليها لكن
لا أجابة

كيف دخلنا إلى هنا و قد كنا نصارع الموت ؟ ...
و هل معاذي أم ميت ؟ ... لا أعرف ... و أبي و
أختي هل علموا باختفائي و قلقين عليّ أم لم يعرفوا
بعد؟ ... كم مر من الوقت على أختفائنا؟

كل هذه الأسئلة تزيد صداع برأسي لا.....)
أختفي الضوء و حل ظلام على شاشة هاتفها معلنا عن
إغلاقه تأففت نور بأنزعاج

طريقة طرفتان و يدخل بابتسامته البشوشة يضع أكياس
على الأرض ، ليجلس بمقعده كالمعتاد يسأل عنهما و

يتبادلوا بعض الأحاديث معا ، ألا عن موضوع
دخولهما لهذه المدينة ، أنها حذرت فرح من الحديث
في هذا الموضوع ، فمن يصدق أنهما كانا يصارعان
الرمال و استيقظا فوجدا نفسيهما هنا ، عم صمت
لدخول الطبيب عليهم و بدأ يفحص جبيرة فرح

فسأته : أمتى هنخرج من هنا يادكتور "

ابتسم الطبيب بهدوء و قال : "بسرعة دي زهقتي مننا
و عايزة تمشى.... "

ابتسمت له بخرج : "مش قصدي يا دكتور بس عايزة

أروح بيتنا زمان ماما و اخواتي قلقنين عليا "

- بنبرته الهادئة : "على العموم أنتوا حالتكوا.

استقرت ، و ممكن تخرجوا النهاردة لو حبيتي ،بس ما

تمشي لفترات طويلة و تجيلي بعد تالت أسابيع عشان

نفك الجبس و نشوف ايه الأخبار "

ترك قدمها و اتجه لنور يفحص رأسها و يفك اللاصقة

على جبينها ، خفضت فرح رأسها : "كده مش هينفع

نسافر إلا بعد تالت أسابيع "

أوما لهما و خرج بهدوءه المعتاد

سألت نور : "طب هنعمل ايه دلوقتي ، دول هيكذب لنا

على خروج ، هنروح فين المدة دي؟ "

- "صحيح هنروح فين ، دي حتى الفلوس اللي معانا

مش هتكفي "

ابتسم عم حسين يقول لهما : "متشلوش هم يا بنات ،

انا لقيت الحل "

التفتا له منتبهين لما سيقول فاستأنف الرجل حديثه : "

أنا ليا بيت كبير في شقة فاضية ممكن تسكنه فيها

مؤقتا لحد ما تالت اسابيع يخلصوا "

اعترضت نور بشدة : "لا مش هينفع يا عم حسين أحنا
تقلنا عليك اوي ده كفاية مصاريف المستشفى اللي أنت
دفعتها"

قاطعها يقول : "و لا تقلته عليا و لا حاجة و بالمره
تونسوا الحاجة تفيدة مراتي بدل ما هي قاعدة لوحدها
"

كادت فرح أن تعترض هي الأخرى لكنه

أوقفها بيده بحزم : "أنا مش هقبل أي رفض و أنتوا
دلوقتي ضيوف عندنا و زي بناتي و مش معقول أسيب
بناتي يتمرمطوا في الشارع يلا سلام بقي عشان
سايب المحل لوحدها سلام عليكم"

و خرج تاركا فرح مشدوهة من تصرفه مرة أخرى،
أما نور فقد دق مسمار شك آخر داخل عقلها نحوه

كيف لهذا الرجل أن يكون كريما معهما لهذه الدرجة ،و

لا يطلب منهما مقابل ؟

التفتت فرح إليها : "خلاص يا نور الراجل باين عليه

طيب .. هنقعد الفترة دي عنده و خلاص بدل ما

نتمرط "

أفصحت نور عن شكها : "الراجل ده مش مريحني

حاسة أنه مخبي حاجة علينا و تصرفه ده حاسة مش

طيبة منه ،حاسة أنه عايز منا حاجة ... أنا مش

مرتاحة "

استلقت فرح على فراشها بتعب تقول لها : "ليه

بتفترضي سوء النية الراجل ما شوفناش منه حاجة

وحشة ... "

نظرت إلى سقف الغرفة تفكر بصوت عالي : "لما سألناه

على المدينة ارتبك ... و تصرفه معانا بلطف و

دفعه مصاريف المستشفى كل ده بيشككني فيه

أكثر"

نفضت فرح من رأسها تلك الظنون ، رجحت سبب

امتلك عم حسين لسيارة قديمة الطراز أنه يجب

الاحتفاظ بأشياء قديمة أو هي ارث محبب الى قلبه ، و

أغمضت عينيها تريح عقلها من شكوك صديقتها

غاضة الطرف عن هذه السيارة القديمة تسلمها لله ،

و قالت لتطمئنها قائلة : "ياستي كبري دماغك و إن

شاء الله تكون شكوكك دي وهم "

فرددت ورائها : "يارب يكون وهم....."

الفصل الخامس

أنف صغير الحجم لكنه يلتقط مئات الروائح ، يفندها ،
يفرزها ليميز كل واحدة منها ، و يخزنها في الذاكرة
من أحب هذه الروائحرائحة شخص عزيز عليك
يضمك فتستشق نسماته الدافئة ، تريد أن تعيش
عمرك كله بأحضانها ، كنسماتها الغالية و أحضانها
الدافئة ،

و رائحة بيتك.... هل للبيوت رائحة ؟ نعم تلك التي تهب
عليك بمجرد أن تخطو عتبه ، فتتعش حواسك ،
تشعرك بأمان يضمك كما تضم الأم وليدها

كبيتها الصغير الدافئ تفوح رائحته المختلطة برائحة
الطعام ، تشعر به يضمها إليه بدفئ يزيل عنها صقيع
الهموم و الأحران

"هاه إيه رأيكم في الشقة بقي، هي صغيرة و بسيطة
لكن حلوة و بحري....."

انتشلها من ذكرياتها صوت العم حسين و هو يصف
لهم الشقة

، لتقول فرح بتيه ، و مازال قلبها عالق بأطراف
ذكريات بيتها الدافئ : "هاه....."

أخذت نور المفتاح منه لتقول له : "كتر خيرك يا عم
حسين"

راففته إلى الباب تغلقه وراءه جيدا بعد مغادرته ، و
جلست بجوارها تسألها : "مالك يا فرح ...في إيه ؟"

مسحت فرح دمة سقطت من عينيها ، و هي تقول

بصوت خنفته غصة : "البيت وحشني اوي يا

نور ...حزن أمي وحشني ..كل ده و انا معرفش عنهم

حاجة ..."

شهقت بخفوت لتكمل : " يا ترى عاملة ايه

دلوقتي ...أكيد هتجنن عايزة تعرف أنا فين "

عضت نور شفيتها تحاول أن تكتم موجة بكاء أصابتها

، محتضنة صديقتها تربت على رأسها ، قالت كأنها

تواسي نفسها هي الأخرى : " متقلقيش يا فرح ان

شاء الله هنعرف نخرج من هنا و نرجع بيتنا تاني "

اختلط صوت الأخرى بشهقات بكائها : " أول مرة أبعد

عنها كل ده .. "

مسحت نور عبرة فلتت من عينيها ، هي أيضا تعاني ،

بل تشعر بأنها عادت تلك الطفلة التائهة البعيدة عن

حزن والدها ، تريد أن تبكي ليحضر و يأخذها ،
ترتمي بأحضانها فيربت على ظهرها ، يطمئنها بصوته
الداقي الحنون أنه معها

سكتت لا تعرف بماذا تواسيها

استرلست فرح بحديثها :

"احنا بقالنا شهرين من يوم ما سافرنا عشان البعثة ،
و كنت كل يوم بظمن عليها في التليفون ،دلوقتي مش
قادرة أكلمها "

ربتت نور على كتفها : "متعيطيش يا فرح إن شاء الله
هنعرف نرجع ... و زمانهم بيدوروا علينا دلوقتي و
هيلقونا متقلقيشيلا وريني ابتسامتك الحلوة "

زينت وجهها ابتسامة حزينة بين ستار
الدموع فأعادتها نور إلى أحضانها ، تدعي الله بأن
يجمعهم بأحبائهم مرة أخرى

استلقى على اريكته يناشد النعاس ليزور عينيه و
يريقه من إرهاق يوم طويل في العمل ، أطلق تنهيدة
طويلة فأخيرا اطمئن قلبه عليهما ، فهما الآن تحت
سقف بيته و رعايته

"أنت إزاي تعمل كده ؟"

انتفض يحوقل و يبسمل ، تلك السيدة ستصيبه بسكتة
قلبية يوما ما

اقتربت منه تهزه بعنف من كتفه ، حانقة : "قوم كلمني
زي ما بكلمك "

مسح وجهه بتأفف يعلم أن محاضرة تفيدة ستبدأ الآن
لكن ليس وقتها يريد النوم فقال بصوت مرهق : "مش
وقته يا تفيدة أنا تعبان و عايز أنام "

استندت بإحدى كفيها على الأريكة و الأخرى تمسك
خصرها عاقدة حاجبها بإصرار : "لا وقته أنا عايزة
أفهم... ازاي تعمل كده ؟ ...ازاي تدخل بنتين في بيتك
من غير ما تعرف أصلهم و لا فصلهم ...؟ "

تأفف منها قائلاً : "يعني يرضيك أسيب بنتين في
الشارع و أنا في إيدي أساعدهم .. اعتبريهم زي بناتك
"

أشاحت بوجهها عنه تعترض : " أنا مقولتش
متساعدهمش ...كان ممكن تخليهم يباتوا في أي
لوكنده "

تجاهل صياحها العالي ، و نهض يتجه إلى غرفته
فتبعته لتكمل محاضرتها ، تطلق كلماتها الغاضبة مثلها
:"بنات زي دول أغراب عن المدينة تدخلهم بيتك و

تصرف عليهم و هما أغراب.... يا حسين ! "

- "معهم بطاقة إزاي هيباتوا في لوكنده "

- : "تقوم تجيبهم بيتك ... أنا معرفش أنت ازاي واثق

فيهم كده ؟.."

خلع حذاءه مستلقيا على الفراش ، يغلق الضوء

متجاهلا وجودها ، يغمض عينيه

فاشتعلت منه غيظا ، وكزته في كتفه تصيح بحنق :

"حسين أنا بكلمك رد عليا متسبنيش و تنام"

جلست على فراشه ، تهز جسده بغيظ : "حسين...يا

حسين "

قال لها و هو يتثائب : "بعدين نتكلم ..متنسيش

تصحيني على العشا "

تركها تشتعل من الغيظ و سافر إلى جزيرة أحلامه ،

أما هي فخرجت من الغرفة تغلي منه ، تغلق الباب

بعنف تبرطم بغيظ

دخان ضبابي تكاثر أمامها يحيط بها من كل مكان ، و

سكون مخيف لا يقطعه سوى صوت الرياح الثائرة

فتزيد دقائق الخوف بقلبها .. تراجعت خطواتها

للخلف ، و مقلتهاها تدوران في محجريها بخوف ، لم

ترى ذلك الجسد المبهم فتعثرت تسقط على الأرض ،

تتدحرج حتى توقف جسدها ، نهضت متكئة على كفيها

، تلمح عينين تضيئان في الظلام تسارعت أنفاسها و

زحفت للخلف بجسدها المرتعش....

اثنان أربعة ستةالعينان أصبحوا أعين في ثوان ،

نهضت تركض و تسارع الريح

تتلفت خلفها

والعيون تلاحقها بسرعة هائلة ، اصطدمت بجدار ظهر

لها من العدم لتسقط على الارض ، نهضت تنظر

للأعين الكثيرة التي تحاصرها ...

لينقشع هذا الضباب و تظهر عدة ذئاب تحدق

بها ...تقترب منها ببطئ مميت لأعصابها ..

فتلتصق هي بجدار ترجوه أن ينشق يخفيها بداخله ،

حاولت الصراخ لكن صراخها سجن بحلقها يأبى

الخروج، تشعر بدقات قلبها تكاد أن تتوقف من فرط

الرعب هل هذه هي النهاية أم ماذا؟

وفجأة قفز ذئب بفروه الأبيض أمامها ، فشهقت برعب

يزيد من ارتعاد أوصالها أصدر الذئب زمجرة

غضب مخيفة ، يحوم حولها و يشهر أنيابه لهم

كأنه يحذرهم من الاقتراب ... فهدأت قليلا تراقبه بحذر

لكن الذئب التفت بعينه السوداء لها يلحق شفثيه

لضحيته الشهية التي ستصير بمعدته بعد لحظات ، و

هنا استطاعت أن تحرر صرختها لتدوي في المكان

.....

استيقظت فزعة جراء صرخة نور التي تنام جوارها

في الفراش نفسه ، هزتها فرح بعنف قائلة : "نور

اصحي ده حلم اصحي"

نهضت تحاول انتزاع أنفاسها المتلاحقة ، تنظر حولها

بخوف ، و جسدها كأنه سكب عليه الماء ...

ناولتها فرح كوب ماء موضوع على الطاولة جوارها
قائلة : "أهدي يا نور ده كان كابوس اهدي اشربي

المية دي"

أخذت منها الكوب بيدها المرتعشة و شربت بضعة
رشفات و أعطته لها ، تقول وسط لهاثها : "الحمد لله
أنه كان كابوس الحمد لله"

اعتدلت صديقتها في جلستها : "احكي لي شوفتي إيه "
بدأت نور تروي لها الكابوس العجيب و بعد أن انتهت
أردفت : " أنا مش مرتاحة للمكان العجيب اللي أحنا
فيه يا فرح ... كل ما بيمر يوم علينا بحس بالخوف و

القلق في

المكان ده و من اللي حوليا "

- "قصدك عم حسين ... شيلي الأوهام دي من دماغك
الرجل كويس معانا و فتحلنا بيته و قاعدنا فيه من غير
ما يطلب فلوس "

- "مهو ده اللي قلقني و مخاوفني يستضيف ناس
ميعرفهاش و يسكنها الشقة بتاعته من غير فلوس و
دفع اجرة المستشفى .. كل ده من غير مقابل ... اكيد
في سبب خلاه يعمل كده "

استلقت فرح على الفراش مرة أخرى ، تقول لها و هي
تتأب : "متفترضيش سوء النية ... الراجل طيب و
جدع مش اكثر و بيعاملنا زي بناته زي ما بيقول نامي
... و شيلي الأوهام دي من دماغك"

أغمضت عينيها عائدة لنومها ...

أما نور فقد سرق هذا الكابوس النوم من عينيها ،
نهضت من الفراش متجهة إلى الشرفة تراقب القمر

الذي اقترب للاكتمال ، تأملته و هو متربع على عرشه
و حوله نجوم صغيرة تتلأأ حوله ليزداد جمالا ، و
رغم مشهده البديع إلا أن عقلها سبح بعالم أفكاره
لدقائق.. لتقطع أفكارها ، وتتسع عينيها بدهشة و هي
تنظر إلى القمر الذي ظهرت له عينان خضراوان
يشعان بطريقة غريبة ، و مثلما ظهرت فجأة اختفتا
فجأة ، و عاد كل شئ كالسابق.....

رمشت نور عينيها عدة مرات تحاول أن تستوعب هل
حدث ذلك فعلا ؟ أم هي تهلوس بسبب هذا

الكابوس ؟

تنزل آخر درجات السلم متنازلة عن عرشها لملك
اخر ، تسحب ذيل فستانها ساحبا معه حمرة الشفق ،
الذي يودع السماء ، يرسل آخر خيوطه الحمراء لها

للتدحرج دمة فلتت من اسوار عينيها تجر معها ذكرى

جميلة لم تنسها

حلوى حمراء لذيذة بهالتها المتلاأة تسقط ببطى في
فمه فتتلون خدي مياة البحر بحمرة شفق ، تخطف
ألباب و عيون المحبين ، ينحسر الشفق تدريجيا ، و
قبل أن يغادر ودعهم بخيوطه الحمراء الأخيرة التي
سقطت على بيتها يزينه بهالته تضع آخر لمساتها على
البيت ، تنتهد تراقب بخوف مياة البحر التي تندفع
سريعا نحو بيتها و تدنو منه تكاد تهدمه بعد تعبها في
صنعه ، و لكن تسقط المياة في حفرة حفرتها حوله
لتحمي بيتها الرملي من الهدم....فابتسمت باطمئنان
لكن سقطت عليه قطرات من الماء تهدم أحد جدران

البيت

نظرت بغيظ لها تراها تضحك ملئ شدقتيها تحت ضوء
الأحمر فيضفي لوجهها بهاء مشرق ، ابتسمت قليلا
لأختها ، لكن نهضت فجأة تقبض بيدها على بعض

الرمال

ركضت نور قائلة : "نورين خلاص يا مجنونة "

لم تتركها ركضت خلفها تقذفها بكرة الرمال

للتفادها نور بسهولة متجه إلى البحر

لم تستسلم الأخيرة ركضت خلفها ترشقها بالماء ، و

ظلا يتصارعان بالماء حتى تعبنا

جلست نورين بجوار بيتها الرملي تلهث بشدة

سمعت اختها تقول و هي متجه إلى البحر ثانية : "يا

بنتي في واحدة في سنك لسه بتلعب في الطين ، ده

انتِ داخلة الجامعة "

التقطت انفاسها مبتسمة : "اه أنا ، و أنتِ مالك ..."

- "تعالى طيب خديك غطس دي المية جميلة"

- "لا و أنتِ متعبتيش بقالك كثير فى المية "

، فتبتسم لها ملوحة متجه الى البحر تهتف : "مفيش
أحلى من المية ، أنا هروح أخذ غطس على ميجي بابا

"

أوقفتها نورين لتركض نحو هاتفها ، و تحبس هذه

اللحظة بصورة لها

و بعدها تركتها لتسبح بالماء قليلا كما تشاء ...

تأملت صورتها على الهاتف ، عيان عاد لهما الحياة

و صارتا يتلألآن بفرح ، و وجنتان دب فيهما الدماء

لتشرقان بضوء الشفق الذي سقط عليهما ، اختلط
بحمرة فستانها الخلاب لتزيدهما جمالا على جمال
و فم يبتسم بعد عام من الأحزان سكن قلبها الأبيض ،
عام كامل خيم الحزن على بيتهم الصغير ، بالأخص
أختها نور ، كانت حزينة دائما لا تتكلم كثير ، تبكي ليلا
و تكتم بكائها بوسادتها ، غير منتبه لاهتزاز جسدها
الذي تشعر به كل يوم ، و بعد هذا الحزن ، قرر
والدهما سرقة أسبوع من دراسة شهر سبتمبر
ليودعوا الحزن و يدخل إلى قلب أبنتيه الفرح ، و
سافروا إلى الاسكندرية

.....

لوحة خلاية تحت السماء الحمراء أرادت الاحتفاظ
بها

، لم تعلم أنها آخر صورة تلتقطها لها قبل اختفاءها....

تدحرجت دموع أخرى تتسابق ليسقطوا على صورة

نور...

_"نورين يا نورين..."

انتفضت من الصوت تمسح دموعها سريعا ، و تغلق
هاتفها قبل أن تلتفت لتلك المتطفولة التي اقتحمت هالة
حزنها و قطعت سيل ذكرياتها ...

، دنت منها الفتاة تتوقف خلفها تكرر ندائها ،
استغرقت نورين عدة ثواني لتسيطر على عضلات
وجها و تجبرها كسرا على انفراج فمها و رسم
ابتسامة فخرجت منها مصطنعة ، خرج صوتها مختنق
رغم محاولاتها الفاشلة للسيطرة عليه : " أزيك يا
رانيا... عاملة ايه "

ابتسمت الفتاة لها و قالت : " أنا الحمد لله بس أنتِ ايه
اللي مقعدك هنا لوحدك فين صحابك ...؟ "

ربط لسان الأخيرة و علقت الحروف بجوفها لم تستطع

تكوين جملة واحدة

سألتها الفتاة بلزوجة تضغط عليها : "مالك يا بنتي

بقيتي تقدي لوحدك اليومين دول و مبخفكيش

معاهم ، هو انتوا متخاصمين؟"

لاحظت رانيا اختناق صوتها و احمرار أنفها فسألتها :

"مالك هو انتي كنتي بتعيطي و لا ايه؟"

ارتعشت ابتسامتها المصطنعة تحاول التحكم في

حروفها المضطربة و كلماتها المبعثرة : "متخصصين

ايه ...يبنتي بس

بعيط ايه ...بتجيبني الكلام ده منين؟"

ضيق عينيها في شك تهتف : "امال قاعدة لوحدك ليه

"؟"

ضيق السؤال الخناق على نورين و حاصرتها ، ارادت
ايجاد مخرج للهرب من هذا الصقر ، فابتلعت لعبها
محاولة سيطرة علي توترها ليخرج صوتها مرتبك
الكلمات : "قاعدة لوحدي ع.....عادي ...مفيش..

حاجة متقلقيش "

كادت رانيا أن تتحدث و لكن نورين قالت : "سلام بقي
يا رانيا عشان اتأخرت "

أخذت حقيبتها تنزل السلم سريعا قبل أن تفتح فمها
ثانية ،

اسرعت الخطى إلى بوابة الجامعة ، تخرج تاركة
قيادتها لقدميها التي حفظت دربها عن ظهر قلب ، أم
عقلها ظل يفكر فيما قالته رانيا ، تلك الفتاة تمتلك
عيني صقر حادة ترصد فريستها الصغيرة على ارتفاع
عالي ، تلاحظ أدق التفاصيل ، هوايتها تركيز مع

الأشخاص و جمع معلومات عنهم ، بذكائها الحاد
تجمع ما لحظته يستنتج ماذا يحدث في وقت قياسي ،
هي الوحيدة التي لاحظت ذلك ، و أصدقائها لم يشعروا
باختلاف ابتسمت ابتسامة جانبية ، هؤلاء ليسوا
كذلك اكملت طريقها و عقلها يسبح في ملكوته غير
منتبه لما يحدث حوله ...

جسدها يسبح في ظلام دامس و سكون رتيب يلفها ، لا
يقطعه سوى صوت أنفاسها الرتيبة ، لا طاقة لها أن
تشعل ضوء واحد يحارب الظلام فهو تسرب إلى قلبها
و تمكن منه ، لتمطر عليه غيمات حزن وسط ليل معتم
خيم عليها

لا يؤنس وحدتها سوى دمعات تجود بها عينيها مربتة
بها على قلبها الحزين ، تخفف من هوة ظلام تكاد

تبتلعها .. استغل أشباح الليل ظلامه الدامس ،
حاصروها ليستحوذوا عليها و يقتاتوا من بقاياها ،
يوسوس لها أحدهم :

- "لقد هجرك الجميع ، أختك أمك حتى والدك الذي
يتنفس الألم كل يوم ، أتخذ من العمل حصنا من الأمان
و أحزانه ، أنه لا يأتي إلى البيت إلا للنوم هربا من
الذكريات التي صارت كوحوش ضارية تطارده في كل
مكان بالبيت ، تركك وحيدة تغرقين في ظلمة الذكريات
و الحزن"

نفضت رأسها من وسوسته ، فقابلها شبح آخر يبتسم
بسخرية و يقول لها : " تسأل رانيا عن اصدقاءك ، أين
هم ؟ أصدقاؤك الذين يضعونك على هامش حياتهم لا
يبحثون عنك أو يتحسسون أخبارك إلا حين يحتاجون
إليك ، لا يتحدثون معك أو يبتسمون بوجهك إلا إذا

غاب البطل الرئيسي فانتِ تلعبين دور الكومبارس في
حياتهم العادية ، لا يتبادلون الأحاديث معكِ سوى
بتحية باردة ، و حزن روتيني اختفى منه الدفئ هم
ليس بأصدقائك"

سدت أذنها عن تلك الوسوسة

فارتفع صوته أكثر وقد زادت ابتسامته انتصارا يذكرها
بذكرى تتناساها ، بل و أقرن صوته السام بمشهد
تصويري يعرض أمام عينينها

تثني ساقها كل دقيقة من الألم تتبادل أقدامها وردية
الوقوف ، تكاد تتخلى عنها و تسقطها ...تأففت بضيق
كل هذا و لم يأتي المترو لكي يقلهم إلى محطتهم
المنشودة.....

ابتسمت حين سمعت صفارة المترو تعلن عن قدومها و
دخولها المحطة توقف أمامها ، دخلت معها وسطهم

تقتحم الحشد الغفير ، تحشر نفسها وسط هذا وذاك
لتصل هي و صديقتها إلى ركن بجانب الحائط ، يجلسا
على الأرض فقد تعبت أقدامهم من الوقوف ،
غزل النعاس مغزله يجذب جفניה ليصنع من النوم
رداء تلتحف به و تغط بنوم عميق ، اراحت رأسها
على كتف صديقتها و اسلمت نفسها لنعاس يفصلها
عن ضوضاء المترو و صياح البائعين داخله ، لكن
هيهات عادت إلى أرض الواقع بدفعة تزيح رأسها عن
ذاك الكتف ، تدفعها عنها كأنها مرض معدي تخاف
منه ...

أعدلت بجلستها في حرج من نظرات تلك الفتاة....

.....

توقف الفيديو فلم يستسلم شبحتها و أتاها بذكري أخرى

سيئة

تذكرها بكثير من المرات التي تحدثت فيها تلك الفتاة
بطريقة جافة معها ، تلقي عليها كلمات مثلها ، و كيف
كانت تقول لها بجفاء ابتعدي لاننا نحكي عن اسرار
بيننا....

و ذكرها كيف كانت تحاول خلق الأحاديث معهن ،
لكنهن لا ينتبهن لها كأنها سراب يقف بينهن ، يظن
يتحدثن مع بعضهن تذكرت الكثير و الكثير من
المواقف الباردة التي جمعتهم ، فجفت أوراق
صداقتهم و تساقطت بل تجمع عليها الثلوج فبردت و
ماتت شجرة صداقتهم ، صارت تختلق الحجج و
الأعذار للابتعاد عنهن ، و أضحت جامعتها برد قارس
تهرب منه ،

لكنها اتخذت من هاتفها صديقا لها يونسها في تلك
الجامعة الباردة فهي لن تفرض نفسها عليهن ، شيدت

من روايات التي تقراءها عالما ، و من شخصيات
الروايات اصدقاء تخترق عالمهم ، تعيش معهم بكل
جوارحها تتفاعل مع أحداثها ، تبكي لحزنهم ، تفرح و
تبتهج لأفراحهم ، شيدت عالم افتراضي من الروايات
تحارب به وحدتها الموحشة ، و بات سور الجامعة
مكانها المفضل و مهربها الوحيد الذي تذهب إليه
تخترق فجوة عالمها ، تتحدث مع
اصدقائها... تواسيهم و تفرح معهم ،

نفضت رأسها من وسوسات أشباحها لتغادرها قواها
كما هجرها الجميع و تسقط على فراشها تتلمس أصابع
أختها التي لامست وسادتها ، تكورت على ذاتها تبني
شرنقة من ذكريات تستمد عطر نور المتشبت
بوسادتها ، مكتفية به عن العالم فهي صارت كشجرة
جافة الأغصان غادرها ضوء الشمس ، تخلي عنها

صاحبها متوقفا عن ريتها بالماء فصارت تبحث
بجذورها عن ماء ذكريات تحتفظ به الأرض ، تقاط
منه ما يبقي روحها الحزينة متشبثة بجسدها متمسكة
بذرة أمل واحدة و هي عودة أختها المختفية تعود لها
كأم و صديقة و أخت لها

سكبت دموع اكثر على وسادة نور لتتشربها بترحاب
تربت عليها بعطر أختها المفقودة لتتمتم بين شهقات
بكاء : أين انت يا نور ... أين انت؟

تسابت نسمات الخريف فيما بينها ، تلعب و تلعو ،
تبعثر أوراق الشجر من أغصانها تلفها بدوائر ،
تهدهدها و تصعد بها حتى تنثرها بعشوائية في
الطرقات تتساقط كالمطر على الارض ، و هذه المرة
اخترقت نافذتها تبعثرها على وجهها ، فتعلق الأوراق

بخصلاتها القصيرة ، تداعب النسمات خصلاتها و
تدخل بين ثناياها فتتأرجح مرتبكة بين حبال ذكرياتها
لتسقط بعض الأوراق منه كصاحبته التي تتأرجح بين
حبال الذكريات ، تسافر بها إلى ذكري الخريف
تبعثر الرياح أوراق الخريف بوجهها تتشبث بخصلاتها
الناعمة ، تبتسم نورين و تخلصها من أوراق الشجر
تضمها إليها تقبلها ، تهمس لها همسات ، ثم تبعثرها
في الهواء تماما كأماها تودعهم كل خريف تبعثرهم في
الهواء فهي كائنات تشعر مثلنا ، و هذه أوراق
شجرتهم التي زرعتها والدتهم أمام البيت و اعتنت بها
و بأوراقها حتى صارت جزء من عائلتها الصغيرة

.....

أطلقت زفرة طويلة تتأمله بعبائته السوداء المرصعة
بجواهر متلألأة ، قد اكتمل نموه و اصبح بدر ، طافت

عينيها على الطرق و المحال ، شوارع خالية من
الناس و محال مغلقة ، لقد أخبرها عم حسين ان اليوم
عطلة تغلق فيه المحال قبل الليل ، التفتت إلى فرح
التي غلبها سلطان النوم مبكرا بعد تناولها الغداء الذي
أتى به عم حسين ، تعجبت لنومها بهذا الوقت ، ضيقت
عينيها قليلا و عقلها يدق مسمار شك آخر هي لم تأكل
من هذا الطعام متعلقة بتعب معدتها ، هل يحتوي الطعام
على مخدر أم شئ آخر ؟

ركضت نحوها تضع يدها مقابل أنفها تعد أنفاسها
لتنهد بعدها بارتياح ، خوف موحش أطبق على
أنفاسها فجأة ، خنقها رغم رياح القوية ، و قبضة
خوف تقبض على قلبها ...

ثواني و شق سكون الليل أنين خافت و تأوهات متألمة
، عادت إلي النافذة تشاغل نفسها بتأمل القمر عله

يلهيها عن الخوف الذي تسرب اليها ، لتفرك عينيها
فجأة حين انبثقت عينان خضراوان من القمر كالليلة
السابقة ، أغلقت عينيها عدة مرات و لكن لم تختفي
العينان ، بل ظلتا محددتان بها ، و فجأة أصدرت ضوء
أخضر شديد أعمى عينيها ...

انتفضت مبتعدة عن النافذة تجري و تجلس بجوار
الأخرى ، تهزها لتستيقظ ، لكن الفتاة في عالم آخر لا
تستجيب لندائها

مازال الشعاع الأخضر يعبث بالغرفة كما عبث بدقات
قلبها ، أطبقت جفنيها بخوف و شرعتها من
جديد ، لكن أين الضوء نهضت باتجاه النافذة ، لقد
اختفت العينان و القمر كما هو ، أمسكت رأسها
متعجبة ، هي متأكدة انها رأت العينان و شعاع الضوء
، قرصت وجنتها تتأكد انها لا تحلم ...

نعم هي ليست بحلم كل شئ حقيقة ...

عادت الأناث و الهمهمات المتألّمة تشق سكون الليل
المخيف مقتحمة أذنها تجذبها إليها ، إنها قريبة ،
تتبع الصوت بفضول غلب خوفها مرجحة احتمال
وجود شخص متألم أو يحتاج المساعدة بهذا الليل
الموحش

دنت من باب الشقة كل خطوة تخطيها تزداد معها
ضربات قلبها ، هل تتراجع متجاهلة الأناث المستغيثة
بها ، أم تتقدّها ؟ تراجت يدها المرتعشة ثانية و لكن
وخز ضميرها اجبرها على جمع شتات شجاعته فتفتح
الباب ...

نزلت بخطوات مرتعدة مرتعشة تريد الهروب من فيلم
رعب الذي اخترقته ، لكن فضولها غلبها ودفعها دفعا
لحب الاكتشاف.. و ضميرها يوخزها لتتقد المتألم

كلما نزلت درجات السلم تزداد الهمهمات ، تتبعت
الصوت حتى صارت أمام شقة بدور الأرضي يغلقها
قفل ، قربت اذنها من الباب الهمهمات هنا ، بحثت
بعينها على أي شئ حاد ، تفتح به باب الشقة عثرت
على فأس كسرت به القفل ، زادت الهمهمات
المتألمة ، فتتبع أثرها ، تجمدت قدماها فجأة ،
اتسعت حدقتها ، و شهقة مرتعبة كتمتها بصعوبة ..

الفصل السادس

أنفاس متلاحقة تركض هاربة تنجو من جسد واهن
اقترب من الموت ، رعشات متتالية منتفضة إثر مس
برد كهربائي سرى بعظامه الممزقة ، كأنها زجاج
رقيق متشقق تحطم من رياح خفيفة ،

، بقعة مظلمة غرق فيها الجسد رغم الضوء المتسرب
من النافذة ، يقسم بأنه سيشق نصفين من الألم كأن
احدهم يجذب جسمه من الجانبين ، نازعت دمعة تشق
طريقها للفرار منه هي الأخرى ، ينازع صوته محبسه
ليتحرك بعد محاولاته الفاشلة للنجاة ، يخرج أنات
عجوز سلبتها الأحزان قوتها ، و أثنى ظهرها الدهر

...

وفجأة خفتت الأنات و سكن الألم ، تتأملت الأجفان و
تعانقت ليغرق بهوة مظلمة للحظات ، لكن صليل حديد
متصادم افاقه ، و انتشله من الظلام ليرى طيف كأنه
ملاك انبثق من العدم يحمل بيده فأس يطرق به على
أصفاة قوية تقبض على معصميه بقوة عابثة بها
بخربشات كثيرة و جروح مؤلمة ، ...

أغلق جفنيه ثانية لكن الصوت جذبته بأصرار لعالم
الواقع ، هاجمته أوجاعه بضراوة ، فأصدر أهة
خافته ، و شرع عينيه ترى هذه المرة صورة شخص
مشوشة بالكاد يراه من ضوء خافت يطرق أصفاده
المسلسلة باحكام في حائط يقيد حركته ، يحبسه بهذه
البقعة المظلمة وحده راقد على أرض باردة يحارب
ألمه ، ينازع مع أناته الضعيفة

بالكاد التقطت أذنه صوت أنثوي قلق : "أنت كويس ،
مين عمل فيك كده؟"

جاهد عقله صديد الألم المتشكل على تروسه ، يديرها
ببطئ ، يجمع بيانات يدخلها في جهازه لينتج
معلومات يخزنها ،

إذن هذا الشخص فتاة لكن ماذا تفعل هنا ؟ و كيف
اقتحمت سجنه المغلق بقفل محكم ؟ كيف تجاوزت

الأبواب المغلقة ؟ عاد الصوت الأنثوي يتردد على

مسامعه :

"متقلّش هخرجك من هنا...."

ازدادت المطارق على رأسه ليجاهدها بضراوة ، يفكر

هي لا يجب أن تكون هنا ،

خرج صوته الواهن ينازع قيوده : "سيبني ... و

امشي من هنا.. لازم تمشي"

عاندت الفتاة و قالت بأصرار :

"لا مش هسيبك ...مين اللي عمل فيك كده"

فجاهد يجمع أحرفه المبعثرة لتخرج كلمات متقطعة :

"سيبني و اهربي قبل ... قبل ما يفوت...ت.....

"الأوان "

تجاهلت قوله و استمرت تطرق قيوده بقوة أكبر

تحدث شق بها ،

عاد حنجرته يجاهد لتخرج نبرته مبحوحة متعبة : " لا

... ابعدى ... اهربي ..الأوان "

لم تفهم منه شئ و لكن ضميرها وكزها كالعادة دفعها

تكمل ما بدأتها ، تسالت بقعتان ضوء خضراء من

النافذة تضيء الأخرى المظلمة فتوقفت ، لكن قلبها لم

يتوقف عن طرقات الخوف المتسارعةينذرنا

بنذير شؤم قادم جملة مشتته أصابت جسدها

بقشعريرة باردة

"ف...فات الاوان "

أعدت العينان المشعتان إلى القمر أم ماذا ؟

اقتربت من النافذة ، ترهما يتوسطانه ، لكن هذه
المرّة ابتعدت العينان عنه و ابتلعهما دخان اسود
مخيف خيم عليه ، تحرك يتشكل في غيمة سوداء
تطفو و تسبح في الفضاء ، لكن هل هي تكبر أم
تقترب ؟ فركت عينيها عدة مرات ...

هل أصابها الجنون عابثا بعقلها لتخرف و يتهيئ لها
اشياء عجيبة؟

فجأة تكاثف الدخان الأسود أمام عينيها تقهقرت
خطواتها مرتعبة ،

اقتحم الغرفة ، يدور في دوائر ، و في غمضة عين
صارت هي مركزها ، لا تعرف متى و كيف حدث ذلك ،
كل ما تعلمه أنها في ثوان دخلت في مداره ، تصير
محورا يلف حوله بسرعة هائلة أدارت عقلها معه و
أفقدته اتزانه ، سكن الدخان أمامها مباشرة يتجمع و

ينمو ، نبتت له عيان ، أنشق جفناها تبرز منهما
حدقتان خضراوان مشعتان ، أتسعت مقلتاها و تجمدت
أقدامها من الصدمة ، هاتان نفسها عينا القمر

تصاعد الذعر يقبض على قلبها يخنق

صوتهارابطا لسانها بسلاسله

تشكل الدخان في صورة رأس كبير ينمو له فم ضخ
استطالت انيابه بغتة

حارب صوتها يد الذعر حتى تحرر مرتعشا ، جاهد
لسانها قيود الخوف ، لتتعر حروفه و تخرج متقطعة :
"ذ.....ذ.....ذ.....ذئب "

ابتسم الفم الضخم لتلمع أنيابه ، اقشعر جسدها ،
تتلقت حولها بهلع إثر سماعها لصوت ضحكات عالية
تجلل بأرجاء الغرفة

من أين صدرت هذه الضحكة هل هي من فاه الكائن

العجيب أم من احد آخر ...؟

لم يتسع وقتها لكي تفهم شئ ،فتح فاهه على وسعه ،

للتحرر أقدام نور عن تجمدها تتراجع متسرعة مبتعدة

عن مرماه ،

ارتفع الوجه الكبير كالصاروخ ، يحوم حول الفتى

الساقط على الأرض منكس الجبين

، لكنه رفع جبينه بغتة يواجهه ، كأن خيوط تحرك

جسده الواهن يفتح ثغره ، ينكمش الذئب هابطا

كشهاب مقتحما ثغره ، ينبعث منه ضوء اخضر يركض

سريعا إلى حلقه و من بعدها نحو قلبه حيث مستقره ،

تصاعدت أبخرة سوداء من فاه حتى اختفى و

خفتت الهالة الخضراء

قبض على قلبه مصدرا أنات ، ماتت به الأرض
محتضنة جسده في سكون مهيب لفها ، سكون يسبق
صواعق....

اقتربت بخطوات مرتعشة و قلبها يكاد يفقد
النبضات ... تحملق فيه هل مات و أصبح جثة
هامدة....؟

دنت منه

تكور على ذاته بوضع جنين ،نمى له شعر كثيف ،
تضخمت عضلاته

و هي تحرق به مشدوهة ، رقبتها ترتفع تدريجيا
وقف قبالتها لكن ليس هذا الشاب الصغير ذا الشعر
الأسود ، بل جسد ضخم يقف على أربع قوائم يكسوها

فراء بلون شعره نفسه كثيف يحيط جسد قوي ، و

وجهه تحول إلى وجه ذئب

يقترب منها ببطئ مميت لأعصابها ، و هي تتراجع

بالمثل ، تقل معها نبضات قلبها تخفت تكاد تسكن

لتموت من فيلم رعب اقتحمته بكامل إرادتها حتى

ترضي ضميرها و ترضي فضولها الغبي الذي سيقتلها

بعد قليل

لعق الذئب فمه و عيناه مثبتتان على ضحيته المرتعدة

أوقفته قيوده ليحرك قائمته بعنف يحطمها بسهولة ،

دنى منها نافشا فروه بزهو ، خطوات متأنية خطاها

نحوها ، ارتعدت لها أوصالها و هربت الدماء منها

تقسم أن قلبها سيتوقف عن النبض

مستحيل أن ما تراه حلم لا ، كله حقيقة ينبض بالحياة

اصطدم جسدها بحائط خلفها ، ليعوي هو بانتصار ...

و من وراءه ترددت أصوات عواء كثيرة ، تصاعد
طنين أذنها يغطي عليها ، سقطت مغمضة العينان ،
يختطفها ظلام ينجيها منه

وقف على أصابع قدميه يرفع يديه عاليا يستطيل
جسده يحاول جاهدا التقاطها ، لكنه فشل ثانية ،
ارتفعت حقيبته أكثر

ابتسم الفتى الآخر بسخرية ...

و قرب الحقيبة منه ، يفتحها و يقلب محتوياتها على
أرض

تساقطت عبرات الصغير بقهر

إلى أن شعر بيد أحدهم تخبأه خلف ظهره ،

فرّفع رأسه ليراهأ تقف أمام الفتى كقطة شرسة
تلتقطها منه ، تلكمه بيدها فيقع الفتى على الأرض
التقطت ما وقع من حقييته ، انحنت أمامه تحتضن
جسده الصغير و تمسح عبراته بحنان أم وليد بفطرتها
البريئة ،

تعلقت عيناه بالمشهد لكن عقله سافر الي مشهد

آخر

فتاة أكبر منها تعقد حاجبها بغضب ، تسدد يدها لكلمات
قويه ، تركل قدمها ركلات لا تخطئ مرماها ، حتى
تُسقط خصمها أرضا ، بعدها تلتقط أشياءه
تقترب من صغيرها الذي يفرك عينيه ببراءة ،

انحنت قليلا تساعده في الوقوف ، تتفض ثيابه من
تراب علق بها ، تمسح دموعه الغالية ، تحضنه بحنان
أم ولدت داخلها منذ أول صرخات أطلقها هذا الصغير
فيشدد من ضمها إليه ، يتلمس حنان و أمان يحميه
من هذا العالم

.....

كثيرا ما كانت أخته أم صغيرة له تحتضنه و تعتي
به ، تدافع عنه ضد زملائه الأشرار كما أطلق عليهم
في صغره ، ابتسم قليلا

يتذكر لقبها الذي يطلقه عليها دائما فتاة الخارقة ،
توقفت مقلتهاه عند سيارة مهترئة يتصاعد منها دخان
كثيف ، فتح الولد غطاءها ، يهب دخانها الساخن
عليه يلهب وجهه ...

و رغم سخونته ، يدنو منها يصلحها يمسح عرق نبت

على جبهته ، فتتلخ بشحم السيارة

طافت ذكرى أخرى أمامه

ينحني فتى ذا السادسة عشر عام برشاقة يلتقط أداة و

يربط بها مسمار ، يفك بها آخر يخرج أدوات من

السيارة و يدخل غيرها

يمسح جبهته بيده السوداء ، ينتقل الشحم إلى جبهته و

وجنته ،

شهق إثر يد أحدهم تقبض على تلايبه من الخلف ، و

تجذبه ، التفت ليرى فتاة بطوله تقريبا غضن الغضب

جبينها ، سألته و شرر يتطاير من عينيها : "أنت بتعمل

أيه هنا ؟ "

كاد أن يجيبها لكن أردفت بسؤال آخر: "ازاي مترحش

الدرس؟"

فتح فمه و لكن سدت طريق كلماته بقولها : "بقى أنا

أقف في نص هدومي أدام المدرس و معرفش أخويا.

بيروح فين بدل الدرس ..."

ران إلى الصمت ينتظر كلمات أخرى تضيفها

فتقول بغضب: "ما ترد عليا ، سكت ليه؟"

- "مستني لما تخلصي كلامك"

أخذ يحكي لها كيف كان يراها تدخل المنزل بظهر

منحني و عيناں مرهقتان و ترتمي على الفراش ؟

كيف كانت تعود من الجامعة ، تركض هنا و هناك في

الشقة تلتقط يديها ما تطاله ، تجمععه في حقيبتها لتقفز

درجات السلم ، تلحق بعملها في المكتبة ؟

حكى لها عن وخز ضميره الذي يؤنبه ، كيف يتركها
تذبل يوم بعد يوم و تحمل مسؤولية كبيرة تثقل كاهلها
أخبرها أنه رجل المنزل ، يجب عليه العمل و حمل
المسؤولية عنها ، حتى لو ترك الدراسة ...

عندها فقط ربتت على كتفه تقول : " أنت راجل فعلا يا
حامد ، اعتمد عليه ، بس ما تنساش انك ابني رغم
خمس سنين بس الفرق ما بينا ، إلا أنك ابني اللي
عايزة افخر بيه و يحقق حلمه و يبقى مهندس أد الدنيا
، و ساعتها بس تقدر تشيل المسؤولية عني ، و أنا
مشتكتش"

يتذكر كلماتها جيدا حرصها الشديد ليكمل ثانوية العامة
، فرحها له حين قال لها أن مجموعته قُبل في كلية
الهندسة ،

لم ينسى كيف طارت حينها و تعلقت برقبتة و لسانها
يلهج بحمد و شكر ...

.....

- "حامد ...يا حامد مالك سرحان في ايه"

انتشله من ذكرياته .. صوت صديقه

التفت إليه رآه يجلس بجانبه على القهوة ، عاد ببصره
إلى ذاك المنهمك بإصلاح السيارة ...

يقول بنبرة حزينة :

"المصاريف كترت اوي يا صاحبيو أمي تعبت من

كتر الشغلبقيت أحس إني أسألك عبء

عليهاعايز اشتغل و اشيل الهم ده كله عنها "

:- "تشتغل أزاي بس و تسيب جامعتك؟"

-: " لا مش هسيب الجامعة ، أنا هشتغل مع

الدراسة "

صمت سمير قليلا نظر حامد إليه يردف :

- "سمير مش أنت قولتلي أن الأسطي بتاعك طرد

واحد من صبيانه و عايز واحد يشتغل مكانه ؟ "

أوما صديقه موافقا يرتشف بضع رشفات من كوب

شاي

فاستتف حديثه بنبرة يشوبها الحماس : "طب خلاص

اتحلت ما تكلم لي الاسطى بتاعك يخلي يشغلني

عنده "

أعاد الكوب مكانه : " يشغلك ازاي يا ابني ؟ ده شغل

الورشه بيبقي في ميعاد الجامعة بتاعتك ، ازاي

هتشتغل و تروح الجامعة و تذاكر ؟ "

- "متقلّش ، الجامعة مش هروحها غير على

الامتحانات و المحاضرات هاخدها من زميلي"

-: أنت متأكد من اللي بتقوله...."

- "أيوا متأكد"

حذره سمير :- " و مش هتندم بعد كده ؟ "

هز رأسه بلا ، اجابه سمير

: " خلاص هكلمه بكرا و هشوف رأيه ايه و هقولك "

ابتسم حامد بأمل تخلل كلماته :- " تمام يا

سمير ...متساش تكلمه بكرا ... "

صمتوا لثواني قليلة قطعها سمير :

- "لسه بردو مجتش أخبار عن الأنسة فرح "

اجتاح الحزن قسماات وجهه و نبرته أيضا : "لسه

البوليس ملقاش أي أثر عنها... "

دعا الأخير : " يارب ترجعلكوا بالسلامة ! "

أمن وراءه بقلبه و هو يلوم نفسه ألف مرة لأنه وافق
على سفرها ، بل على عملها من الأساس ، فهي تهتم
برأيه تأخذ مشورته في كل شئ تعده صديقها و أبيها
بالواقف ذاته ، فإذا لم يوافق تحاول اقناعه بشتى
الطرق ، و إذا لم يقتنع لا تفعل

لكنه وافق لكي لا يطفى فرحتها المتلاألة بعينيها ، و
لا يخدم حماسها ، أراد أن تعمل ما تحب ، أن تحقق
ما سعت إليه لسنوات ، لكن ليته اخمد حماسها ، ليته
اطفى فرحتها ، ليتها تعود لعملها السابق بالمكتبة
حيث يراها كل يوم عند دخوله الحارة ، تعمل كمنحلة
دؤب تطير هنا و هناك ، تجمع قوط يومها قطرة قطرة
من الازهار ،

يا ليت و يا ليت ، لكن هل هذه الكلمة تعيد زمن إلي
وراء؟ أتصلح كل شئ؟ أتسكت هذا الألم الذي يغور
بصدره؟ أيسكت أفكاره السوداء التي ترسم له نهايات
مأساوية لبطلته الخارقة؟

استغفر ربه ، ليت كلمة واهمة لا تعيد الزمان و لا
تمسح ذنب ، وحده الدعاء يغير قدر بلحظة
واحدة.....رفع عينيه إلى السماء يدعو ربه بأن تعود
سألمة له

صورة مشوشة أخذت تتبين شيئا فشيئا ، قائمة حيوان
بفراء أبيض ضخمة

، تجيء و تذهب تدنو منها و تبتعد ، رمشت عينيها
عدة مرات ترى ذاك الذئب الذي اقتحم أحلامها كسرا
، لكنه أضخم و أكبر من الآخر ، أعاد هذا الحلم

يخترق منامها؟ هل كانت تحلم كل هذا؟ استتدت
بمرفقها إلى الحائط تعتدل، لكنها شهقت بفرع لما رأت
الأسود يقترب منها لاعقا شفثيه، لكنه سقط، يجثم
عليه الآخر يمنع تقدمه، زمجر الأسود بغضب يتلوى
تحتة يقاوم ثقل خصمه، يحاول التخلص منه،

اقتربت نور من الباب تتلمس الجدار بيدين
مرتعتين، توزع نظراتها بينهم وبين الباب، بقي
خطوتين و تصل، لكن قطعها جسد الأبيض يصطدم
بمنفذ نجاتها و يهوى أرضا أمامها، و عدوه يعود
يتقاتل معه بشراسه يخربش وجه يخمش رقبتة و
الثاني يقاومه و يتفادى ضرباته، تمكن أخيرا من دفعه
بعيدا عنه ...

وقف يراقبه لاهثا ، دارا حول بعضهما في دائرة
يتصارعا بنظرات حادة ، واحدة محذرة و الأخرى
غاضبة

عادت خطوات نور تدنو من الباب تتلمس النجاة ،إلي
أن أمسكت مقبضه متلفتة خلفها ، أدارت الباب و الأمل
يشجعها و يدعمها ، لكن قتله زمجرة غاضبة و دفعة
أوقعتها مبعدة إياها عنه...

نظرت بعينان ملئهما الخوف ، و دمعتان تتوسله
الرحمة لكن الذئب الأسود أشرف عليها بقفزة واحدة ،
الآن ستصبح ضحيته بين انيابه تلكها ببطئ و تنزلق
إلي بطنه تشبع بطنه الجائعة

لعابه يسيل عليها يزيد نبضات قلبها ارتعاشا ، قطرات
دمها هربت من عروقهها

فتح فمه فصرخت تغمض عينيها بخوف

سمعت ارتطام قوي لتهتز الأرض من تحتها ، فتحت
جفنيها ، لم تلتقطه نظراتها طافت في الغرفة تبحث
عنه ، رأت الذي هاجمها راقد على الأرض يحرك
قوائمه بعشوائية يقاوم الأبيض

اعتدلت تزحف بجسدها إلى الخلف تحتمي بالحائط ، و
حدقتها مثبتتان عليهما لا تتحرك أنشا واحدا

كأن قدمها تجمدت لا تقوى على النهوض

نجح الأسود في أصابة خصمه بخربشات في عنقه

زمجر

الأخر يتألم ... و لكنه تماسك و ظل جاثما عليه ، التفت

إلى الفتاة الشاحبة التي ترتعش خوفا تنتظر من

سيفوز بها ،

عقد حاجبيه مزمجرا ، فانتفضت تشهق برعب ، صاح

اثانية يشير برأسه إلى الباب ، نظرت إليه ببلاها

كرر صياحه و هو بالكاد يتحمل ضربات الاخر ،
نهضت ترتعش كل خلية بها ، تخرج من الغرفة بل من
الشقة كلها تقفز على درجات السلم قفزا ، وصلت
إلي شقتهم دخلتها موصدة الباب بالمفتاح ، و هنا فقط
أنهارت قواها تماما لتسقط خائرة القوى ، تتخلص من
حجابها الذي ارتدته قبل خروجها ، تضم ساقها
بخوف ، ترتعد مع كل نباح
أو عواء أو اصطدام تسمعه ، ظلت هكذا حتى استولى
الظلام على عينيها الذابلتين

الفصل السابع

نثرت شمس سبتمبر أنفاسها الدافئة ، تخترق الأجساد
تبدد صقيع سكن أوصالهم ، ألا هي تراكم على أطرافها
منتشرا بين جنباتها ، متخللا قلبها ، ضمت معطف ذا
فرو ثقيل عليها ، كلهم متخفون من ملابسهم يتعمون
بدفئ نسمات الهواء ، عدا هي بنى البرد سورا حولها
صعب الاختراق متحديا أشعة الشمس

تحسست معطفها، تلمست أصابعهم الدافئة تتأشد دفء
ذكراهم بأن تتخللها و تتسرب إلي قلبها قربته من
أنفها تستنشق رائحة لم يقدر الزمان على محوها ،
هبّت رياح باردة أحاطت بها بغتة ، تزيحه عنها ،
تسقطه على ارضا ، و ما كانت الرياح ألا ذراعان

باردان أحاطا بها في ضمة ، اصطكت لها اسنانها ،

مصيبة إيها بقشعريرة

لم تتحرك يدها قيد أنملة ، راقبت الفتاة تبتعد عنها

تحشر جسدها وسطهم تدير دافة حديث هي

قائدته ،.....أما هي كسراب بينهم

أنحنت تقبض على معطفها تلبسه تضمه إليها

أكثر ، تغمض عينيها تستحضر ذكرى من عطر تعلق به

،

.....

تراصت تلال من الكتب تناثرت حولها تخفي وجهها ،

كما نثرت ملاحظاتها يمين و يسارا ، فوق و تحت ،

لكنها سهوت عن تلك البقعة النظيفة ، فتشنج عقلها

يدفع قلمها يضيف كلمات أخرى هنا و هناك ، إلى أن

تراكمت الجمل و تراحمت متضايقة من كثرة السكان ،

تبتسم برضا لما انجزته ، كعادتها لا ترضى عن كتبها
إلا و اضخمتها بعبارتها ، رفعت ذراعيها تمددهما في
تعب ، متراجعة للخلف ، فيتأرجح كرسيها معها
وفجأة هوت على بساط غرفتها إثر إعصار هائج دفع
بابها ، يعني فرحا يصيح بعبارات كثيرة لم تفهم منها
شئ

اعتدت تلتفت لها ، بوجه عبوس تزجرها : " في حد
يعمل كده قولتك مائة مرة خبطي الباب قبل ما تدخل
"

توقف سيل كلماتها تنفجر ضاحكة على أختها الساقطة
على الارض بجوار كرسي مقلوب ، شعرها دار به
صراع متشابك بين أقلام رصاص يتنازعون بقوة
وقفت نورين تجلس على فراشها ، تعدل مقعدها ، و
مقلتاها مثبتتان عليها يتطاير منهما شرر منزعج

كتمت الأخيرة ضحكتها بأصابعها تقول : " معلىش

محصلش حاجة"

ربطت ذراعيها على صدرها ، تتمسك حاجبيها

بعبوسهما...

وضعت الأخرى يدها على جبهة أختها تحرره من

غضبه تراضيه كلماتها بدلال : " خلاص بقي يا نونو

عايزة احكيك ايه اللي حصل "

فتحرر وجهها من ضيقه تسألها عن فرحتها،

أطلقت حدقتي شقيقتها قلوب حمراء و قبل خديها ورد

جوري ، و شفاتها تغني بصوت يميت عصافير

شجرتهم :

- " في إيدك قوى تهد جبال ...في أيديك قوة

-وعليك صبر و طولة بال و عنيك....."

غلقت نورين الطريق على كلماتها تقول : " خلاص يا

شادية هتموتي جمهورك... "

فتقول الفتاة بحالمية ذاتها تتخلل صوتها: " أصلك

متعرفيش ايه اللي حصل "

و بنفس طريقتها و بابتسامة ساخرة : " أيه يا ختي

اللي حصل "

تنهدت نور برومانسية انكمش لها وجه الأخيرة

بتقزز : " معاذ "

- " ماله "

- " ضربهم كلهم ، ورماهم على الارض "

- " مش فاهمة ...رمى مين وضرب مين ؟ "

فانطلقت كلماتها تسرد لها بحماسة معلق رياضي

يحكي للمشاهدين عن الماتش ..

-: " اتنين حوله يعكسوني ، راح هو جايكلمة
من هنا على كلمة من هنا .. و بوم طراخ طراخ ...
جاب جون و ترموا على الارض"

أعقت قولها تزفر مزيدا من القلوب، بددتها يد اختها
توقظها على أرض المنطق : " عادي أي واحد شهم
هيعمل كده ..."

- " لا مش أي حد ... ده أكيد بيحبني "

استنشقت الأخرى بعض الاكسجين تستجلب هدوء و
صبرا : " كل ده عمله ، بينتي انزلي على أرض
الواقع و كفاية أحلامك الوردية اللي هتوديكي في دهية
، ده موقف صغير و أي راجل لازم يعمل كده و ده
مش معناه أنه بيحبك ... "

قابلت كلماتها بعناد ، تسردها لعقلها ذاته ، يرفع بها
سقف أحلامها عاليا في عنان السماء ، و يصقف له

قلبها مشجعا مباركا خطواته : " بيحبني ، ده بيحبلي
كل يوم بيحبلي نسكفيه ، و عزمي مرة علي الغدا ،
وبنكلم بعض بساعات و بيحكيلي تفاصيل يومه ، و
الموقف ده اكبر دليل انه بيحبني "

لوت شفتيها يمين و يسار تتحسر على قلب أختها
الغض المتعلق بأذنها ، التي تسمع كلام أول رجل
أظهر لها ذرة اهتمام ، أو ردد كلام الافلام المعسول ،
فيتسرب إلى خافقها لا عقلها فيتشربه كتائه بصحراء
جافة استبد به العطش ، يشرب القطرات ، ويستيقظ
على رمال بقمه مكتشفا أنها سراب فتموت روحه ،
ناشدت صبرها تربت على كتف نور كطفلة صغيرة هي
أمها تنصحها : " ايه يعني عادي كل ده ما يثبتش
حاجة ، ادام ما قال ليكي أنه بيحبك و لا قالك أنه عايز
يتجوزك ،...."

فَعَانَدَتَهَا مَتَمَسِكَةً بِلَعْبَتِهَا : "لَا يَا نُورِينَ... بَسْ
بِيحْبِنِي... نَظْرَاتِهِ لِيَا ، طَرِيقَةُ كَلَامِهِ مَعَايَا كُلِّ دَه
بِيثْ....."

قَاطَعَتَهَا نُورِينَ تَقُولُ بِبَسَاطَةٍ : "عَادِي يَمَكُنْ بِبِعْمَلِكْ
عَلِي أَنْكَ صَاحِبَتَهُ أَوْ اخْتَهُ ، عَيْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَ
فَوْقِي مِنْ أَحْلَامِكْ دِي"

أَهْتَزُّ سَقْفَ أَحْلَامِهَا الَّذِي شِيدَتَهُ

بِلِ الْبَيْتِ كُلِّهِ فَتَشَبَّهَتْ يَدَيْهَا بِحَوَائِطِهِ ، بِأَصْرَارِ أَعْمَى
أَسْتَوْلِي خَافِقَهَا عَلَى عَقْلِهَا يَسِيرُهُ خَلْفَ سَرَابٍ تَتَمَنَّى
أَنْ يَكُونَ حَقِيقَةً : " لَا بِيحْبِنِي ... وَ كَمَا أَنْتِي لِسِهِ
صَغِيرَةٌ مَتَفَهْمِيشْ حَاجَةٌ ..."

و خرجت من غرفتها تغلق الباب تعجبت الأخرى : "
أنا بردو الصغيرة"

ضربت كف على كف تلتفت إلى فراشها ، لتلمح معطف
والدتها البني ، كانت ترتديه رغم دفى شهر سبتمبر ،
وقع منها ، التقطته تتحسسه بعنايه ترتديه تضمه إليها
أكثر ، تستشق عبير أمها الأخاذ الآن ماذا ستفعل
لتعيد تعقل هذه الفتاة الطائشة ؟ ليت أمها كانت هنا
لتتصحها.....

.....

تفجرت رعود ضحكاتهن ترتعد لها حمامات بيضاء
اختبئت بأعشاشها ، و تفرقت لها ذكري ، فانتفضت
مثلهم مختبئة بمعطفها اكثر ، تلتقط مسامعها أحاديثهم
ضحكاتهم العالية ، تتسأل لماذا مازالت هنا ، وقفت
تلقي عبارة خافتة سريعة : " أنا لازم امشي سلام "

و انطلقت أقدامها تشق طريقها ، تتخبط بجسد غاب
عقله في غابات الذكريات و الأحزان ...

لكن رصد صقر فريسته التائهة ، يجمع كل شاردة و
واردة تصدر منها ، يتسائل : " هي أيه اللي مشي
نورين بسرعة دي ، علينا محاضرة "

سؤالها كأنه عادي كتحية صباح ردوا عليها ، أصدقاء
نورين : "معرفةش يا رانيا ، قالت لازم تمشي و مشت
"

ظلت تراقبها إلى أن اختفت خلف اسوار الكلية

رئتان يستجديا الهواء ليدخلها ، صدر يعلو و يهبط ،
و أنفاس متلاحقة ، حدقتها تدور في المكان ، أريكة و
مقعدان يضمهم حوائط مغلقة بورق ملون ، إذن هي

في صالة شقة التي يعيشان بها الآن ، انتفضت تطوف
عينيها على ملابسها ، جلباب ملون يغرقه عرقها و
أصابعها تتشبث بوشاحها ، وهي راقدة عند باب الشقة
مستندة عليه ، أصابها الخوف ، دار عقلها يجمع
الأحداث ، يربطها ببعضها يجذب اطراف الخيوط ، و
أفكاره السوداء تساعد على حياكتها ببعضها
إذن كل ما رآته حقيقة و ليست خيال ، الفتى الذي
تحول إلى ذئب حقيقة ، العيان و الذئب الأبيض حقيقة
، كله ينبض بالحياة

أيمكن ان يكون أهل الواحة مستذئبين مثل هذا
الفتى؟ نعم بتأكيد و لماذا يغلقون المحال ، تسكن
الطرقات ؟

يجب أن تبحث عن طريقة الهروب من هذا المكان ،
يجب أن تخرج من هنا ، عليها أن تخبر فرح ، لكن هل

ستصدقها ؟ نهضت من فورها متجه إلى غرفتهم ،

تركض إليها تهزها من كتفها تصيح بأسمها :

" قومي يا فرح ... لازم نمشي ن هنا قوميفرح

ردي عليا "

تملمت فرح تقاوم ثقل جفناها لتشرعهما بكسل ،

مسامعها التقطت كلمات مبعثرة غير واضحة و بنبرة

سكنها الكسل تقول : " في أيه على الصبح يا

نوربتصحيني كأن حريقة قامت "

هدأت قليلا عند سماع صوتها، فأردفت : " قومي

خلينا نمشي من هنا "

كلمات أطارت النعاس من عينيها تجلس ملتفتة

لصديقتها ، وجه شاحب هربت منه الدماء ، عرق

يغرق وجهها و أثار دموع جافة تحدث خط بوجنتها ،

قلبها يدق بسرعة كأنه في سباق

تسائلت بقلق ينهش صدرها : " أليه اللي حصل ،

رايحة فين ... و مال وشك اصفر ليه ؟ "

أمطرتها نور بسيل من كلمات مبعثرة مختلطة بصوتٍ

خائف ، تراقب وجهها ترصد انفعالاته تخشى ألا

تصدقها

كلامها مبعثر مشتت و لم تفهم الأخيرة منه شئ ،

رفعت يدها تقول لها

"اهدي براحة ، واحدة واحدة ..بصي خدي اشربي

مياة و احكي لي واحدة واحدة "

اتبعت جملتها بأعطائها كوب ماء ، فشربته الأخرى

دفعة واحدة ، أخذت نفسا عميقا يهدأ من توترها

وخوفها ، و اطلقت زفيرا اختلط بشحنات

خوفهاوضعت الحروف ، رتبته ، نسقت جملها

لتطلقها بوضوح ...

فغر فاه صديقتها و اتسعت عيناها ، اعقبتها بضحكة
عالية ...

عضت نور شفيتها ، لا فائدة من الحديث هي لا
تصدقها بالتاكيد ، سمعتها تقول : " جبتي الكلام ده
من انهي فيلم او رواية ، ... انتي بتهزري معايا اكيد "
هزت رأسها تحلف بالله أن ما حكته حدث حقيقة ،
فمدت صديقتها يدها تلمس جبهتها تردف : " أنتِ
جرالك حاجة ، اكيد كنتي بتحلمي ، ابقى اتغطي كويس
قبل ما تنامي "

اسندت فرح ظهرها لوسادتها ، متدثرة بغطاء تناشد
نوم اضاعته تلك صاحبتها ،

لم ترفع راية استسلامها جذبت يد الفتاة تزيح الغطاء ،

تقسم بأغظ الأيمان أن ما حدث حقيقة و اتبعت

قولها : " فرح صدقيني ، انا شوفته بعنيه "

تأففت فرح من عنادها ، فاسرعت الأخرى تسكب علي

حكايتها بعض المنطق : " طب ليه نمتي بدري امبارح

بعد الاكل ، طب بلاش ديه ، ليه عم حسين اصر علينا

ناكل قبل ما يمشي "

اجابتها بثقة تززع منطقتها : " عشان راجل ذوق ، و

أنا حسيت اني عايزة أنام عادي يعني بعد الاكل ساعات

الواحد بينعس "

زاغ بصر الأخيرة تستجدي عبارات لتصدقها بها : "

طيب ليه مصحتيش ، فضلت أهر فيكي امبارح و اناذي

عليكي ، مع ان نومك مش ثقيل ... "

زاد قلق فرح على عقل صديقتها ، أحلام منامها
ستطيره قريبا ، ربتت على يدها و انتقت كلماتها
تخبرها : " يا نور يمكن كان حلم ، زي اللي قبله بتاع
الذئاب "

أشاحت بيدها تتفض كفيها تهدر بعصبية ممسكة
بجلبابها : " طب إزاي لبست جلبية اللي ادتهاني
(اعطتها لي) طنط تفيدة ، و نزلت ؟ "

امسكت بيدها تضغط عليها ترد بهدوء تمتص به
غضبها : " يا حبيبتي ، يمكن مشيتي و انتي نايمة "
حملت صديقتها بها بنظرات ترجوها أن تصدقها لكن
هيهات ، ربتت على كتفها تستأنف كلامها : " صدقيني
ساعات بتحصل عادي ، روعي اغسلي وشك ، و
تعالى نامي ارتاحي "

نهضت نور من الفراش بأية تنفذ أوامرها و عقلها
يردد جملة واحدة : " لن تصدقها ابدا ، فما عشته شئ
وراء الخبي....."

قطعت حديث نفسها تجذبها النافذة إلى شخص يسترق
النظرات من خلف الستار ، دنت منها ضيقت عينها
تحاول ان تتفرس ملامحه ، لكنه اختفى متلاشيا في
ظلام الغرفة المقابلة من شقتهم ...

زفرت بيأس تكمل طريقها للحمام ، ترشق وجهها بماء
، تعيد إليه الحياة بعد يوم مرعب ، عادت خطواتها
الرتيبة إلى الفراش تنام بجوار فرح ، لم تخلع عنها
العبائة ، تشعر بأن قواها خارت ، تتمم بأن يكون كله
حلم ، أو يخلصها الله من هذا المكان العجيب

صفارة دوت في الأرجاء ، اتبعها قطار اخترق محطة
فحشر حشد غفير يصعد و اخر ينزل ، مكتظ جدا يكاد
يُسقطه و يُهرس بين القطبان ، يدخل بقوة دفع لكن
ظنه تحقق ، إذ أختل توازنه ما إن اخترق الزحام سهم
مندفع اصطدم به يلج إلى الداخل ، لمح حقيبة سوداء
تخرق الجمع بسرعة البرق ، كاد أن يسقط لولا يد
مدت له فقبض عليها جذبته للداخل قبل إغلاقه و
هرسه بين عجلاته ، لهج لسانه بحمد لله ، و شكر
للشباب ، استدار ليعقد حاجبيه بغضب يجلس أمام
صاحب الحقيبة الذي كاد أن يوقعه ، همّ أن يطلق
سباب و وابلا من كلماته الغاضبة ، لكن ابتلعها ، حشر
صوته و تبدد غضبه بثانية واحدة ، أفر وجهه عن
ابتسامة بلهاء حالمة و عيناه تعلقت بها ، وجها أبيض
و حمرة تشوب وجنتاها و أنفها ، تزيدها جمال ، و

عينان تبارك الله في حسنهما ،.... كأنها رسمة جدارية

حبست بداخلها

أمسك بمنديل يمهدها لها لكن تراجع يده خشيت أن
تخرج من هالتها متضايقة منه و تغير مقعدها ، تنحنح
ساحباً عينيه يغض بصره مستغفراً....

أما هي احتضنت معطفها أكثر تستنشق رائحة أمها ،
تلك الرائحة التي لا تعوض عنها شئ ، والدتها التي
كانت تمسك ذيلها ليل نهار لا تفارقها إلا للدراسة ، لا
تمل من احتضانها و ادمان عيبرها ، لم تنسى دعائها
لها ، تتذكر جيداً عندما تتكاثر عليها الاحزان تركض
على ساقها تريح رأسها فتمسد الاخرى لها شعرها و
تقرأ عليه المعوذتين و آيات تحصنها ، لتنتهي بقبلة
تطبعها على وجنة صغيرتها

ظلوا هكذا حتى توقف القطار لحظات عند محطته ، و

بعدها أطلق صفارة الغلق ، لتنتفض الفتاة راكضة

تخرج من الباب قبل أن يطبق على جسدها ...

التقط كتاب وقع من حقيبتها يركض خلفها ينادي : "

استني يا انسة ، كتاب وقع"

أوصده القطار منطلقا بطريقه ، و هو تسمر عنده

يراقب ركضها إلى أن طوت طيفها عجلاته ، مر من

بعدها صور خاطفة تتعاقب امامه سريعا ، لتهدأ و

تتوقف عند غايته ، يخرج بعقل شارد محتضنا كتابها ،

يقول قلبه : " من أبكى هذا الملاك "

..تنحى معتدلا يستجمع شتات نفسه ليكمل طريقه

عائدا لبيته

ساق قدميه بصعوبة ، و دون أن يخلع نعليه هوى
على فراشه ، يغلق جفنيه الثقيلان يستدعي نوما و
راحة ، لكن سرق النوم من عينيه دفتر أزرق لا يزين
غلافه شئ.. ساقط منه على سريره ، هذا ملك فتاة
القطار ، دفع فضوله دم سرى بعروقه ، ناسيا تعبهُ ...
اقترب منه يفتحه ، قابله بأول صفحة اسمها يزينا
"نورين جاد الله"

فقط لم تكثر لا بعنوانها أو بجامعة تدرس بها ، فقط
بعض فراشات و ورود تقبع هنا وهناك .تزين بياضها
بأتقان ، هل هي رسامه تبعد بفرشتها مزينة كل ركن
بعالمها ؟ ...تتحنح يعيد عقله إلي صوابهيفكر
كيف سيعيده إليها ، هو لا يعلم لها عنوان لا يعرف إلا
اسمها الموسيقي نورين ، و هي نورين ، لكن ماذا
يعني اسمها ؟ زاد حب الاكتشاف بداخله ، يود كشف

أسرار دفترها ، اغلقه يؤنبه ضميره ، يهذيها ، لكنه
وقع في صراع بينهما ، لم يطل كثيرا فقد فاز فضوله
بجدارة بلكمة سددها لخصمه اسقطته مغشيا عليه ،
يفتح دفترها براحة

- فتاة تسكب مقلتها الدموع ، ترسم على شفيتها
ابتسامة كسرا ، تحبس بحاجز وهمي ، يحاوطها
الجميع لكن لا أحد يلتفت لها

هكذا رسمت بإحدى صفحاتها قلب صفحات الكتاب

-ليري شجرة سقطت أوراقها الصفراء رسم عليها
وجه يختلط به الدموع و الحزن ، و تقابلها أخرى

رسمت فيها ... شجرة ثانية تخشبت أغصانها ثققلت
عليها الثلوج ، تكاد تسقط من ثقلها ... كتب تحتها ،
(هذه هي الصداقات تبدأ ببرعم أخضر يشق الأرض
يحارب الأتربة و جفاف ، ينمو يوماً بعد يوم لتغدو
شجرة وارفة الأوراق ، إن أهملها بستانيها و غادرت
شمسها ، تجف و تتساقط أوراقها تثقلها الثلوج إلى أن
تهوى بضعف على أرض باردة ...)

ابتسم عقله يخزن معلوماتها بحماسة ، يرقد على
سريره متكاً على مرفقيه ، يضعه أمامه ، فضوله يدفع
يده لمعرفة المزيد ،

رسمت فتاتان يوليا ظهرهما له ، يجلسا على ارجوحة
واحدة ، يتشارك شعرهما بجديلة واحدة تضافرت
متحدثان معا ،

... كتب تحتها (أنا وأختي الغالية)

رسمة أخرى لسيدة ترتدى معطف بني كالذي كانت
ترتديه الفتاة ، كان جسدها شفاف كالأشباح ، تمسح
يديها الشفافة على رأس فتاتان ينامان على قدميها
يظرفا الدمع "

(اشتقت لدفنك أمي و دفئ صوتك العذب الذي يسري
في مخترقا مسامعي كالماء الرقراق يرتل آيات الرحمن
، و يديك الدافئتان تغدق على رؤسنا براحة وأمان ،
صرت أسير كأشباح بلا روح ، أبحث عنك في

معطفك ، أفتش عنك عند أريكتنا التي تضمنا جميعا
أمام التلفاز ، عطور ذكراكم هي التي تمسك روعي و
تبقيها على قيد الحياة ، لا اعرف كيف اتكيف على
غيابك)

انطلقت يده تقلب في دفترها صفحة تلو أخرى ، واحدة
توخز قلبه ، واحدة تذكره بذكرى غائبة بواقعه حاضرة
بعقله

و فضوله لا يشبع يريد معرفة المزيد عن تلك
الفنانة.... فتاة القطار

تعانقت عقارب الساعة عند الثالثة ، تقطع دقائقها
سكون رتيب ، و مثل كل يوم تضخمت نفسها بالأحزان
، تضافت عليها الهموم ، تريد أن تفرغ هذه المشاعر
إلى صديقها ، فتشت يدها هنا و هناك قلبت أوراقها و
ألوانها ، بحثت تحت السرير فوق المكتب ، لا أثر له ،
أين وضعته ؟

ركضت إلى حقيبتها السوداء تفتحها تفتش بين
محتوايتها ، تقلبها على الأرض ، تبعثرها أصابعها
الرفيعة.....

توقفت تلتقط أنفاسها المتسارعة ، تذكر جيدا أنها
أخذته معها ، كان معها طول الوقت ... أين ذهب ؟
قطع سيل أفكارها ، تكة الباب ، انتفضت سكاناتها
ترتعش خوفا ، تحيط بها وحدتها و وساوستها تضحك
عليها ،

سارت بخطوات سيطر عليها الذعر ، تقدم قدم و ترجع
الف ، اختبأت خلف حائط ترى رجل فارع الطول أخفى
ملامحه الظلام ، مع كل خطوة ثقيلة يخطوها ترتعد لها
اوصالها ، و تلاعبت أشباحها السوداء تتهامس بأنه
سارق ، و من سوء حظها هي أتى إلى بيتها فقير
الحال ليسرقها ، أم قاتل سفاح سيقتلها ، اصطكت
أسنانها خوفا ، شحب وجهها تنفضهم عنها تقبض
على عصا تحتمي بها ، جمعت شجاعته المبعثرة
تتقدم بها إليه ، فجأة سقط الرجل على الكرسي ، عاد
الفرع يصيب قلبها هل مات هذا الرجل أم ماذا هي لم
تلمسه حتى ، ما ذلك الحظ العثر يأتي ذلك الرجل إلى
بيتها الفقير ليموت هنا ؟

اقتربت منه تهزه بطرف عصاها بخوف ، لكنها
تراجعت عندما تبينت لها ملامحه ، شهقت شهقة

قصيرة تهمس : "بابا"

همهم يرد عليها منتظم الأنفاس ، فاستقرت نبضاتها ،
تبدد فزعها تختفي معه اشباح وحدتها لتنتظم أنفاسها
براحة تشعر بأمان تسرب إلي دمها يعيد لوجهها
الحياة....

أبيها أتى إلى بيته بعد يومان كاملان قضاها في العمل
، لم يعود إلى منزله ، بل فضل المكوث هناك عاكفا
على أعماله هاربا من ذكريات ، ذهبت إلى غرفتها ،
وعادت تمسك معها غطاء دافئ تدثره جيدا ، اتبعها
بقبلة على جبهته تتمم بأن يحفظه الله لها

احتضنت كفها تتكأ عليها ، تصعد سلالم كثيرة ، توقفت

تلهث من فرط التعب

فنظرت الأخرى لها شزرا ، تقول : " وفقتي ليه علي

العزومة اديكي تعبتي "

لترد عليها بين لهاثها : " الناس كتر خيرهم عزمونا ،

أقولهم لا ... "

إجابتها تعترض على سذاجة صديقتها :

" أه الناس دي أنا مش مرتحلهم

، و زي ما قولتلك احذري منهم"

اشارت فرح إلى رأس الأخرى تردف : "سيبك من

الأوهام اللي ملت دماغك دي ... الراجل كويس "

تأففت بتبرم لا فائدة من حديثها ، امسكت يدها يصعدا
آخر درجاته ، و مع كل خطوة تخطوها يتزايد نبضاتها
خوفا و حذرا و شك ، مشاعر مختلطة يثيرها هذا
الرجل بداخلها ...

انتبهت لصديقتها التي طرقت بابهم ، ثواني و قابلتهم
سيدة بوجه احتله العبوس ، وعينها ترمقهم بنظرات
عجيبة

تبادلت الأنظار مع فرح متعجبتان من السيدة ، لم تقل
لهما كلمة واحدة فقط صفقت الباب بعنف بعد
دخولهما ، فانتفضت الفتاتان ، يراقبانها تختفي وراء
ستائر بجوار مدخل البيت

همست فرح : " مالها دي بتبصلنا كده ليه ... "

- " عجبك كده ياهانم "

رققت صوتها تقلد الأخيرة بحركات ، تستأنف قولها :

" الناس كتر خيرهم عزمونا ، اقولهم لا..؟."

اكملت جملتها بصوتها الهامس : " ادي حسن الضيافة

... ربنا يستر علينا "

كتمت الأخيرة ضحكاتها ، بلعتها ترى الرجل يقبل

عليهما بابتسامته البشوشة ، رأتها المنزعجة

مصطنعة كاذبة ، رحب بهما قائلا : " اهلا وسهلا

شرفتونا و انستونا ، اتفضلوا اقعدا وقفين ليه ؟ "

جلست الفتاتان على أريكة و جلس هو بمقعد جوارهم

يوجه حديثه لفرح : " اخبار رجلك أيه يا فرح ؟ "

" الحمد لله"

بترت جملتها تنظر للسيدة التي تراقبهم تكاد عينيها

تقتلعان من محجريها لتجلس معهم ،

انتبه لها حسين و نظر خلفه ، يبتسم بحرج قائلاً : "

دي مراتي تفيدة ..."

لم تنطق أي كلمة لكنها رمقتهم بغضب تدخل لمطبخها

تحضر أطباق ، توزعها على طاولة الطعام ...

و حدقتي نور لم تغفل عن معنى الاشارات الغاضبة

التي ترسلها هذه السيدة و عقلها يقيم الموقف يطرح

اسئلة ، يجيب هو عليها أهذه التي سنأنس

وحدثها و ترحب بنا كبناتها ؟ هل هي كارهة

لوجودنا ؟

استفاقت من أفكارها تثبت عينيها على الرجل الذي

يحدثهما : " يلا يا بنات الاكل جاهز. ..."

وقفت الفتاتان تتبعانه بخجل اصطحابه معهما ، تحلقوا

حول طاولة واحدة ...

ناد عم حسين : " يا أياذ يا سيف الاكل جاهز "

دخلا شابان يتقدمان بخطوات ثابتة ، ضيقت الفتاة

حدقتيها تحملق بهما ،

ازاح كل واحد كرسيه و يجلسان عليه

أشار عم حسين لاحدهم : " ده أياذ ابني اصغر واحد "

أشار للشاب المقابل لنور : " و ده سيف ابني

الكبير....."

توجهت أسماعهم قبل أبصارهم حينما سمعوا الكوب

الذي هوى تتناثر أشلائه أرضا ، وقفت نور منتفضة

كأن ثعبان قرصها ، أطلقت لساقها العنان تركض من

وحوش خلفها تشرع الباب ، لتختفي من أمامهم ،

تحت نظرات فرح المتعجبة الحرجة

الفصل الثامن

رغم نحول جسداهما ألا أنهما يحملان وزن
ثقيلًا ،تحاملت أحدهما الثقل كله بصعوبة تكاد أن
توقعه و تسبقه هي على درجاته ، صعدت أختها ،
متعاونة معها في حمله ،

دار المفتاح بالباب و هما يصبران أنفسهما ، يترنحان
من التعب ، يوشكا على انهيار ، فُتِح الباب حينها لم
يستطيعا الصمود ، قدماه الواهنتان ، خارت كل
قواهما ، متبخرة في الهواء

، ليسقط ينتزع أنفاسه الهاربة منه يتشبث بقلبه الذي
خفتت نبضاته ، لا يشعر بما يحدث حوله فقط عقله
يدور بسواقي عدة ،

تلقفته أحضانها ، تلتقط أذناه صوتها الملتاع تصيح
بين شهقات بكائها : " متسبنيش يا بابا ، متسبنيش
زيهم ، خليك معايا "

تمتم لسانه بضعف : " نور لسه..... لسه .. عايشة

قلبي حاسس....مت....

متسببهاش ...نوري....."

انقطعت أنفاسه ، سكنت نبضاته ، لينتشله الظلام من

عالم الواقع

فتدوي صرخاتها المرتعبة بكل العمارة ، عقلها توقف ،

لا تعلم إلي أين تذهب ؟ بمن تتصل ؟، تشعر بقلبها

ينتفض لفراقه ، لا يمكن أن يتركها وحدها و يغادر ،

إن كانت تعيش على ذكراهم ، فهو قطرات الماء التي

تبلى فمها الجاف يروها من عطش الموت ، هو

أنفاسها التي تمكنها من العيش ، هو بصيص الأمل

الذي يتسرب بين قطبان السجن الذي تعيش بههو

أباها

تعلقت عينيها بالسماء لكن عقلها يدور بطواحين
أسئلة كثيرة لا أجابة لها ، كيف أصبحت على شروق
شمس و قد كانت مقتربة من المغيب عند ذهابها إلى
منزلهم ؟ ازداد الصداع طرقا برأسها فتشبثت بعقلا كاد
يطير مما يحدث لها ، لا أحد سيصدقها ، آخر ما تذكره
طعم عصير البرتقال في فمها و صوت تهشم الكوب ،
ثقل رأسها و هي ترتمي على فراش بشقتها ، بعدها
استيقظت مع أول خيوط الفجر ، شهقت تتذكر خدوش
، لقد رأتها متناثرة بعنق الشاب ذا الشعر الأبيض ،
الذي يدعى سيف ، و الفتى الآخر ذا الشعر الاسود به
بعض خدوش و كدمات ، كل هذا يؤكد شكوكها و يثبت
مسامير الشك بجدار اليقين حتى تبدل إلى حق مبين
مشرق كهذه الشمس التي انزلقت بسرعة تودعها ...

" لا " همست بها تود أن تلتقط قرصها ، تعيده إلى

كبد السماء ، لكن صعد القمر درجتين فأسرعت

الخطى تبدل جلباب تفيدة و تحشر جسدها النحيف

بفستانها الوردى الذي جاءت به

قاطعها دخول فرح تتسال : "انتِ رايحة فين يا نور "

تتعاون يديها على أحكام وشاحها ، تخبرها دون أن

تتظر إليها : " لازم امشي من هنا ، قبل ما تحصل

كارثة "

سكن عيني صديقتها عتاب أفصحت عنه : " و

تسيبيني هنا يا صاحبة العمر ، لوحدى في بلد غريبة

معرفش فيها حد ... "

- " طب ... البسي و تعالى معايا ، صدقيني يا فرح لو

قعدنا هنا هنموت "

تتهدت تستعيد منطق تدير به سفينة الحوار اتجاهها :

" طيب هتمشي من هنا إزاي؟ "

تملك الأخرى صمت ، فهي لم تفكر سوى بالفرار من

هنا ،

استأنفت فرح تسير بدفة الحديث لتصل إلى

شاطئها : "طيب بلاش ازاي ... هتخرجي مينين ، و

أنتِ مش عارفة طريق الخروج من هنا ؟ "

فقال تعاند منطق صاحبته و تأخذ دفة الحديث بطيش

متجهة إلى مجهول حيث لا أرض و لا شاطئ : "

معرفة بس لازم نمشي من هنا ، قبل ما تحصل

الكارثة !..."

أجلستها فرح بجوارها تزفر عدة مرات قبل أن

تسالها : " كارثة ايه ؟ قوليلي ! "

وقفت تلملم أشياءها تقول لها : " النهاردة آخر ليلة

قمرية يا فرح لازم نمشي قبل ما يطلعوا يتعشوا

بيننا ... "

نعم الثالثة فالأولى حدث بها تحول الذئب الأسود و

الثانية مرت عليهما و كأنهما لم يعيشاها ، استأنفت

قولها ، تتمدك بيدها ، ترجوها بعينها قبل لسانها أن

تصدقها لتأتي معها : " ارجوكي يا فرح صدقيني و

تعالى معايا "

نفضت الأخرى يدها و قد نفذ آخر ذرة صبر لديها

تصيح بها : " تاني هتقولي ذئاب و القمر "

تمسكت بكتف صديقتها تكمل حديثها بنبرة حاولت أن

تضفي عليها بعض الهدوء فخرجت كلماتها من تحت

أسنانها بصعوبة : " قولتلك مفيش حاجة اسمها ذئاب

و كل دي أوهام في دماغك "

نفضت نور يدها تصيح بها : " طب مسألتيش نفسك
أنتِ ازاي قومتي الفجر بعد رجوعنا من عند الراجل ده
مع أن الوقت قرب على المغرب ..."

صمتت ، هي معها حق ، كيف استيقظت فجرا كيف ؟

راقبت انفعالات صديقتها التي تتغير فأكملت تهمس
برجاء : " الراجل ده أكيد حط حاجة في العصير اللي
احنا شربناه امبارح ، تعالي معايا قبل ما نموت

مناكلين "

التقطت هاتفها بتردد ، نعم هي لا تصدقها و لكن النوم
الذي استولى على عينيها بعد أن عادت إلى الشقة أثار
ريب بعقلها ...

، أحدهم أرسل ضوء أحمر خافت صغير تسلل من نافذة
ككشاف متصلص ، يسير شيئاً فشيئاً و تتسع دائرته ،
تقوى شدته تدريجياً جاذباً أنظارهما نحوه ،

تلاعب الضوء بغرفتهما يعبث بنضات قلبهما استدارت
تدنو من النافذة ، تقف بجوار تلك المتخشبة ، تراقب
ما يحدث بفاه مندهش

عبرة هوت من السماء ، تتسابق رياح تسقطها على
زجاج شرفتها فتتشقق منشطرة إلى قطرات صغيرة
متناثرة متباعدة متفرقة في كل مكان ، كقلبها الذي
قسمه الحزن فانكسر كزجاج هش متناثر في ارجاء ،
ما زالت تشعر بتشقق حلقها من الصراخ ، و تلك
الباحة اصابت احبالها الصوتية ، تدرجت دمعة
تذكرها بانهياء- أبيها أمامها ، مصدر أمانها ، حصنها
المنيع ينهار بلحظة واحدة يشكو ضعفا و هوان و
حزن تكالب عليه حتى سقط أرضا ،

تمسكت بحلقها تحاول التخلص من غصة خنقته ،
تشعر بسقوط البيت كله فوق رأسها ليخفت ضوء
يحيط روحها تحت أنقاض الحزن يبهت لونها ،
فتضحك عليها وسوساتها المتجمعة ، يزداد شهقات
بكائها ، تكاثرت دموع المطر تضرب نافذتها ، تنبها
تعيد ضوء هالتها الخافتة فتوهج تدريجيا ، تأملت
نقاط الماء تنزلق تتوحد متحولة إلى خطوط تزيح
الأتربة و الوسخ من الزجاج ، كما ازاحت أنقاض
متراكمة فوقها تشعل بداخلها قوى المقاومة ، نعم هي
ليست بضعيفة يائسة ، ليست بقشة تقسمها نسائم
الخريف ، نهضت تفتح قيس ضوء الغرفة تزيح به من
ظلمتها ، و أحزانها المتراكمة على روحها
، تكاثرت الأمطار تروي شجرتهم الجافة بعد
أهمالهم لها ،

فتسأل نفسها سؤال واحدا لماذا لا تصبح مثل المطر
تغسل جروحها تزيح أحزانها ، تتعاون مع ذاتها تشعل
أمل يحارب ليها المعتم ؟

لم ضعفت و ارتدت نظارة سوداء معتمة سودت ما
حولها ، حتى قطرة الماء رأتها ضعيفة متكسرة هشة ،
و لم تراها تتعاون مع أخواتها تروي اشجار ظماعة
تعيد لها الحياة؟

لماذا لم ترى شعلة الضوء الخافتة آخر دربها ، و
تركض خلفها ؟

نهضت عازمة على محاربة عثراتها و تقف بقوة
لتكمل دربها للنهاية ،

همس شبح أسود يذكرها : "أنسيتِ ما

قاله الطبيب ان والدك يعاني من ضعف القلب و لن

يتمكن من العمل في الوقت الحالي ؟ "

اشاحت وجهها بعيدا و كأنها تتخلص منه ، تحمد الله

أن أنفاس أبيها تتردد تحت سقف بيتها تدفئها و

تحيطها بأمان أن كان قليل لا يعوضها عن حضوره و

ضحكاته و سكناته و كل شئ به ، يكفيها انه يتحرك و

يتكلم .. بكلمات قليلة

وسوس لها آخر : " و المال ... من سيدفع لك

مصاريف تعليمك ؟ ... من سيطعمك ؟ ... من ؟ "

نفضت رأسها من كلماتهم السامة التي تسري بروحها

تميتها ببطئ ، استعادت بالله منهم جميعا تخبرهم

بصوت أعلى من همساتهم : " أن الرزق و المال بيد

الله وحده ، و إن كان أبي مريض ، الله يرزقنا "

وعدت ذاتها أن تكون يد المساعدة التي تنتشله و
تنتشلها من الحزن و تعيدهما للحياة ، أقسمت أن تعيد
له البسمة و ترجعه لواقعها ؛تى لو اجبرته على ذلك ،
و ستكون له العوض عن الذين تركوه ، و تصنع
ذكريات جميلة تشغله عن القديمة الحزينة البائسة التي
يتهرب منها ، ستشغل وقته كله ، ترجعه لها أباهها و
صديقها ،

أشعلت المذياع يردد آيات القرآن بصوت شجي
يتسرب إلى أذنيها ، متسللا إلى قلبها يجمع أشلاءه ،
يرمم كسوره يثلج جروحه ، يقضي على وسوساتها ،
تدحرجت دمعاتها منصتة إلى ترتيل الشيخ ، و قلبها
يدعو ربه أن يشفي أباهها ، يزيل عنهما هذا

البلاء

بدر قد استقى من حمرة الدماء و سكب القليل على ماء
الواحة لتتحول إلى بركة دم أحمر قاني ، ليس هذه فقط
بل أضفى على كل شئ حمرة تصيبهما بخوف ،
و فجأة اندفع جسد مبهم ذا فرو ، يتعاضم تدريجيا
يقترّب منهما بسرعة هائلة كنيزك ناري ، صرخت
الفتاتان يبتعدان عن الشرفة ، منحنيتان يتمسكا
برأسهما بوجل ، اخترق الجسم نافذتهم يحطم الزجاج
و بعض أحجار الجدار محدثا دوي صدح في الأرجاء ،
التفتت الفتاتان إليه لتدلى أفواههما من الذعر ، و
تتسارع نبضاتهن ، ذئب ينهض أمامهما يحرك ذيله ،
تتعلق عيناه بفريسته ، يتوهج فروه البرتقالي الذي
اقترّب من الأحمرار كنار تتراقص قبالتهما ، ليكتمل
المشهد بسينفونية عواء مخيف و زمجرات متألمة

أتية من كل مكان ، تعزف على أوتار القلوب لحن

مخيف

تقدم منهما بخطوات بطيئة ، ليتراجعا بالمثل ، يرسموا

دائرة تتواجه بها النظرات منها الخائفة و منها

المبتسمة بانتصار

انقض عليهما فجأة ، فقفزا مبتعدتان عن مرماه

يتجهان صوب باب الغرفة ، تغلق نور الباب عليه

بالمفتاح ، تأخذ عبائة و وشاح فرح تساعدها في

ارتدائه ، أما هي كدمية تتحرك بين يدي صديقتها ،

فمازالت تمتلكها الصدمة ، تنحسر الدماء عن وجهها

تبحث عن حروف تتسأل بها :

" ايهأيه ده.....ذئب ... ذئب كبير..... "

صمتت تبتلع باقي حروفها مرتعبة ، إثر صوت

اندفاع الباب يتبعه زمجرة غاضبة لتشهقا بوجل ،

تحكمت نور برعشة يدها بل جسدها كله حتى نجحت
اخيرا في فتحه ، صاحبة صديقتها معها توصلت شقتها
بالمفتاح ،

ركضت تسند الأخرى على درجات السلم تلاحقهم
عواء الذئب الغاضب ، الذي نجح بعد عدة دفعات أن
يتخلص من محبسه ، يقفز على السلم ليلحق بهما ،
خرج من المنزل كله ، تطوف عينيه الحمران تبحث
عنهما ، تتحرك اذناه ترصد همهماتهما حتى توقفت
فابتسم يدنو منهما بتؤدة يرصد رعشاتهما ، اصواتهما
المكتومة ، إلى أن صار بجوار حائط يختبئ منه و
يكتمان أنفاسها منه بأيديهما المرتعشة ...

وثب قبالتهم ، يحاصرهما بزاوية ، و بوثة أخرى
أنقض على فرح يقبض على رسغها بأنيابه حتى

انفجرت منه الدماء ، أوقعها يشرف عليها بجسده
الضخم يلحق شفثيه ، و يسيل لعابه فوقها ،
اصطكت أسنانها خوفا ، و هربت الدماء من
أطرافها ... الآن فقط صدقتها ، بعد أن شاهدت ،
سمعت بل لمست لعابه أيضا ، صدقت بعد فوات الأوان
، بعد أن أصبحت عشائه اللذيذ ، و قبل أن تغمض
عينها ترفع راية الاستسلام مرحبة بالموت على أنيابه
، ودعت نور لأخر مرة ، لتصرخ الأخيرة تنادي عليها
و تشق صراخاتها عباءة السماء

الفصل التاسع

مشاهد متتالية سريعة تظهر و تختفي ، تتراعى أمام
عينيها ، هي تشعر بأن روحها انسلخت عن جسدها
الواهن ، تطوف حولهم تراقب كمشاهد و ليست جزء
من فيلم رعب دخلته كسرا ، هي تحلم ؟ ... نعم ، أكيد
فمن المستحيل أن ترى ذئب ضخم كالذي رآته ،

اقتحم رؤيتها فراء أسود كبير

و بدفعة واحدة بقدمه السوداء اخترقت روحها
جسدها ، و زيح الخدر عن دماها شيئا فشيئا ، شهقت
تعود للحياة و للألم الحارق في يدها ، يتكور جسدها ،

يندفع ككرة قدم ، حتي يصطدم بالحائط ، هل أصبحت

كرة يتقافزونها بين أقدامهم ؟

زمجرات متشاحنة أعادت عقلها إلى مشهد أراد الهرب

منه في غفوة ظلام ، لكن لا مفر ، إثنان يتناطحان

بروؤس يدوران حول بعضهما بتحفز ،

و فجأة يقبض الذئب الناري على خصمه يدفعه

بجوارها ، فتصرخ تبتعد عنهما إلى ملجأها بين

أحضان نور ، كلتاهما تحتمي بالأخرى ، تجمدت

أقدامهما و كأنهما ينتظران من سيفوز بهما

نهض الأسود بإصرار يهجم عليه يقبض على رقبتة ..

فتسيل الدماء من الأخير يصرخ متألما بين يديه

متحركا بعشوائية للخلاص منه ، يخمش بأنيابه وجه

المتطفل الذي قطع عليه وجبتيه الشهيتين ، فتركه

الأسود يصرخ من الألم ،

اهتاج الذئب الأحمر يهجم عليه ، يقبض على رأسه
بأسنانه ، و الأخير يتلوى و ينبح ككلب مجروح ،
فباغته الأبيض يقفز على عدوه الناري يعضه مقتحما
المعركة ، حتى خلص صديقه منه ،
فاقت نور من صدمتها ، تتشبث بيد صديقتها تجرها
لملجأ أمن مستغلة المعركة الدائرة ،
لكن وقف أمامهما جسد بني عملاق يلحق شفتيه بجوع
شديد يخطو نحوهما ، و يسيل لعابه بكثرة كأنه
سيغرقهما به...

صرخت الفتاتان ، و حاولا رجوع من حيث أتيا ...

فاصطدما بجدار قاسى ، و ما كان الجدار إلا الذئب

الأبيض ، شهقت فرح برعب تبتعد عنه متمسكة
بصديقتها ، أزاحها بقائمته خلفه ، يحوم حول البني
يرصد حركاته ، يتحين الفرصة للهجوم عليه ، و
فجأة أنقض عليه الأبيض يمشه بمخالبه ، لكن
خصمه أقوى منه بلكمة واحدة من قائمته هوى
أرضا ، تركه ينظر لفريسته المرتعدان و وثب يصل
لمبتغاه ،

دفع الأدرنالين الدم بأطرافهما يصارعان الريح ،
يبتعدان عن زمجرات الوحش الغاضبة حتى
دخلا ممر ضيق و هكذا لا فرار منه ، حاصرهما
بزاوية ، ابتسم يدنو منهما يتشمم رأحتهما الشهية
فارتعشت كل خلية بهما ، فتح فمه يهم بأكلهما
لكن باغته الأبيض يدفعه إلى الحائط ، فيختل توازن
الأخر يندفع مصطدما بالحائط فاقتدا للوعي ،

وثب الذئب المنتصر يدنو من الفتاتان لتسحب الدماء

تديرجيا من أطرافهما ، يتشبثان ببعضهما مغمضا

الأعين ، السننهما لا تكف عن الدعاء

صياح عواء يتصاعد ، و صوت سقوط جسد ثقيل

اجبرهما لمشاهدة ما يحدث ، عاد الوحش البني يهاجم

الأخر بشراسة و عينيه تشع بنيران الغضب ،

وهنت قوى الأبيض توشك على النفاد ، فتمسك بأخر

ذراتها يدفعه يتراجع به للجدار ؛ ليسقط خصمه مدرجا

بدماءه ،....

راقباه بتحفز ، خطى إليهما خطوتان ، لكنه شعر

بضجة تقتحم أذنيه ترتفع صداها ، ينحني يسدهما

اقتربت منه نور بتردد لمست قائمته تسأله بحروف

مذبذبة : " ان... انت كويس "

"اهربي على....البيت "

اجفلت من الصوت الصادر منه ، ترفع حاجبيها بتعجب
أنه يستطيع التحدث مثلهم

زمجر بألم و بالكاد همس لها بكلمات مبعثرة :

"اهربي بسرعةقبل....ما يفوت الأوانارجعي
البيتاقفلوا عليكموا متفتحيش لحد.....متفتحيش
الباب "

نكس رأسه بين قائمته فرددت سؤالها بقلق : "أنت

كويس"

رفع رأسه إلى السماء ينظر اتجاه القمر الأحمر ،
عينيه العسليتين تحولت لبركتين من الدماء ، و فجأة
نظر إليها و شفثيه تبتسم بخبث يجذب يدها الممدودة
له بالخير يمزق كم فستانها الوردي ، ينهش لحمها
بأذافره ، لتتخضب ثيابها بدمائها ، و هي تحاول

مقاومته و ابعاده عنها ، فداهمته فرح تضربه
بعصاها على رأسه ، التفت إليها و عيناها تطلق شرر
غضب تراجعت بخوف ،

تداركت نور نفسها و لملمت شتاتها المبعثرة من
الخوف تتشبث بيد صديقتها تجرّها خلفها ، تسرع
الخطى إلى منزل حسين ، و الأخرى تعرج خلفها تتعثر
لكن تحاول أن تجاري خطواتها ملتفتة إلى هذا الكائن
الذي اهتاج فجأة ، دخلا البيت فقد كان قريب من أرض
المعركة ، لحقهما فاوصطدت نور الباب بوجهه ، ماذا
حدث له لقد كان يدافع عنهما ؟

و قبل أن تهرب رأت الكثير من زملاءه يتراصون
فوق الأسطح و الشوارع ،

فركضت تجر الأخرى خلفها تلج إلى شقة الدور

الأرضي ، التي تحول بها الأسود ، لا ملجأ لهما
سواها دخلت توصل الباب بمفتاح و مسلاج ، تجمع ما
تطاله يدها من أثاث تضعه خلفه ، و بعد أن وضعت كل
محتويات البيت وراء الباب احتضنت صديقتها ، نجح
الابيض في دخول المنزل ، ركض يدفع باب الشقة
بقوة

و مع كل دفعة و زمجرة منه
يختلج قلباهما يكاد أن يتوقفا من جرعة رعب زائدة
أخذاها ، ترتعد أوصالها ،
ارتكنت الفتاتان إلى جدار يضمن بعضهما يلتمسان
أمانا تسرب منهما كرمال بين الأصابع

باب موصل بإحكام يركضن اتجاه ، يطرقن أبوابه ،
يحاولن الخلاص و التحرر ، حتى تمكن القليل منهن
من الخروج ، لتطلقها شهقات متحشجة خافتة فالتت
من قبضة يدها

تتاقت إلى مسامعه جذبته إلى غرفتها ، يشاهدها تكتم
شهقات بكائها بيدها ، أنف محمر و وجنتين احترقن
بهما الدماء يشعر بأنها تكاد تختنق ، اقترب منها
يضمها فحررتها عالية تتردد صداها بين جدران بيتها
الكئيب ، تعلم انه لم يمضي سوى بضعة أيام على
اختفاء حبة القلب لكنها تشعر بألم فقدتها كدهر من
الزمان ، شعور أضخم صدرها بتعب و هموم و أحزان
حتى امتلئ لحافته ففاض بها يسكبها أمطارا على أرض
كتف صلبة ،

ابعدھا قليلا ، أمه الصغيرة بوجهها الوضاء
المشرق ، يذبل و يتكاثر عليه خطوط الزمان تحكي
عن عذاباتہ ، و يديها الناعمتين أضحت خشنة ،
تتشقق من كثرة الأعمال فهي لم تكتفي بعملها في
المصنع بل بدأت تنظف طعام و تجهزه لتبيعه في
السوق ، قبل يديها يعيدها إلى أحضانه لتسكب
المزيد ، يعلم أنها كتمت ألامها بقلبها ، يتذكر نظراتها
الحزينة و خيبة الأمل التي احاطتها حينما ذهب إلى
قسم الشرطة يتحنتان أخبارها ، و كالعادة لم يعثروا
على المفقودين ، رغم ذلك تلقت الخبر بصلاية ، لم
تسكب دموعا واحدة كانت كوتد قوي من الخارج حبس
بداخله هم ثقيل ، هدهدا بكلمات يواسيها بها ، و
يربت بها على قلبه ، و على لسانه جملة واحدة
يردها : "ان شاء الله هترجع "

تركها إلى أن اكتفت ، ابعدا يقول : "رغم أنك بتخبي

حزنك عني إلا أنى شيفه و حاسس بيه يا ماما ...

عارف أنك مش عايزة تضعفي فنضعف بس لما تكتمي

ألمك جواكي تتعبي يا أمي و إحنا ملناش غيرك دلوقتي

"....."

مسح دموعها برفق فكانت كطفلته الصغيرة الباكية بين

يديه ، رغم أنها تزوجت فتاة صغيرة ذات خمسة عشر

عاما ، ألا أنها حملت على عاتقها مسئولية جعلتها

تتضج قبل أوانها ، حاولت سجن هذه الصغيرة لكن

الآن انهار سجنها و تشقق ، لتبكي هموم عمرها

، أجابته بصوت متحشرج تعانده بأخر ذرة تماسك

تتشبث بها : "لازم مضعفش ، و ابقى قوية يا حامد و

إلا هينهار البيت ده ...مين اللي هيشغل عشان البيت

ده يفضل مفتوح "

فرد عليها بصوته الحاني : "امال أنا رحت فين يا أمي
أنا رجلك"

ضيقَت عينيها تنتظر تكملة حديثه ، فأزاح وجهه عنها
يستأنف حديثه : " أنا نويت اشتغل و اساعدك في
البيت يا أمي ، أنا كبرت و لازم اشيل الحمل عنك و
أنتِ تقدي كفايكي تعب و شقى"

زوت ما بين حاجبيها : " هتشتغل ايه ؟"

ينكس رأسه تتلأأ أجابته على شفثيه فهو يعلم أنها
يمكن أن ترفض ، هو لا يريد الكذب فأجاب بكل صدق
: "هشتغلميكانيكى"

عقدت حاجبيها بانزعاج تخلع عنها رداء الطفولة و
تلبس ثياب النضج ، تناقشه كأم واعية : "أنت ناوي
تسيب كليتك و تروح تشتغل ميكانيكى يا حامد طب

المذاكرة و الامتحانات ، ده أنت كليتك صعبة ، و بعدين

هو أنا تعبت و لا اشتكيت يا حامد ..."

قاطعها يقبل رأسها : "مش لازم تشتكي يا أمي كفاية

أشوفك كل يوم ترجعي تعبانة من الشغل ده و تضغطي

على نفسك و تروحي الشغل الثاني ، أنا كبرت و

بقيت راجل لازم اشيل عنك ... و اريحك "

- "يا ابني أنا ببقي مرتاحة لما اشوفك بتذاكر و تدرس

و تاخذ شهادتك ببقي فرحانة ، و مين قالك إني تعبانة

أنا مرتاحة في الشغل....."

-: "مرتاحة مرتاحة لما ترجعي كل يوم تعبانة

ورغم كده عملي الأكل و تذاكري لدي و لده و بعد كده

تسهرني و تنظفي الخضار عشان تبعيه و آخر اليوم

تترمي علي السرير من كتر التعبيا أمي أنا من

وجبي اريحك و أنزل أنا اشتغل "

فقال تعترض علي كلامه : "يا حامد.."

قاطعها قائلاً: "متقلقش يا أمي.. هذاكر وهنجح و
هاخذ الشهادة و أرفع رأسك بس مش هسيبك تتعبي و
تشيلي همي... من النهاردة مفيش مصنع و لا تنضيف
خضار... قعدي ارتاحي أنتِ و أنا هشتغل....."

ربت على يديها و قبلهما يقنعا ليأخذ مباركتها على
قراره.....

فنظرت إلى عينيه بفخر و إعجاب بابنها الذي كبر و
أصبح رجلا يريد حمل تعبها عن كاهلها و يريحها ،
فقال : " طب أنا موفقة بس بشرط متقصرش في

مذاكرتك

فأوما برأسه موافقا : " حاضر "

- " و تحضر الامتحانات "

- "حاضر "

- "اوعدني "

- " اوعدك يا ست الكل "

قبل يدها مرة اخري قائلا: "ربنا يباركلنا فيكي يا أمي

و ميحرمناش منك "

فربتت على رأسه ، تدعي له بسعة الرزق

تحمد الله على بركة في أولادها و أن يرجع

الغائب

دقات خفيفة خافتة لكنها كافية لتوقظهما منتفضتان

من الرعب ، طافت أحداقهما بالمكان ، غرفة مظلمة

لا يضيئها سوى ضوء متسرب من نافذة صغيرة ،

كل شئ يؤكد أن ما حدث حقيقة ، و أنهما كانا عشاء

لأربع ذئاب نعم أربعة ، لا يوجد مُدافع كلهم يريدون
لحمهما الشهيي ، لقد صار الواقع حلم يتمنيانه
حقيقة ، و الخيال أضحى حقيقة مرة يرغبان بأن يعود
حلم بل كابوس يقومان منه يعودان إلى حياتهما
السابقة

عادت الطرقات مرة أخرى ، فتقافز قلباهما خوفا ،
ابتلعت فرح لعبها تجمع حبات شجاعة فرطت منها ،
تمسكت الأخيرة بذراعها و تشبثت يدها بالفأس الذي
حررت به سلاسل الفتى

ترددت الطرقات ثانية مقترنة صوت رجولي مألوف

"افتحي يا أنسة نورافتحي "

التفت فرح إليها ، تزفر تحاول التحكم بصوتها

" الخائف : " مين اللي بيخبط ...؟ "

ليجيبها قائلاً: " أنا سيف ابن الحاج حسين "

تبادلا نظرات الحيرة أيفتحان له أم ماذا ؟، سألته بتردد

:"عايز أيه "

:-"افتحي يا أنسة ، و أنا هشرحك كل حاجة "

أضافت نور بعض القوى لصوتها لكنه فقد الأمان

كصاحبته :-"و احنا نضمن منين انك مش هتأذينا "

:-"و الله ما هأذي حد فيكوا ، بس افتحوا اشرحلكوا

اللي حصل امبارح "

أحتل التردد ملامحهما و لكن لا يملكا خيارا آخر ليفهما

ما يحدث ، ربطت نور حجابها ، تنفست عدة مرات

تجمع خيوط شجاعته الضائعة تربط بهم على

تردها ، تزيح أثاث ببطئ تفتح الباب ، توجه نحوه

الفأس ناظرة إليه بحذر ،

تأملها لثواني ، فتاة قوية تتشبث بفأس تعقد حجابها
بعشوائية ، ترتدي ملابس ممزقة تعلق بها رمال ،
ووجه تجمعت عليه أتربة ، و كأنها محاربة خرجت
من المعركة للتو، يا إلهي حالتها مزرية ، الأخرى لا
تقل عنها معاناة

تحرك يقترب منهما فتشبثت فرح بعصاها مستندة على
الحائط تهدده بتحفز : "عارف لو قربت خطوة تاني
هقتلك "

رفع يديه باستسلام يبادل نظراتهما المهددة بأخرى
حذرة ، يقول : " اهدي يا انسة اهدي انا بس عايز
اشرحك اللي شوفتيه "

قالت فرح : " اتكلم من مكانك ... أنت مين بالظبط ، و
ايه الذئاب اللي شوفناها... و ليه عم حسين أصر نيجي
هنا ... عشان نكون عشا ليكوا و لا ايه؟ "

- "أنا سيف ابن الحاج حسين اللي انتوا قاعدين في

بيته...."

- "عارفين أنك أنت سيف ابن العم حسين ... أدخل في

الموضوع علطول ايه اللي حصل امبارح ده؟..."

اجابها بموهادنة: "حاضر هقولك علي كل حاجة ، انا

كنت الذئب الأبيض اللي أنتوا شوفتيه"

و ها هو يؤكد صدق حدث نور بكل بساطة ، يحيل

شكوكها إلى يقين ، كانت تتمنى أن ينفي أو يكذب

عليهما ، لكن الآن زاد من الرعب الذي بات مقيما في

قلبيهما ،

لقد أيقنت الآن أنه مستذئب يتحول عند اكتمال القمر

كافلام الفنتازيا ، و هو أيضا الذي أنقذها من الأسود ،

أن قالت لأحد هذا سيتهما بالخرف ، نعم فكل ما

شاهدته يعد دربا من الجنون ، تقدمت نحوه بالفأس و

خلفها صديقتها أرفف بصوت هادئ حذر يبتعد عنها
بخطوات : " اهدي يا أنسة نور ، اصبري أكمل أياه
اللي حصل..... "

صاحت به : " اهدي أياه و أنت كنت عايز تقتلنا امبارح
"

- " اديني فرصة اقولك اللي حصل ... اهدي لوسمحتي
"

ربتت فرح على كتفها فتراجعت الأخرى خطوتين
سامحة له بالكلام ،

استأنف يسرد لهما مابين السطور ، يفتح لهما زاوية
أخرى ليران منها ما حدث بعينه هو
حكى لهم أن الواحة الملعونة تملؤها أسرار كثيرة ،
أهلها أنفسهم لا يعرفون الكثير عنها ، هناك فجوة

يستطيع البعض الدخول منها ، لذلك دخل البعض
للواحة و مازالوا يتعايشون معهم بسلام ، لأنهم
حُرم عليهم أكل الغرباء ، أخبرهم أن تحول القمر
لبدر يبدلهم إلى ذئب كبيرة هكذا ولدوا بهذه اللعنة و
لا يعرفون أسبابها ، تعايشوا معها و رضوا بها ،
شرح لهما أن الفتى عندما يخطو عتبة الثامنة عشر
يشعر بأعراض التحول ، يفقد عندها المتحول
السيطرة على جسده يشعر بجوع شديد ، يحطم كل شئ
بحثا عن طعامه لذلك يقيدونه بسلاسل ، كما فعلوا
بأخيه أباد أخبرهم أن الكثير لا يثقون في الغرباء
لذلك لم يرد على سؤالهم أحد ، و أن البعض
يستضيفهم في بيوتهم أو " لوكانداتهم" بشرط أن
يحملون بطاقات شخصية فهم يصنعونها بسهولة و
يستخدمونها في الواحة مثلما يستخدمها أهل مصر ،

لكنهما لا يملكانها لذلك استضافهما حسين في بيته
ليكونا تحت نظره و رعايته ، حل لهما لغز وضع
والده المنوم ، و عله بدافع الحماية لا أكثر و ليس
طعام لأولاده ، خاف ليكشفوا ما وراء ستار الليل ،
كان ينوي أن يمهد لهما يخبرهما بما يحدث ، لكنهما
عرفا بطريقة مرعبة....

استولى الصمت على لحظات من أعمارهم ،

فقطعه نور تغضن جبينها تسأله : " ازاي بتقول أن
الذئاب محرم عليهم أكلنا ، و هما كانوا هيكلونا امبارح
و أنت نفسك هجمت عليا ؟ "

و مع آخر كلماتها تلمست جرحها الذي ضمته البارحة
بقمشة قطعتها من فستانها

"مش عارف ،

امبارح حصلت حاجة اول مرة تحصل "

سالته فرح : "ايه اللي حصل ..."

- : "اللي حصل يا انسة فرح ان القمر كان أحمر

امبارح و ده اول مرة تحصل في الواحة ... أول مرة

أسمع

الأصوات الغريبة اللي سمعتها "

تعجبت الفتاتان فاستأنف حديثه : " أصوات غريبة

وشوشة في وداني بلغة غريبة مش عارفها ، سمعتها

امبارح و بعد ما سمعتها حسيت بقوة عجيبة خلتنى

ابص للقمر غصب عني و بعد كده مش فاكر ايه اللي

حصل"

أنزلت نور الفأس قليلا ، تنظر لصديقتها بتردد
فأجابتها الاخرى بالمثل ...أحتارت الفتاتان أصدقان
كلامه أم لا ؟ لا يستطيعا تصديقه و في نفس الوقت
لن يقدرآ على تكذيب ما عاشاه البارحة ، فما حدث
من عجائب خارقة للطبيعة هو خير دليل على
كلامه....

خطر في بال نور شئ فقالت له : " أنت كنت بتحمينآ
في الأول من الذئب الاحمر و الذئب التاني...ازاي
اتحولت ١٨٠ درجة و بقيت تهجمنا "

ابتسم سيف قليلا لما رآها ترخى قبضتيها عن
الفأس ، و بدأت أمارات تصديقه تتباين على وجهيهما ،
فأخبرها : "أنا هقولك ، انا كان معايا سلسلة بتحميني
من اي حاجة و بتديني قوة ، السلسلة دي وقعت مني
و أنا بتخانق بس معرفش راحت فين ؟"

تركت فرح كتف نور و تفقدت جيب جلبابها و هي
تتذكر ذاك الشئ اللامع ،الذي التقاطته ، انه سلسال
معلق به قلادة تحتضن حجر لامع لم تتمكن من رؤية
لونه ، وجدته أثناء قتاله ، أخرجته من جيبها تتقدم
بضع خطوات مستندة على الحائط وهي تتجاوز
الأخرى تقدمها إليه : "هي دي السلسلة "

فأوما برأسه و هو يأخذها منها

سألته : " طب اشمعني أنت الوحيد اللي معاك السلسلة

دي ؟ "

ابتسم قليلا و هو يلبس السلسال حول رقبته يخبرها :

" مش معايا أنا بس ..بعض العائلات هنا في الواحة

معاهم السلاسل دي بيتوارثوها جيل بعد جيل "

ظلت الفتاتان يمطرانه بأسئلة كثيرة تشبع فضولهما

الذي لا يشبع ،

لماذا هذه العائلات تحتفظ بالسلسال؟ لماذا الواحة

ملعونة ، لماذا اصبح القمر بركة دماء و اهتاج

الذئاب ؟

، لسانه يردد أجابة واحدة لا أعرف

تأفف يقاطعهما : "ياجماعة أنا كل حاجة عارفها

قولتها ليكوا و أي اسئلة تانية معرفش ...اللغنه

موجودة من زمان و إحنا اتعودنا عليها و رضينا بيها

و سألنا الكبار ليه حصلت اللعنة لكن قلولنا

منعرفش ..."

ابتلعت فرح باقي كلماتها و فضولها معهم

، لكن الأخرى أفصحت عن رغبتها منذ أن وطئت هذه

الأرض الملعونة : "احنا عايزين نمشي من هنا "

أشاح بنظره بعيدا يخبرها بأسف شاب كل كلماته : " آسف مش هتقدروا تخرجوا من هنا...الواحة دي كل غريب دخلها زيكوا كده...مقدرش يطلع منها...و اتعود على اللي بيحصل و كمل حياته هنا معنا "

لا هذا مستحيل ثارت الكلمة داخلها فاضت بها لتصيح : "مستحيل اللي انت بتقوله...يعني ايه.... يعني اتحبسنا خلاص و مش هنقدر نرجع تاني "

فقال لها بأسف "الفجوة اللي عند المعبد القديم اللي دخلتوا منها مش هتقدروا تخرجوا منها "

فتعرض الاخيرة : "يعني كلكوا محبسين هنا و مش هتخرجوا "

قال لها : "لا في ناس منا قدرت تخرج و من سكان الواحة "

فرح : "ازاي الناس دي قدرت تخرج "

أشار الى سلساله يفسر لهما : "دول معاهم السلسلة

دي فقدروا يخرجوا "

تمسكت صديقتها بذرات أمل تسالت إليها من

كلماته : "طب ما حاولتوش أنكوا تدوا السلسلة دي لحد

تاني عشان يخرج"

فأجابها يبعثرها في الهواء : "جربنا بس المحاولة

فشلت "

نكست الفتاتان جبينهما بخيبة تسالت إليهما تضيع

أمنية العودة التي يعيشان بها هنا فهما الآن

محجوزتان في الواحة الملعونة و لن يتمكنوا الخروج

من هنا ، و رؤية اسرتهما ، يمكنون في أحضانهم

الدافئة ، يتتعمون بقبلات محبتهم كل شئ هدم
فوق رأسهم و كأن الأرض زلزلت من تحت أقدامهم لا
مجال للخروج من هذا المكان ، أجبرتهما الظروف و
الأقدار للعيش و تنفس مع هؤلاء الذئاب فكل الواحة
تتحول لذئاب متوحشة

الفصل العاشر

ركضت الأيام و الساعات تمر بسرعة البرق ، تجذب
معها ليالي القمر ، و هما يرتعشان خوفا من تكرار ما
حدث تلك الليلة ،

مصباح يتدلى من سقف مزركش ، يتأرجح يمين و
يسار للامام و الخلف ، تلتف معه عيناها ، و يتراقص

ضوءه الشاحب بأرجاء المكان كما تتراقص دقات
خافقها ، غصة تحكمت بحلقها فلا تستطع الصراخ ،
نداء تردد باسمها ، التفتت إليه يبتسم لها بقامته
الطويلة يفرد ذراعيه ، تدنو منه خطوات فيبتعد ،
تطلب منه الانتظار ، يتراجع ولسانه يناديها ، و فجأة
اقتحم ذئب ضخم يسيل لعابه الطويل يصل إلى
الأرض يلعق شفثيه يثب نحوها ، تركض لأخيها
مذعورة تناديه ، لكنه يشحب لونه ، يستمر في
الانسحاب عنها ،

اقترب الذئب منها فقفزت تحتضن أخيها لكن لونه
شفاف و جسده لا يمس كالأشباح يتلاشى بابتسامته
الدافئة و يتطاير بالهواء ،

صوت اصطدام الباب أجفلها ، شاهدهته

يطل بعينين تبرقان تحملق بها ، ناده قلبها قبل لسانها

: " بابا انقذني "

و هو جامد كتمثال لا يحرك ساكنا ، فقط يراقب ،

قبضت يده ترجوه لكنه ابتسم بشر ينفض يدها ،

يدفعها نحو الذئب الذي وثب عليها يعوي بانتصار

يختلط صوته بصرخاتها و توسلاتها

.....

انتفضت تصرخ تطوف عينيها بالمكان ، إنها مازالت

بشقة العم حسين ، لقد عادوا إلى الشقة بعد أن

اصلحوا ما تضرر بها

نهضت تستغفر ربها من الكابوس ترتشف قليلا من

الماء ،

كيف تحلم به ...أبعد كل هذه السنوات ما زالت تتذكره

؟ تتذكر ملامحه ، تتذكر كلمة أبي ، هل مذاقها حلو

دافئ ، أم روتيني بارد ...؟

ما معنى هذه الكلمة ؟ لا تعرف كل ما تعلمه أن معناها

ينطوي على قيمة كبيرة ، هو بالتأكيد جاهل بها ...

غضبت من نفسها تلومها على توصلها له في حلم ،

تعاتبها بداخلها و تسأل : " أمازلتى تترجيه كطفلة ؟

أتشقين إليه ؟ ألا تتذكري ما فعله بكم ...؟ " "

ابتسمت بسخرية ...

تتذكر حقيبتة الممتلئة بملابسه تهتز بين

والديها ، يتصاعد حوارهما متحورا إلي شجار ،

اختلطت به الأيدي ، لتفوز يديه بانتصار دافعا أمها

على الأرض ، يطلق عليها رصاصة الطلاق ، فتهوى

أمها و منطفئة الروح و القلب ، تخلى عنهم ، يلهث
وراء معلمتها الملونة

لم تنسى هذه الحرباء بشعرها الأصفر الطويل و
عينها الخضراء ، و بشرتها البيضاء تشرب بحمرة
تخطف الأنظار تشبه إشارة المرور تماما ،

و منذ ذلك اليوم أمها تذبل كزهرة مُنعت عنها
الماء أما هي دُفع عمرها سنين للامام ، رغم
صغر سنها حملت على كاهلها مسئولية عمل و دراسة
، لم تعيش حياتها مثل فتيات جيلها ، لم ترتدي أفضل
الثياب ، لم ترتد النوادي و المطاعم لم تنتزه مثلهم

فقط عمل و دراسة ، أصبحت أم صغيرة

لأخوتها

تتفتت بعمق تردد قرارها ، هي لن تعتمد على أي ذكر
، ستكون سندا لنفسها ، لن تنتظر يد مساعدة إذا
تعثرت ، ستتهض وحدها ، لا تتكر أن أبيها كان حبيبها
الاول ،

في صغرها رسمته بعقلها الباطن ، رشت عليه ألوانا
زاهيه زادته هيبة ، أضفت لعينيه البنيتين لون حاني
كعينيها ، و ابتسامته استقت من بحور رحمة و حب ،
يهديتها و يرويه بها،

أما الآن بعد أن ظهرت الشمتاء الملونة تخطفه من
بينهم ، لوث ألوانه بأسود قاتم كرية ، تكسر برواز
صورته ليسقط متشققا لشذايا متناثرة لروحها ،
كانت تنتظر رنة مفاتيحه ، تكة مسلاج الباب ، دخوله
للبيت ، ظلت تتمنى عودته لكنه خيب أملها تكسرت
ذاتها إلى شذايا متناحرة تجرح بعضها تتشاجر بين

مؤيد و معارض له ؛ إلى أن صمت المؤيدون و اجتمع
الجميع على أنكار حبه الذي تجمد تحت ركام ثليج

الانتظار

إلى الآن تحاول مداوتها ، إلى الآن تحاول لحم شذاياها

.....

تهدت بعمق سامحة بعقلها أن يطوف بعيدا إلى ذكرى
قريبة تشتتها عن حزنها

.....

دلف غرفتهما بمعطفه الأبيض و سماعته ...

للتسع أعينهم بمفاجئة سيف ابن عم حسين هو نفسه

طبيب الذي عالجهما بالواحة ..

كتم ابتسامته من دهشتها ،

اقتربت الممرضة من يد فرح تعقم الجرح تحت
نظراته ، تسألت : " هو إنا كده ممكن نتحول لذئاب
زيكوا ، بعد ما عضني الذئب ده ؟"

أطلق ضحكة عالية يقول : " الأفلام الاجنبية بوظت
سمعتنا خالص .. لا طبعا "

أشارت صديقتها على يدها تقول: " طب الجرح ده
مش... "

قاطعها يؤكد : " لا مش هتتحولوا و لا حاجة ..."
زاد فضول نور ، فقالت تحاول اشباعه : " طب هو
أنتوا بتاكلوا أيه ؟... ادم حرم عليكموا أكلنا "

التفت إليها يخبرها ببساطة : " بناكل زي ما بتاكلوا
عادي ... حتى لو اتحولنا بناكل ما احله الله لنا عادي

"

امطرته باستفسارات حشرت بحلقها ، تكاد تخنقها إن
لم تفصح بها : "طب انت خرجت من الواحة ؟ و ليه
التليفونات مفيهاش شبكة ؟ و...."

أوقفها بيده يجيبها : "كل دي اسئلة واحدة
واحدة وانا هجوبك على كل حاجة يا نور أولا
أنا اه خرجت من الواحة و لفيت القاهرة و أسوان و
الأقصر شبر شبر و طبعا التليفونات الأرضي و
المحمول مفيهاش شبكة لأننا بعزلة عن العالم .. و
طبعا مفيش أنترنت"

تولت الأخيرة دفة التحقيقات عنها : " أنا شوفت
عربية عم حسين قديمة أوي شبه عربيات رشدي
أباطة ؟ هو ده يعني أن أحنا كده رجعنا بالزمن لورا و
لا ايه ؟"

ابتسم يقول لها : " أحنا مرجعناش بالزمن لورا و لا
حاجة ، بالعكس الواحة بس مش موجودة على
الخريطة و محدش يعرف عنها حاجة منعزلة عن
العالم بس الفجوة بتوصلها بيه... أما عربية الحاج ...
فالحاج بيحب العربيات دي مش أكثر ... إنما في
عربيات تانية بس من غير أنترنت و لا جي بي أس ،
عشان أحنا بعزلة عن العالم كله"

كادت الأخرى أن تتحدث لولا أن دق الباب طرقات
خافته قاطعتها ، تدلف منه فتاة ترتدي حجاب كريمي ،
فستان كثياب القاهرة ، تنكس رأسها بحياء لم يمكنهما
من تعرف على ملامحها ابتسم يقترب منها
، يضع ذراعه على كتفيها يقربها منهما تحت نظراتهما
المتعجبة ، أشعل ذلك الفضول بصدر نور.. ماذا
يقربها هو ليمسها بهذا الشكل الحميمي ..؟

توقف يعرفهما عليها ، إنها ابنة خالته و أمت
لنتأسف لهما ،

ازداد اندهاشهما مما تتأسف ؟

رفعت الفتاة رأسها لهما ، لتكشف عن وجه أبيض
تتأثرت على فراشات نمش منمنمة على وجنتيها و
أنفها ، زادته جمالا و حاجبين برتقاليان اقتربا من
الحمرة ، تبدو صغيرة لا يتجاوز عمرها التاسعة عشر
تقريبا

اخذت توضح لهما و أمارات الخجل استولت على
وجهها ،

أنها هي الذئب الأحمر ، هي من اقتحمت عليهم الشقة
و دمرتها ركضت خلفهم ،
غضن جبينهما بغضب

فأقسمت أكثر من مرة أنها لم تكن بوعيتها ، لما علمت

ما فعلت أرادت الاعتذار منهما

ليقبلا اسفهما و يتبادلن الأحاديث ،

.....

ابتسمت تتذكر ملامح نور التي كاد الفضول يقتلها

كالعادة لمعرفة سبب تقرب سيف من الفتاة ، التي

علمتا من حوارهن بالمشفى أنها ولدت مع أياد بالعام

نفسه و إنها تكبره بشهرين ، و أن والدتها كانا

يتمنيان تزويجها بسيف لكن والدتها مرضت ببداية

ولادتها ، فقامت أمه بإرضاعها و هكذا صار لها

أخوان

يدللاتها بعد أن كانت وحيدة والديها ، عادت إلى
واقعتها ماذا ستفعل الآن ؟ ،... لا توجد مهام تسعى
لإنجازها كالسابق-

نامت تسحب الغطاء عليها ، تعود إلى جزيرة أحلامها
هناك حيث تحلم بما تشاء ، تدعو الله أن يبعد عنها
الكوابيس ، استغرقت ثانيتين ليغزل النعاس مغزل
جفنيها يخيظه و يأخذها في سنة من النوم

لكن هيهات دفعت نور باب غرفتها بقوة أجفلتها ،
استغرقت تضغط عينيها تمثل النوم

لم تتركها هزتها تقول لها : "قومي بقي كفاية نوم ،
الست دي عايزانا نساعدها جي ضيوف ، أم احمد
مجتش نساعدها"

همست بصوتها الناعس تغطي وجهها : " أنا مش
هنزل للست دي مش بطقينا ..."

أزاحت نور الغطاء عنها : " لا مهى عنود تحت ،
البنيت دي لطيفة خالص قومي نتسلى بدل قاعدتنا اللي
ملهاش لزمة دي "

عاندتها فرح تضع الوسادة على رأسها تتهرب
منها : " لا روعي أنت ، أنا مش هنزل "
أزالت عنها الوسادة تجذب يدها تلح عليها : " يلا
قومي عشان خطري ننزل سوى ، بدل نومك ليل نهار
ده "

فقامت الأخرى تتأفف منها ترتدي ثيابها ليصعدا لتلك
المرأة العابسة ...

حجر يتدحرج باندفاع يصطدم بأخيه ليتشقق و يتفتت
إلى أحجار صغيرة تنتشر متباعدة في

الأرجاء ، ليدفع حجر آخر بيأس مستسلم لأفكاره

السوداء التي أدارت عقله

صوت اصطكاك معلقة أخرجه من دائرة أفكاره

"أفضل الشاي "

يتبع جملة واضعا كوب الشاي بجوار إخوته ، و

يذهب متعجبا منه هذا رابع كوب يضعه أمامه

حاصرته أفكاره من جديد لينتشله هذه المرة صوت

نداء صديقه سمير " يا صاحبي ...انت رحت فين ؟ "

التفت إليه يلتزم بصمته ، يستدير يعيد نظراته إلى

نقطة فراغ وهميةيستعيد مشدته الكلاميه مع

رئيسه بالورشة ، أنه لم يعطي له فرصة أخرى

يتشرب منه الصنعة ...و في النهاية أعطاه مستحقاته

و طرده من الورشة

بعد عشرة أيام من العمل و شقاء و تعب ...

عاد صوت صديقه يتردد : "يا عم نحن هنا ... أنزل

معانا على الارض"

التفت إليه متغضن الجبين منحني الأكتاف ، بانت عليه

أمارت بوأس ...

فسأله سمير : "مالك في ايه ؟ "

أطلق زفرة بائسة مثله يقول : " الراجل طردني من

الشغل"

- "ما هو عنده حق ، جه اشتكلي منك النهاردة ، بقى

تبوظ عربية الراجل و عايزه مش يطردكتاني

عربية تبوظها يا حامد هتبوظ سمعة محله يا راجل "

نكس رأسه يحمل همومه فوقها فقرر أن يبوح بها ،

لعله يتخلص منها : " أعمل ايه دلوقتي يا سمير رجعت

لنقطة الصفر و مش لاقى شغل ، و كمان أمي قاعدت

من الشغل ، دبرني يا صاحبي"

ذهبت عيناه إلى أكواب الشاي المتراسة على طاولته :

" كل ده شاي كأنك غني ، و أنت قربت تروح الحسين

تشحت"

اجابه : " ما أنا مرضتش أقول لأمي أني اطردت ؛

فتنزل تاني تشتغل .. كل يوم قعد على القهوة زي ما

أنت شايف أشرب لحد ما املي بطني و أطلعها .. و

كأنني في الورشة .. لحد ما الفلوس اللي معايا قربت

تخلص "

لَقَهْمَا صَمْتٌ لَا يَقْطَعُهُ سِوَى صَوْتِ وَضْعِ الْأَكْوَابِ ،

وَصَوْتِ الزَّبَائِنِ

حتى قطعه سمير يقول بحماس شاب نبرته : "خلاص

مش أنت بتقول ليك حق عند عمك ، روح خده بدل

الشغل و التفت لدرستك "

ابتسامه جانبية ارتسمت على شفثيه : "عمي...عمي

واكل علينا حقنا و بيقول أن أبويا باع له نصيبه في

المطعم و مفيش أي اثبات ناخذ بيه حقنا ..."

رنا الآخر للصمت بتره يقترح عليه : " خلاص روح

اشتغل معاه "

" بقولك عمي واكل حقنا و في خنقات كتيرة بينا و

خلافات اروح اشتغل معاه ازاي و يبقي وشي في

وشه ؟ "

- " روح و جرب يمكن يشغلك"

- " و لو مشغلنيش "

- " يبقي ساعتها مخسرتش حاجة "

صمت حامد قليلا ، فاستأنف سمير يشهر إصبعه
بتحذير : " بس تروح تتكلم معاه بهدوء و براحة
مش دبش معاه خناقة "

- : " يعني أيه ؟ "

- " يعني سايسوه (هاوده) خده علي الهادي

لحد ما يشغلك ، متكلموش في حوار الورث و الكلام ده

"..."

لزم الصمت يفكر في كلامه ، فوكز الاخر : "ياعم

ساكت ليه ؟"

- " لسه مش مقتنع بللي بتقوله"

- " ياعم جرب و مش هتخسر حاجة "

- " طيب هروحله و ربنا يستر "

وافق على مريض ، أنه سيفعل أي شئ للعمل لكي لا
تعود أمه للمشقة و العمل سيهناها ، و يصير عكازا
تتسند عليه كل الاسرة حقا ، يعوضهم عن أب تولى
عنهم ، سيذهب إلى عمه ليرضي ضميره ، و يشعر أنه
دق كل الأبواب لطلب الرزق ، و يترك الباقي لربه
يسيره كيف يشاءراقب الورشة جيدا حتى اختفى
أثر الصبية و رئيسهم بالداخل ...

نهض بخفة واضعا يديه بجيوب بنطاله يدندن بنغمة
يحفظها عن ظهر قلب ، يدنو من سيارة مهترأة تكاد
تتكلم تقبل أيدي صاحبها البخيل لتركها و تغيرها
بأخرى ، لكنه لا يود أن يفرط بها و يصرف أمواله

على أخرى ، فهذا بزخ بالنسبة له ... لقد عكف عليها

كل يوم ليصلحها لكن لا فائدة ترجى منها

يضع تراب على كتفيه و بنطاله ... سار خطوتين

يختبئ خلفها عينيه تتعقب الصبية حتى تيقن من

انشغالهم ، فربت على فمها المفتوح ، يعبت

بمحتوياتها حتى طبعت عليه بشحمها ليمسحه على

جبهته ووجهه ، يصعد إلى امه ، يتقن دوره

ضحك الأخير من تصرفه ، بينما وقف النادل بجانبه

يضرب كفا بكف على حامد فكل يوم يأتي و يفعل ما

فعله الآن .. لا يزد أو ينقص منه شئ هل ضرب

الجنون رأسه أم ماذا ..؟! ...

ضربت البيض بالطاولة ليتشقق و يسيل منه سائل لزج

تفتحه سامحة له بالانزلق بوعائه ، هكذا فعلت مع

إخوته تسكبهم بهدوء على الدقيق ، تقلب الثانية
محتويات الطعام كما تقلب كلماتها بحوار لم يختلط
بعد ، تضيف صديقتها اللبن البارد على الخليط ، تتابع
الأخيرة عملها جيدا ليتحول إلى عجين متماسك
فتجذبه الثالثة تجذب معه أطراف حديث امتزج بينهم و
صار متماسكا....

سكبته في صينية ، و أخذت تربت عليه بالمعلقة و
تهدهده تساوي أطرافه ، تشرع نور الفرن فتتصاعد
منه أنفاس دافئة تطير منه و تحفهن ترسل دفئها إلى
قلوبهن الباردة من ألم فراق الأحباب ، و بعد دقائق
تطايرت رائحة الكعك الشهي تنتشر في المطبخ بأكمله
تحتضنهن ، تشهد على أحاديثهن الدافئة التي نضجت
مثل كعكتها ، اخرجتها عنود من الفرن ، تسرق
بأطراف أصابعها فتفوته صغيرة من حافتها المقرمشة

تلقيها بثغرها تنفخ أصابعها الملتهبة من سخونتها ،
ابتلعها تهبط بمعدتها و تتلذذ بطعمها الشهي كمداق
صداقتهن الوليدة التي انزلت بقلوبا تونس
وحدثها

راقبتهن كالصقر عاقدة الجبين ، عابسة الفم ، و
بداخلها غضب مكتوم لا تستطيع اطلاق صراحها ، لا
تعلم لم امتزج الجميع مع هاتان الغريبتان ؟ لماذا
يتعامل الجميع معاهما بود كأنهما من اهل الواحة ؟
حتى عنود ابنة شقيقتها ... تأففت بأنز عاج ...

انتزعها صوت صرير الباب يفتح ، دنت الفتيات
تختبئن وراء الستار يرين من الطارق .. ؟
شيخ يدخل بخطوات متأنية يستند على عصاه
الخشبية ، يغطي رأسه شعر انتشر به ثلج ناصع
البياض و كذلك لحيته الطويلة ، تجمعت عليه خطوط

الزمان ترتسم حول عينيه و رغم ذلك احتفظ بوقاره و
هيئته ، سلم على حسين بحزم ، و دخل ، يتبعه شاب
قوي البنية لم يتبين ملامحه فهو يولي لهم ظهره
سألت فرح عنود التي تقف فوقها : "مين الشيخ اللي
دخل ده "

فأجابتها الأخرى مركزة عينيها عليه تشير بأصبعها
عليه : " ده شيخ عبد العزيز "

لم تضيف و رنت لصمتها

فالتفتا إليها ينتظرانها تكمل ، اعتدلت تأرجح معها
شعرها الأحمر كلون فراءها ، لينسدل بنعومة و
يستطيل لظهرها تستأنف تحرك يديها : "واحد من
شيوخ الواحة الكبار"

صمتن و ترقبوا ، دلوفهم إلى غرفة الجلوس ليغلق

العم حسين خلفهم ،

و بعد دقائق يقترب منهم يصيح بزوجه يأمرها

بأحضار الشاي ...

تهمهم تفيدة بكلمات منزعة تسكب الشاي بأكواب ، و

تحمل الصينية تعطيها لفرح ، تقول بكلماتها المقتضية

بصوت لأول مرة تسمعه الأخيرة منذ أن دخلت هذا

البيت : "خدي يا اختي وديها هناك .."

حملت الصينية بحذر تتحرك بتأني ، توزع نظراتها بين

طريقها و ما تحمله ...

تقف تسند الصينية بيد ، و الأخرى تطرق بخفوت على

الباب ، يفتح حسين يسد الرؤية عنها ، يأخذ منها ما

تحمله يدلف مغلقا الباب خلفه ، يرتفع صوت عم

حسين يجذب أذنها إلى الباب تسمعه يصيح : "إزاي

الكتاب يتسرق منك يا شيخ عبد العزيز .. دلوقتي إحنا

في خطر "

انتبهت نور لوقفها ، فالتفتت تتأكد من عدم ملاحظة

أحد لها اقتربت منها تحذرها بهمس لكن الفتاة

أسكتتها بأصبع تشير للباب ... فصمتت تسمع

صوت شابه خشونة و نضج :

"جيت اقولك عشان تاخذ حذرك من الأعراب يا

حسين ... و انا مسئول ارجع الكتاب اللي اتسرق .."

:- "طب مين اللي سرقوا "

- :- "اللي سرقوا واحد من الأعراب عندنا .. واحد

عطفنا عليه و دخلنا بيتنا عض الايد اللي اتمديت ليه

بالخير و عرف سرنا و سرق الكتاب"

-: "ده اللي فسر تغير لون القمر للون الأحمر

الاسبوع اللي فات طب أنتوا ازاي.... "

قاطع طرقة عصا حازمه أجفلا لها ، أجابه بحزم :-

ملكش دعوة بكتاب القبيلة بتاعتنا ... أنا هرجعوا ..

خد حذرك من الأعراب و بس يلا بينا "

استوقفه الأخير : "طب استني يا شيخ عبد

العزيز ... طب أنت ما شربتش الشاي ... طب

الشيخ : " أحنا مشجيين نضايف هنا يا حسين ، أحنا

جايين عشان نقولك و تاخد حذرك يلا بينا ... "

ركضا إلى المطبخ ، تختفيان وراء الستار يتابعان

مغادرة الرجلان من المنزل تبادلت الفتاتان نظرات

الحيرة ، عن أي كتاب يتحدثون عنه و ما علاقته بما

حدث تلك الليلة العجيبة ؟

عبثت الأسئلة برأسيهما ، لا يعرفان لها أجابة

الفصل الحادي عشر

حمم بركانية تتوهج بغضب تتقاذف متناحرة فيما بينها ،

تحاول أن تذيب صخرة جمودها أعلى فوهته لكنها

سميكة و صلبة تعاندهم ، بينما تعلو موجات بحر

همساتهن ، تتصاعد تحاول استفزازها لتأتي بحمم

غضبها

هكذا كان بداخلها يموج بثورة عارمة ، و بالخارج

ترسل لهم ابتسامتها الباردة ، ترميهم بنظرات مثلها

تستفزهن أكثر بينما تعلو همساتهن : " إزاي البنت

دي تلبس ملون في العزا ، ايه مفيش حيا و لا

خشى ؟ .. "

تزداد موجات همساتهم : "امال لو عرفتي انها بنت

الراجل اللي مات ... "

تشهق الجالسة بجانبها بتفاجئ ، فتقبض الفتاة على

ثيابها ، تحاول التماسك و السيطرة على غضبها

استأنفت السيدة حديثها : "دي نعمة بتقول أنهم

مبيسألوش على أبوهم حتى في مرضه ."

- "ولاد آخر زمن ... الولاد من دول اللي يرمي أبوه و

أمه في دار المسنين ... عشنا و شفنا"

فتتبعها الأخرى بمصمصة شفيتها تستغفر من هذا

الجيل ،

زادت من قبضتها حتى أبيضت يدها ، تحبس الدم عنها

و رغم ما يثور داخلها من غضب إلا أنها احتفظت

بابتسامة المصطنعة توزعها عليهن تزيد من سخطهن

عليها و تعجبهن ، ذهبت قبل أن يتآكل جمودها ...

أما هو وقف بين الرجال يشعر بالخواء يردد بألية " شكر الله سعيك " مهما اختلفت الأقوال ، لا يغير جوابه يقف جامدا ، لا يشعر بأي شئ ، لا يحس بحزن لا تشوبه موجة بكاء كأبناء زوجة أبيه ، فقط خواء ، هل انتهى رصيد والده عنده حتى لا يتذكر ذكرى واحدة جميلة معه تشفع له فتدمع عيناه ، حتى ملامحه أصبحت كألة تخلو من المشاعر ، كأن والده شخصا عادي لا يحبه أو يكره ، سأم من الوقوف ، فاقترب من مجلس النساء ببیت أبيه ، شاهدت عيناه ماحدث لها قبض يديه بقوة حتى سمع طقطقة سليمانته ، تلتقط أذنه كل حرف تطلقها أفواههن غير مدركين بما قتلت كلماتهن ، أسهمهن طعنت قلبه قبلها ، وقفت فرح ترفع رأسها بكبرياء تحاول جاهدة تجاهل نظراتهن التي تكاد تقتلها ، تسير بفرسان روته زهور

البنفسج الثلجية بلونها ، فاستقت منها قوتها لتنمو
تحت ظروفها الباردة القارسة، تحاربها ، تتازعها
تشق جليد احزانها تنمو و تزداد توهجا

أحاط كتفيها كأنه يحميها منهن و يربت على
جروحها ...تطلعت إليه بامتنان ، لقد نصحتها بعدم
ارتداء الألوان لكنها أقسمت غير حائثة بأنها لن ترتدي
الأسود عليه ، لن تقطر دمعة واحدة عليه فهو غريب
عنها ليس بأبيها ، فأبيها قد مات منذ أن تركهما و
سافر مع نعمة -زوجة ابيهما- ... نعمة بل نقمة و ذنب
حلت عليهم لتفرق جماعتهم و تهدم بيتهم ، و ها هي
برت بقسمها ، كانا يرغبان بعدم المجئ إلى هنا ، لم
يودان ولوج بيت من كان ابيها يوما ما

بيت بل فيلا كبيرة ملئها بأثاث من أفخر و أرقى

الأنواع ...

لولا أمهما أجبرتهما على ذلك تتحجج بنظرات و آراء
الناس ، ماذا فعل الناس لهم عندما تركهم ، ماذا فعل
لهم هل اطعموهم ؟ أقاموا بحمايتهم و توفير الغذاء
لهم ؟ هم من ساعدوا أنفسهم واقفين على أقدامهم
وسط رياحهم و رياح الزمان ، أخته هي من كانت
عمودهم الذي يستندون عليه ، ووالدته كانت سقف
يظلهم تحتهأما الان فاخفتت

.....

عاد من ذكرياته يركز على طرق تسلكها قدماء ، التي
أقسمت بعدم المجئ إلا وقد حقق انتقامه و أخذ حقه و
أرث إخوته منه ، ماذا يفعل هنا ؟

تطلع خلفه ليتعالى صوت قلبه الغاضب يطالب بعودته
و عدم نزع كرامته و تركه عارٍ أمام عمه الذي لم
يرحمهم عند وفاة والده ، لم يعطهم حقهم ، بل وقف

أمامه يحدق بعيناه الواسعة ببرود ، و دخان سيجارته
يزحم أنفه يكاد يتقئ منه و تشدق بعبارة تحمل ثلوج
الدنيا : "أبوك باع ليا كل حاجة ، و ملكوش عندي
مليم ، المطعم ده ليا أنا ، أبوك باعه و سافر مع
الغدورة مراته "

عبث بجيبه يخرج منها بعض المال ، يلقيه على مكتبه
بالشركة ، يقول له كأنه يشحذ منه : " خذ دول ... "

قاطعه يطلق الشرر من عينيه ... و أنفه يتطاير منها
دخان غضبه يحرره بحمم بركانيه يطلقها فمه
صائحا: " أنا مش شحات جي اشحت منك ، أنا صاحب
حق و مش هسيب حقي و حق أخواتي ، و هخده من
حباب عنيك ، و هرفع عليك قضية مش هسيبك ، مش
هسيبك "

ظل يكررها إلى أن حمله حراس شركته ،

، يحلف بأخذ حقهم مهما طال الزمان ، و الآن يعود
منكس الرأس منحنى الأكتاف ، و تحمل عينيه
انكسار ، أحدثته السنين و الأيام أجبرته أن يكون لقمة
صائغة بفمه يلکها ، أو يبتلعها ، أو يبصقها يهينها كما
يشاء ، عادت قدماه تأخر خطوات و تتقدم خطوة حتى
دخل مصطحبا معه ترده ،

مطعم واسع للغاية ضم الكثير من طاولات و المطاعم
استقر عليها زبائن كثيرة ، يحوم حولهم الندلاء
كالنحل مكلفون بخدمتهم ...

قاطع سير نادل وقف أمامه باحترام تأمل زيه الأسود
الأنيق كباقي زملاءه ، تتحنح قليلا يستعيد صوته
يطلب منه أخبار مديره بمجيئه ، انتظر قليلا ، فأتى
الشاب يسمح له بالدخول ، ابتلع ريقه يضبط حرب
ثائرة بين عقله و قلبه ، و

دخل يتطلع إليه يتربع على عرش مكتبه يواليه
ظهره ، تسبح حوله غيوم دخان سيجارته الأسود
تطفو في المكان منتشرة معنة سيادتها عليه
تتحنح ، ليستدير بجسده معتدلا يضع ساقا على ساق ،
لقد زحف الشيب إلى شعره قليلا
، يرفع ذقنه بكبر لم يتخلى عنه ، كأنه خلق له
خصيаса و نمي له بطن كبير ملئه بخيراتهم هم ، و
بحقوق أخوته التي نهبا مدعيا أن أخيه باعهم ، و
باع إرثه له ، احتواه قميص أبيض ناصع تضمه بذلة
سوداء أنيقة ، تدلي عليهم ربطة عنق حمراء لتكتمل
أناقته تطلع إليه

قائلا :

"أنت جي ليه يا حامد .. دلوقتي ... إياك جي تقولي
علي ميراثك ، أنت ملكش عندي حاجة ...جاي تاني
ليه"

تتحنح يستجمع كلمات ردها كثيرا أمام المرأة ،
عبارات انتقى أحرفها ، رتب أماكنها ، حذف منها ما
قد يؤدي كرامته على قدر الإمكان ، لكنها حشرت
بحلقه لا تريد الخروج فاختار أخرى ينفي ما قاله عمه
:

"مش جاي عشان ميراث يا ذكريا بيه"

سحب انفاس من سيجاره يتسأل : " امال جي

ليه؟"

تمتم يحاول اطلاق كلماته التي حبست بفمه : "

أنا...أنا "

- "أنت ايه؟....خلص أنا معديش وقت...."

استنشق هواء محمل بملوثاته يهدأ من روعه ،
يستجمع شتات حروفه يواسي قلبه أن أمره أدى إلى
ذلك ، و عليه أن يرضى بقضاء الله و يجرب لأجل
أخوته و والدته ، لكن يعود صوت عمه يعلو بداخله
يذكره بكلماته القاسية الباردة ، قال بصوت حاول
بقدر استطاعته أن يكون هادئاً لكنه فشل فخرجت
كلماته خشنة يسرد مقدمة طويلة : " فرح اختفيت
من يوم آخر رحلة استكشافية ليها ..و معرفناش هي
راحت فين ؟ "

أوماً ذكريا ببرود : " و بعدين "

لم يتعجب حامد لعدم مبالاته و عدم قلقه على ابنة أخيه
، استأنف حديثه : "و من يوم اختفائها و أحنا قلقين
عليهاو...."

قاطعه ذكريا بانزعاج قائلا : " ايوا عايز ايه يعني

انزل ادور عليها معاكوا ؟... "

كتم نيران غضبه التي أشعلها باستفزازه له ، ضغط

على كلماته : " لا يا ذكريا بيه أنا بس بحاول

اشرحلك و أدخل في الموضوع "

-: "طيب اخلص و ادخل في الموضوع علطول عشان

ورايا مصالح متعطلة "

استغفر حامد في سره يحاول أن يخمد ثورته عليه

متمسك بأخر ذرات صبره و هدوءه : " حاضر هحاول

اختصر عشان وقت حضرتك الثمين ... من يومها و أنا

بحاول اشتغل و ادرس عشان اريح أمي من التعب و

الشقة ده "

: " خلاص أنا فهمت انت عايز تقول ايه ... "

صمت يدس يده في جيبه يخرج بعض النقود

يلقيها أمامه بطريقة ذاتها يتبعها بعبارة مستفزة باردة

: " خد شوية الفلوس دول و ربنا يسهلك "

أيقظ التين القابع بداخل حامد يتميز من الغضب ،

تطلق عينيه شرارات نارية يكاد تحرقه ، أغلق عينيه

يستغفر قبل أن يقتل ذلك الكائن البارد الذي ولد

بالقطب الجنوبي ، و اثلجت على دمائه صقيعه فتحول

إلى كائن ثلجي لا يغضب زفر يجمع حبات هدوءه

المبعثرة ، يضغط على اضراسه يتحكم في انفعاله

لتخرج كلماته خشنة

: " لا يا ذكريا بيه شكرا أنا مش محتاج لحسنة "

فقال ذكريا بملل : " امال عايز ايه خلصني "

فعض حامد علي شفتيه يكاد يدميها من الغيظ : " أنا

كنت عايز من حضرتك تشوفلي شغل هنا "

فقال ذكريا : " تشتغل هنا ...بس هتشتغل ايه ؟ "

استعاد ثباته يقابل عينيه بكبرياء يقول بثبات يخالف

موضعه : " أي حاجة بس المهم اشتغل ...و أحنا لينا

خير و بركة غيرك يا ذكريا بيه "

وقال آخر جملته تتوارى خلفها السخرية ، حذف كلمة

عمه المقربة فهي كلمة مقدسة قد تناسها ذكريا ،

فتأرجح الأخير على كرسيه واضعا ساق على الأخرى و

قال بترفع ملحوظ : "بس الشغل هنا صعب و متعب "

:- " وماله هستحمل "

- " في ورديات كتير و ممكن تاخذ وردية صبح و بليل

"

- " مش مشكلة ... المهم اشتغل "

استنشق بعض الدخان من السيجارة ، وهو يقلب
مطلبه في عقله ، أخرج حلقات دائرية سوداء من فمه
و أنفه قائلا : " خلاص موافق عشان خاطر أمك
المسكينة دي ، روح استلم الشغل من سعيد "

ساورته مزيج متناقض من المشاعر غضب و فرحة ،
ذل و حماسة فكتمها يضغط على كل كلمة يجبر لسانه
على قولها : " ربنا يخليك لينا ذكريا بيه "

و خرج يستغفر ربه على نفاق اعتقه ليقتنص منه
عمل يصرف به على بيته ...

استدار الآخر يستنشق بعض الدخان من سيجارته

و قال : " شكلنا هنتسلي "

ونفخ يملئ الغرفة بغيومه القاتمة

طرقات حازمة متتالية دقت الباب ارتعب منها أهل
البيت ، استيقظ يفرك عينيه ، يركض اتجاهه يفتحه
ليدخل الشيخ عبد العزيز ورائه فتاة و شيخ آخر ،
أدخلهم غرفة الاستقبال يهرع ينادي أبيه الذي يرتدي
خفه على عجل

سأله و القلق أصاب قلبه : " مين اللي جاي في الوقت
المتأخر ده يا ابني"
- "كبار الواحة يا بابا"

نهش الخوف خافقه فتمتم : " استر يا رب
استر ... شفهم يشربوا عقبال ما البس و اجي "
أوما يهرول يدخل غرفة الاستقبال يسألهم عن
مطلبهم ، و كلهم اجابوا بالنفي ،

وجوههم متجهمة لا تبشر بالخير

دخل حسين يسلم عليهم : " أهلا بكبار الواحد....."

بتر سلامه شيخ كبير ارتسمت على ملامحه أخاديد

الحزم و الخوف ... تبعثرت برأسه شعيرات بيضاء

أضافت له وقار : "مفيش وقت لسلامات يا

حسين ..أحنا كلنا في خطر و لازم نعمل حاجة "

تصاعد الخوف إلى ملامحه يسأل : " ايه اللي حصل يا

جماعة فهموني؟ "

أجابه الشيخ عبد العزيز : " الكتاب الثاني اتسرق يا

حسين ... لازم نحافظ على الكتاب اللي معاك وألا ...".

فهم مقصده يعلم جيدا ما سينال الواحة ، سوف

يعودون إلى تلك الأيام استعاذ بالله من هذا الخاطر : "

طب هنعمل أيه دلوقتي ؟ "

- " لازم نتعاون كلنا عشان نحمي الكتاب اللي

معاك ... يا حسين "

فابتسم يبعث إليهم شئ من الطمئينة لم تتسرب

إليه : " متخفش يا شيخ عبد العزيز .. بعد ما

وصلني أن كتاب الأول اتسرق ... غيرت مكان

الكتاب .. حطته في مكان محدش يقدر

يوصله .. متخفش يا حج مبروك .. "

قال الحج مبروك بصوت تحذيري : "الكتب بتحس

ببعضها يا حسين لازم تحرص ... لازم تعين حراسة

على الكتاب ... قبل ما يوقع بين ايديه"

ابتلع حسين ريقه يوماً له لكن قلبه خفق رعباً

لما شعر بتلك الهزة الأرضية يتشبث بأريكته الجالس

عليها ، هذا لا ينبأ بخير هناك خطر قادم .

ظلال توارت خلف الجدران تحدث جلبة عارمة ترجف
قلبها ، تسد أذنيها ، طافت عيناها بالمكان لا ترى
سوى جدران مصمتة ، لكنها تسمع أصوات مختلطة لا
تميز ماهيتها

و في غمضة عين تجلت أمامها بسوادها القاتم تنمو و
تستطيل تضخم لا تعلم إن كانت لبشر أم لكائن آخر فقط
هي ضخمة و كثيرة تكاد تحاصرها ، تقترب منها
فاطلقت لقدميها الريح ، و مع كل خطوة تتلفت خلفها
بارتعاش ، إنها تدنو منها بسرعة هائلة ، تكاد
تلاحقها و تمس أقدامها ، توقفت تتحني تلتقط أنفاسها
المذعورة مثلها تتطلع حولها حتى وقعت عيناها على
ممر ، ولجته تختبئ به

"-نوريا نور "

همس تردد بأذنها ، فهمت أن تصرخ لكن يد صلبة
كتمت فمها استدارت تراه يشهر إصبعه أمام فمه يشير
لها بالصمت....

أومأت برأسها فتركها يستند إلى الحائط يراقب تلك
الظلال تبتعد عنهما ...

التفت إليها يهمس : " أنتِ كنتِ فين يا نور؟ ... دورت
عليكِ في كل حنة "

فاعادت سؤاله تتفحص جسده بعينيها تحت ضوء
القمر : " أنت اللي كنت فين يا معاذ ؟ سيبتنا نخش
الواحة الملعونة و اختفيت "

- : " أنا كنت هنا في الواحة دخلتها معرفش ازاي
عشت فيها ، دورت عليكموا كتير لحد ما لقيتك تعالي
معايا نخرج من الواحة تعالي "

فهزت رأسها توافقه ، سارا هما الاثنان ليقطع
طريقهما ، يقف يوزع نظرات استفهام عليهما قائل :
"أنت مين و جي تاخذ نور ليه ؟... متروحيش معاه يا

نور "

وقف معاذ قبالتة يقول بحمائية سيطرت على صوته
الهامس : "أبعد عننا يا جدع أنت أنت

مالك "

وكزه بكتفه يرد عليه : "أنت جي ليه ... هاه .. و آزاي
دخلت الواحة...؟ "

لم يرد عليه بل أرسل كلامه لها يأمرها : "يلا يا نور
نخرج من هنا "

- " و هنسيب فرح "

- " يلا مفيش وقت "

تجاوزة يسير و هي خلفه تنظر للاخر بحيرة ، قفز
سيف في الهواء ، يتعاطم جسده ، تنمو عضلاته ،
يكتوه شعر أبيض كثيف ، يتبدل لهيئته الضخمة يسد
طريقهما يهدده : "مفيش حد هيمشي من الواحة ...
اللي بيدخل مش بيخرج منها تاني ..."

ركض نحوها ... لكن أعمى اعينهم ضوء ارجواني
سطع فجأة يغمر المكان بضوءه ... لينتفض قلبها

.....

هذا ما تتذكره من حلم أمس ... إنه أول مرة يقتحم
أحلامها منذ أن وطئت أرض الواحة ، أين هو الآن ؟
هل هو هنا بالواحة و سيأتي لانقاذها أم لا ؟
ازدادت ارتجافة قلبها .. التي استمرت معها مذ الصباح
... لا تعلم لماذا يحدث هذا معها؟

يزداد الألم بخافقها يختلج بقوة كأنه سينزع من مكانه

..... انحنى تتمسك بالفراش تنتزع أنفاسها

بصعوبة... و جبينها يتصفد عرق بارد ، لا تعلم ماذا

يحدث قبضت على وشاحها تلفه بعشوائية و مازالت

يدها الأخرى تقبض على صدرها من الألم

اعتدلت تستند على الفراش متجهة إلى باب الغرفة

لينقذها أحد ، فلم تسعفها قدماها ، انهارت تتركن إلى

الحائط ، صدرها يعلو و يهبط ، قلبها يضربه بقوة كأنه

يريد التخلي عنها والخلاص من قفصه ...

زادت وتيرة تنفسها ، تستجد رئاتها بالهواء لكنها

شعرت بأن الجدران ضاقت بها

تكتم الهواء عنها كأنها خلت من أكسجين ، فاغمضت

عينها شاعرة بانسلاخ روحها عن جسدها .

جسد نحيل صغير استطاع أن يقحم نفسه بينهما ،
يتلوى يمين و يسار يحاول كسره إلى أن نجح في
تحطيم قفله و صنع فرجة صغيرة ،

أخرج المفك ، يزيح النافذة يتلفت يمين و يسار و لما
اطمئن ، قفز برشاقة يطئ بقدميه أرض الغرفة غلق
بابها ، و طفق يتحسس الجدران كلها ، توقف يبتسم
يضغط على حجر بارز لامسه ، فتزلزلت

الأرض من تحته ، يتشقق جزء منها ، يتراجع محدثا
رجفة اهتز لها المبنى بأكمله ، تجلت أمامه هوة
مظلمة ، ارتعدت أوصاله خوفا من أن يشعرون به ،
أشعل شمعة كان يحملها بجيبه و نزل سلالها سريعا
، لم يبحث كثيرا فمقصده لمع أمام عينيه ، صندوق
صغير مطعم بنقوش فرعونية كثيرة ، التقطه يدسه
داخل قميصه و أخرج رأسه من تلك الحفرة

لكن تلاشت ابتسامته ، يوزع نظراته الخائفة بينهم ،

"أنت مين و بتعمل ايه هنا "

دوى صوت حسين بالارجاء

فارتجف يثب بخفة اتجاه النافذة التي دخل منها وعينيه

تترصد حركاتهم الحذرة

اشهر سكين حاد يشيح به أمامه ، يهدد : " أن حد

قرب مني هقتله "

لكن دفعه سيف الذي كان واقفا خلفه يسقطه ، و

بثانية واحدة تضخمت عضلات الدخيل ، يمتلئ جسده

بالفراء يزأر كأسد ، يقبض باسنانه على كنزه ...

.....

طيفها يحوم حول جسدها ترى عينيها زائغة ... و
رأسها مطأطأ تترنح بسيرها كالموتى فقدت
شعورها به

غادرت الغرفة تسمع نداء فرح الجالسة على

الأريكة ...

أجابت الأخرى نداءها لكن فاهها لم يتحرك ، فقط

تمشي بطريقها كآلة يتحكم بها عن بعد

صاحت تنادي صديقتها ، يعلو صراخها تأمر جسمها

بالتوقف ،

إلا أنه عاندها لم يستجب لها

و لم تسمعها فرح ، وقفت تستند على عكازها تحاول

اللاحق بها ، تنزل درجات السلم خلفها ،

تتبعته نور يفتح شقة الدور الأرضي بسهولة

فالباب مفتوح ، و منه إلى إحدى الغرف ، رأت جدارها

محطم ، اقتربت منه حيث يتجاوز الحائط ،

شاهدت قط أبيض ضخم يتهادى بخطوات مستعرة ،

يحوم حول أسود مثله يثب عليه و يوقعه ، اتسعت

عينها تتطلع لصقر يختلط لونه بين البني والأبيض

يحوم حولهما

لم تمنح وقت تتعجب به ، فقد تصاعدت ضجة

برأسها ، تكاد تميت سمعها

كتمت أذنيها بيديها ، تتمم بتوقف

تشعر بانتفاضة قلبها أكثر ، استشعرت بروحها

تتحرك بسرعة خاطفة تعود لجسدها الهائم ، تسترد

التأثر به تدرك ملمس نقوش الصندوق الذي سقط

منهم و التقطته ، فتحته دون إرادة منها ، كأنها

تنساق كدمية خاضعة لسيطرة شخص ما، رأت كتاب

بأوراق بالية صفراء ، فتحته لتتلاها عدة كلمات تنير
واحدة تلو الأخرى و هي تهمس بها باستسلام ،
تسربت إليها حرارة تجتاح عروقها باغته ، أرادت
الصراخ الاستغاثة بأحد ، لكن قوى خفية سجنّت
صوتها وعقدت لسانها ، فاستسلمت لتلك الصاعقة
الكهربائية التي سرت بجسدها بالكامل يكاد عقلها
يحترق من شدتهاتحرر لسانها أخيرا ، ليطلق
صياح قوي متألم جاذبا أبصارهم نحوها ،
فتاة تطير في الهواء وُشمت بخطوط على يدها تتوهج
بلون أرجواني تتعاقب و تفترق ، تتصاعد منتشرة بكل
خلية بها ، حتى ملئت جسدها كله ، عينيها شاخصة
بالسماء ترسل ضوء أرجواني ، و هي مازالت
تصرخ

اشتد ضوءها تنثره بكل مكان و كأنها مصباح مشع

قوي ينافس سطوع القمر الذي اقترب من الاكتمال

يديها تضم كتابهم تتشبث به بأظافرها، كأنها القشة

التي ستنقذها من الموت

جحظت عينا فرح لغرابة المشهد ، و تزداد دهشتها لما

وقعت عيناها على صديقتها التي تطفو في الهواء

تردد كلمات عجيبة

ألقت الصدمة خيوطها عليها تقيدها تمنعها عن الحراك

، ...

قوة ضوءها أعمت أعينهم ، إلى أن هداً شيئاً فشيئاً و

سقطت الفتاة على الثرى يحتوي بدنها المختلج مغلقة

العيان ، حينها صاحت فرح تشعر بقلبها سقط منها

في بئر سحيقة من الخوف ، انحنى تحتضن

ارتعاشاتها المتتالية إلى أن خفت

نادتها باسمها ترجوها أن تبقى معها ، توقفت الأخرى

عن الارتعاش ، فدنت فرح من خافقها تدعى الله بأن

تتشبث صديقتها بالحياة ، لكن قلبها تخرى عن نبضاته

تاركا حياتها المرعبة البائسة ... مستسلما لخطر

الموت اللذيذ ...

صرخت تهزها عدة مرات غير مصدقة خافقها

الكاذب : " نور اصحي يا نور... نور ردي عليا ... يا

نور ما تموتيش تسيبيني هنا لوحدي"

لم يحتمل عقلها المصائب المتتالية التي وقعت فوقه

كصخرة ضخمة ، فاخترى كل شئ من حوله ساحبا

إياها الظلام

الفصل الثاني عشر

عصبة من السحب الرمادية الداكنة تجمعت و تكاثفت
أمام البدر المكتمل ، تخفيه تطمس ضوءه المنير
لتضفي شحوبا على كل شئ ، رياح غاضبة يزداد
صراخها تبت الرعب في القلوب ، و ثرى متناثر يلطم
الأبواب و النوافذ

استدارة بسيطة زادت من وتيرة الرعب ، غيمات
دخانية تناثرت حولها تتكاتف متحدة مع بعضها ، تكاد

تعمي عينيها ، تتدرج ألوانها بين الأحمر القاني و
الأزرق الشاحب

رائحتها كريهة تطوف حولها تشعرها بأنها ستفرغ ما
في بطنها ، كتمت أنفها بقوة و رغم الخوف الذي يدق
بقلبها دنت من مصدر الدخان

رأته ينثر مسحوق ملون يشبه التراب في قدر
كبير

خطوات أخرى كانت كافية لتحرر شهقة مرتعبة ، و
عينان تحاولا الهرب و اغلاق أبوابها ...

لكن شئ قوى يدفعها للنظر إليه يخطف وليد لم يتم
ساعات من يد أمه التي قاومتها تخمشه ، و تصرخ
مكلومة ، تدافع عن ابنها ... سرقة عنوة مغلقة
محبسها عليها ، بقبضته الظالمة هوت بسكينها الحاد

على رقبته لتتفجر دماؤه و يفضه بوعاء صغير تحت
عباراته العجيبة ، و رقص رأسه المحمومة

لم يكتفي بهذا بل شق الجلد سلخه عن اللحم ، فصل
عظامه عن جسده أتى بوعاء آخر و مازال يرتل
كلماته العجيبة ، و يديه تتشبث بصخرة تدهس عظام
الصغير ، يطحنها حتى صارت حبات صغيرة خلطها
بدماؤه و في القدر الكبير سكبها

و أمه ما زالت تعوي و عينها تفيض بدمعات ، ترمقه
بقوة تخربش قضبان محبسها ، تتلوى به تكاد تحطمه
رغم تعب ولادتها

أما أباه طريح الأرض في نزعه الأخير يودع العالم ، و
آخر مشهد يراه زوجته الباكية ، و بقايا ابنه تهوى
في ماء غريب تتصاعد منه أبخرة ملونة

صرخت تغمض عينيها غير مصدقة مارأته ، أي رجل

مختل هو يأتي بوليد ذئب يقتله بهذه الطريقة

البشعة ..ماذا فعل له هذا المسكين ...؟

شرعت جفناها ترى القمر يعانق السماء بهدوء بيت

بها من هالته الفضية ، تنافس أضواء مصابيح الليل و

نجومه

كل شئ هادئ لكنهم تجمعوا ، متحلقين حول بئر نقش

عليها رسومات فرعونية قديمة .. دنت منهم تحاول

اقحام نفسها بينهم لكن حدث ما أثار تعجبها و هلعها

إنها اخترقتهم جميعا ، و وصلت إلى حافة البئر تأملت

جسدها الشفاف كالاشباح ، هل ماتت و تحولت لشبح

يطوف في عوالم غريبة ، أم أنها تحلم و ستعود للحياة

؟.....

انتشلها من تساءلاتها ذاك الرجل القاتل يديه مازالت
ملوثتان بدماء الوليد ، عرفته من لحيته المجدولة ...و
صلعته التي تضوي تحت ضوء القمر

كان يرتدي جلباب مليئ بالرسومات المطرزة ، و
تستقر على صدره تمايم كثيرة ، راح يرتل بصوت
خشن متحشرج ألفاظ أول مرة تلتقطها أذناها ، يأرجح
جسده يمين و يسار ، و هم يرددون خلفه ، ملابسهم
تختلف عنه ، أقمشة تحتضن خواصرهم تصل إلى
ركبهم كملابس المصريين القدماء ، و النساء أيضا
اتشحت بكتان أبيض.....

ثوانى معدودة و أنضم إليهم شيخ أصلع مثله يرتدي
قماش كتاني كما يلبسون ، لكنه زاده بجلد نمر يغطي
به صدره ، يحمل قدر احتوى على سائل أحمر اقترب
من الزرقة مازالت تتصاعد منه الأبخرة ،

رفع القاتل ذراعه ففعلوا بالمثل أخرج سكين وكاد
يقطع باطن يده لكنه لم يفعل ، أما هم فعلوا لتتفجر
الدماء منهم فيسكبوها في ذاك البئر

أشار القاتل للرجل الآخر بسكب ما معه ، فنفذ الأمر
ليضيف على دمائهم سائله العجيب

أدار يديه في السماء لتقلب الماء محتوياتها دون أن
تمسها ، ترتفع تراتيلهم مختلطة بصوته عاليا فيختبئ
القمر بين الغيوم مرتعشا

تدور الماء فيمتزج الجميع ببعضه يتحدون ، و
يختلطون حتى يصبحوا مزيج واحد خليط أحمر كالقمر
الذي تخضب بحمرة قانية يشق السحب ، ارتعدت لها
أوصالها ، عادت ببصرها للبئر رأتهم يقتربون من
السائل العجيب يشربون منه و من بعدها يسقطون

على الأرض يتلون من الألم ، يصرخون يتكورون على
ذاتهم ، اجسادهم تنتفض بشدة

سمعت عواء آتٍ من السماء رفعت رأسها تشهق ،
أطراف ملونة تحوم حول البدر تبتعد عنه تسبح في
الفضاء تقترب منها ، رفعت يديها أمامها بعفوية تدافع
عن نفسها ، لكنها ليست غايتهم ، انطلقت الأطياف
تخترق أبدانهم فيتحولون مثل أياد ... تتبدل هيئتهم
لذئاب ضخمة مخيفة ...

رأتهم، يحدقون بها هل يستطيعون رؤيتها ...
اقتربوا منها بخطوات وئيدة ، فتسارعت دقات قلبها
خوفا منهمحاصروها من جميع الجهات فانحنت
على الأرض تحتضن رأسها بين ذراعيها برعب ،
تدعي الله أن ينقذها ، زاد رعبها هي لم تعد تشعر
بلمس الأرض تحتها ، تحس أنها خفيفة تطفو في

الهواء ، دارت عينيها حولها تصرخ رعبا أنها تطير
كالأشباح و في غمضة عين اظلمت الدنيا حولها

قطرات تتقاذف هنا و هناك ، و هو يرتعش بين يديها
يهدد بالسقوط الوشيك ، فتستحلفه عيناها بالأفعال ...
تبطئ خطواتها حذرة ، و مقلتها تراقب حركاته ، لكنه
ابتسم ينتظر اللحظة المناسبة ، حتى وصلت إليه فقفز
يسقط على ثوبها الأبيض يلوثه ببقعته الصفراء ...

- "أنتِ عامية مش شايفة قدامك"

صياح الفتاة زاد من نبضات قلب النادل رعبا ،
تتشبث يدها المرتعشة بمنشفتها ، و تهم أن تنظف
ثياب تلك الغاضبة من الحساء ، تهمس لها : "أنا
متأسفة جدا وقعت غصب عني و....."

تقلص وجه الأخيرة بتقزز تدفع يد النادلّة بعصبية و
تقول : "أوعي هتوسخي لي الفستان ، فين المدير اللي
هنا ... انا عايزة المدير "

في ثوانٍ معدودة جذبت أبصار البعض لهما ، حضر
المدير يقول لها : " أيه اللي حصل يا فندم في
ايه ؟ "

صاحت الفتاة : " البنت العامية دي وقعت عليا
الشربة السخنة بوزتلي الفستان "

همت النادلّة لتبرر له موقفها ، لكن أوقفها بنظرة كاد
يقتلها بها تبعها يشير للمطبخ : " يلا اسبقيني على
المطبخ و أنا ليا معاكي كلام بعدين "

استدارت تنفذ ما طلب منها على الفور ، عينها
تحتضن الأرض خجلا و حرجا ، تتمنى أن تتشق و
تبتلعها ، صعدت مقلتاها لحظات

، التقطت فيها صورة رانيا تتأملها بنظرات تحمل
شفقة توارات خلفها شماتةعظيم هكذا ستصبح
علكة الجامعة سيلوك سيرتها الجميع.....

ولجت للداخل ، و لم يترك صاحب العمل الأمر هكذا
فقد خصم منها باقي الأسبوع لكي لا تكرر ما فعلت ،
و أمرها بغسل الأواني

دنت من حوض المياه تلتقط صابون تسكبه على
إسفنجة تنظف بها الطبق جيدا ، تركت يدها تعمل ، و
عقلها يسبح بأفكار كثيرة ،

ماذا ستفعل الآن وتتصرف مع هذا الردار فهي لم تكف
عن اللهات خلفها و تحسس أخبارها حتى علمت بكل
شئ ...؟

عقدت حاجبيها بعزم ، إنها ستواجهها و تكون قوية
ستخلع عنها قناع البراعة ، سترمقها عينا بعين ، فلا

شئ يحني هامتها ، و لا يكسرها ، إنها تعمل عمل
شريف .. لولا ضعف قلب أباهما و أمر الطبيب براحة له
ما عملت هنا ، تذكرت حديثها مع والدها اليوم :

ثلاث طرقات على باب غرفتهأخرجته من
تفكيره ..و عادت الطرقات اللطيف مرة أخرى تدق ،
فأذن لها بالدخول ، ولجت تحمل صينية بين يديها ،
وضعتها على ساقيه احتوت كالعادة طبق فول مدمس و
طعمية رائحتها تسكره من حلاوتها

قالت له : "يلا بقي يا بابا عشان تاكل و تاخذ

الدوا قبل ما امشي "

بدأ والدها يقطع لقمة من الخبز و يغمسها في طبق
الفول يلکها بين أضراسه ، و يجيبها : " هو أنتِ لسه
مصرة على الشغل ده يا بنتي... "

ابتعدت عنه قليلا تدنو من النافذة ، تريح الستار
لتسمح بدخول أول خيوط النهار إلى غرفته : " يا بابا
ما أحنا اتكلمنا في الموضوع ده و أقنعتك و وفقت أني
انزل اشتغل لحد ما تقف و تروح شغلك تاني "
ترك الخبز من يده قائلا : " طب و مذاكرتك يا بنتي و
الجامعة ... "

جلست بجواره تغرق قطعة الخبز في الطبق ، ثم
تدسها بفمه ، تهمس بنبرة سحرية تقنعه في ثوان ،
تتقنها جيدا معه : " متخفش يا عم جاد أنا منظمة
وقتي و عاملة حسابي على كل حاجة "

اعترض : " بس كده مجهود كبير عليكي يا

بنتي و هيتعبك "

ناولته دواء و ماء ، و حملت الطعام بعد أن أنتهي من

وجبته : " و لا مجهود كبير و لا حاجة و متقلقش

الشغل اللي جيباه ريم سهل و مش متعب "

أخذ دواءه ، فهمت بأغلاق الباب

لكنه استوقفها : "موصلش أي اخبار عن أختك "

نكست رأسها و هزتها نافية

فأجابها بيقين في الله يسكن قلبه : "متقلقيش يا نورين

أختك عايشة ممانتش و هترجع باذن الله "

دعت خلفه تعيد إحياء بذرة الأمل بقلبها : "يا رب يا

بابا يا رب..."

أغلقت عليه الباب و هو يتمم بدعاء لها و لأختها

.....

- "نورين حسبي هتكسري الطبق ، فوقى يا ماما و

انتبهي للى بتعملي .. و اسرعي شوية "

أيقظها صوت الشيف الذي يقف خلفها من بحور

أفكارها ، فرأت يدها تكاد تضع الطبق على الهواء

فينكسر

ردت عليه بارتباك : "ح.....اضر حاضر يا فندم "

عادت تجبر تروس عقلها على التركيز في عملها ،

تحاول أن تنجزه سريعا و تغسل ذلك الجبل

كان يتابع ما يحدث من أوله منذ أن أشرق المكان

بطلتها المرتبكة ، إنها هي فتاة القطار

ترصدت أذناه كل كلمة و التفاتة منها يتابع ما يحصل ،

حتى أنهى عمله ينهض يقترب منها ...

رأها وهي تغسل طبق بسرعة ، فتزحلق من بين
يديها ، ركض باتجاهها و التقطه قبل أن يرتطم
بالأرضية ، التفتت إليه تشهق من الخوف ، فقال
يطمئنها : "متخفيش متكسرش لحقته ..."

أعطاه لها ، فأخذته منه و هي تشكره بخجل لم يغادرها
منذ أن ولجت المطعم : " شكرا يا .."

أشرقت ابتسامته البهاء يجيبها : "حامد اسمي
حامد ...مش أنتِ لسه جديدة هنا "

أومأت برأسها و هي تعود لعملها

فأضاف قائلا : " مش انتِ اسمك نورين مش كده "

تركت ما تحمله بحذر على الطاولة ، ترفع رأسها ،

تتسأل بحيرة : "عرفت منين؟"

أشار الي بطاقة اسمها التي تنير ملابس المطعم التي

ترتديه ... : "من ده "

استأنفت غسل الأواني

يردف : "أنا خلصت شغليممكن اساعدك لو مش

هضايك طبعاً ؟"

أجابته ببرائة لم تتخلص منها بعد : " أيوا لو سمحت

ده جبل مش عايز يخلص "

ابتسم ببشاشة : "طب مش هتقولي لا وكده اللي في

الأول دول "

رسمت ابتسامة حرجة على شفثيها : "لو مش عايز

تساعدني و وراك حاجة تانية خلاص "

شمر عن ساعديه ، ينضم إليها يمك طبق ملئته

بفقاات يضعه تحت الماء : " لا مش ورايا و

هساعدك يا ستي "

و طفقت تنظفهم ، و هو يزيج الصابون بالماء يضعهم

مكانهم ، تتسلل ابتسامة صغيرة تداعب ثغرها

شهقة أخرى انتزعتها بين موجات بكاءها الصامت

تغمض أجفانها ، تتدفق مزيدا من العبرات تسيل على

وجنتاها ، تهبط بأمان على سطح ثلجي غادرته

الحياة ، سطح امتلى بخطوط شاحبة ، أزاحت ثيابها

عن ذراعها ، وشوم تمتد و تصل إلى رقبة صديقتها ،

حتى ظهرها لم يسلم من هذا الشئ موشم به يا

ترى ماذا حدث لها ؟ ما سبب ظهور هذه الوشوم على

جسدها؟

طرقتان خفيفتان على الباب جعلتها تمسح دمعاتها و
تستر ما كُشف من صديقتها ، تلف وشاحها جيدا
سامحة له بالدخول

عيناه تعلقت بها ممددة على فراش المرضى لا حول
لها و لا قوى ، عكس ما رأها تلك المرة كانت تضج
بثورة و طاقة ، تكاد لقطة شرسة تسن أسنانها لتقتله
حيا قبل أن يقترب منها و من صديقتها ، دنى منها
يقيس نبضها ، الذي استسلم البارحة و رفع الراية
البيضاء ليقبض عليه ملك الموت ، لولا رعاية ربها
بها ما كانوا استطاعوا انقاذها و أحياءه من جديد ،
لا ينكر أنها ليست الحالة الوحيدة التي تسقط بين يديه
فتموت أو تعود للحياة ، و لكن شعور الحزن و فرحته
بعودة قلبها للحياة كان مختلف ، متناقض عن أي حالة
عالجها..... انتزعه من تشتت أفكاره صوت فرح

مبحوح من كثرة البكاء : " طمني عليها يادكتور قولي

متخبيش عليا؟"

تفحص سيف الورق المعلق بمؤخرة سريرها قائلا :"

هي دلوقتي حالتها مستقرة النبض و الضغط طبيعي

جدا و شوية و هتفوق وممكن ترجع البيت معاكي

النهاردة "

- : " بجد يا دكتور يعني هي كويسة "

-: "ايو كويسة اطمني متقلقيش ،

و ياريت ترتاحي شوية عشان أنتِ كمان تعبتي امبارح

و اغم عليكي "

أومات برأسها فسألته تحملق بصديقتها : "أنا مش

فاهمة ايه اللي حصل لها ، أول مرة اشوف حاجة زي

كده ، من يوم ما دخلنا الواحة الملعونة و كل يوم

نتفاجئ بشئ خارق للطبيعي ... هو ده طبيعي

عندكوا؟"

هز رأسه يؤكد للمرة الثانية : " زي ما قولتلك اللي

حصل امبارح أول مرة يحصل في الواحة "

كادت تتحدث لكن أوقفها بيده يقطع احتمالاتها : " و لا

للأغراب كمان ، انا مش مصدق ايه اللي حصل ده ،

و لا عارف ايه اللي سبب ليها الهبوط الحاد ده ، أول

مرة اشوف حاجة زي كده في حياتي"

تشبثت بيدها التي غرز بها خرطوم ينفذ منه دواء

لها ، هي أيضا لا تصدق ما حدث لصديقتها ، و لا

تصدقه ، هناك شئ يخفيه عنهما ، كل ما تعرفه أن

صديقتها في خطر ، و خافقها يثبت ذلك

ولج حسين بوجه مقتضب يستفسر عن حالتها ،

فطمأنه ابنه

فتمتم : " إن شاء الله خير متقلقيش "

دنى من سيف يهمس له : " أنا عايزك النهاردة بليل ،
في حاجة مهمة لازم اقولك عليها متحتملش التأجيل ،

متتاخرش "

- "حاضر يا باب هحاول اجي بدري "

-: " لا متحولش ، لازم تيجي باذن الله تيجي بدري "

فأوماً بالموافقة و خرج هو و أبيه تاركين فرح

بجوارها ، أما هي تغرق بعالم اخر

.....

كل ما حولها ارتدى عباءة سوداء قاتمة مرعبة ، هل

هي أحلام متتالية تقتحم أحدهم و ينتهي ، لتلج عالم

أخر؟

باغتها ضوء أبيض ساطع مزعج لها ، فرفرفت

أهدابها حتى اعتادت عليها

ضيقت عيناها تقترب ، فقاعة ضوئية تنمو أمامها

تشكل جسد رجل يزداد شعاعها تألقا ، فتتشق عن

ملامحه عيانا و أنف و لحية طويلة تكاد تعانق

الأرض ، ملابسه بيضاء و شعره أبيض ،

ابتسمت بسخرية الآن ستحاسب و هذا يكون ملاك أو

شبح أحد متوفي آتى ليقبض روحها معه اهتزت

لحيته و خرج صوت هادئ دافئ : " أهلا بك يا

نور"

ضحكت هل المتوفي من القدماء أنه يحدثها بلغة

الفرعونية القديمة ...

كرر سلامه ، فاجابته بسؤال : "أين أنا ؟ هل أنا

احلم ؟ أم انني سأذهب لمكان الاخر حيث لموتى ..."

خرجت حروفها سلسلة بسيطة كأنها كانت تعيش في

هذا العصر

بانث شفتي الرجل ترسم ابتسامة لطيفة : "لم يحن

موعدك بعد ، بل أنتِ في حلم يا نور....."

قرصت وجنتها تتأكد لكنها تأوهت تمسد عليها تتسأل :

"لكن كيف ...و أنا "

استند على عصاه مستديرا بجسده يولي لها ظهره :

" نعم أنتِ تشعرين بكل شئ كالحقيقة... لأنني أريكِ

الحقيقة و لكن في الحلم "

زادتها أجابته حيرة فعاتت تستفسر : "من أنت؟... و

أين كنت أنا ؟ و أين أنا الآن ؟...و كيف جئت إلى هنا

؟.....كيف سأخرج من هنا ؟...هل أنا

سجن....."

أوقف سيل أسئلتها بيده و استدار لها ، يرد عليها
بصوته الهادئ : "على رسنك يا فتاة ... أعطني فرصة
لأجب على اسئلتك الكثيرة"

سار خطواتين و قال : " أين كنتِ ... أنتِ في الواحة
الملعونة الأرض المنسية التي جئت لاستكشافها يا نور
..... "

هي لم تأتي لاكتشافها أصلا ، ... قاطعته تعترض :
"لكنني"

ابتسم الرجل يكمل: " نعم أتيتِ إلى هنا لكشف عن
مقبرة ذلك الرجل الداهية "
رفعت حاجبيها متعجبة منه كيف علم أنها أتت للبحث
عن مقبرة و عن أي رجل يتحدث ،
تابع الرجل حديثه يقول :

"لا تتعجبي فأنا أعرف عنك كل شئ نعود إلي

اسئلتك أين أنتِ؟ أنتِ معي"

-: " أنا اعرف أنني معك و لكن ما أقصده هو أين نحن

؟

-: " لا يهم أين أنتِ ... المهم لماذا جئتُ إلى هنا ... "

رددت خلفه : " لماذا جئت أنتِ إلى هنا ؟ "

: " لأكشف لكي جزءًا من الحقيقة "

- " حقيقة ماذا ؟ "

- " حقيقة الواحة الملعونة "

تذكرت نور ما رآته قبل قليل فقالت : "من هو ذلك

الرجل الذي كان يرتدي عبائة و لماذا يتكلم بلغة

غريبة ... و من ذلك الرجل الأصلع الذي يرتدي جلد

النمر كالكاهنة المصريين ... أنا لا أفهم شيئاً؟"

ابتسم الرجل بهدوء يشرح لها : " نعم هو كاهن فعلا
... و ذلك القاتل الذي يتكلم بلغة غريبة هو رجل ليس
مصري مثلهم و لكن هذا رجل ساحر ... لقد هرب من
جزيرته إلى مصر ، أغراهم بسحره و اقنعهم بمذهبه
فأعطوا له الكثير من المال

لكي يحكموا مصر بسحره و يسيطروا
عليها أنظري إلى هذا"

فقالت نور : " انظر إلى ماذا ؟ "

ضرب بعصاه الأرض فظهرت فقاعة مائية صغيرة ،
ترتفع في الهواء ، تتمدد و تكبر تلونت الفقاعة و
ظهر من خلالها صورة أشخاص تركض فيها و
تتحرك كشاشة التلفاز

دخل عبر الفقاعة و مد يده لها قائلا : " هيا يا نور

ادخلي "

لم تتحرك من مكانها فكرر طلبه : " هيا يا ابنتي لا

تخافي "

وزعت النظرات بين يده الممدودة لها و فقاعة ، أوما

لها يحثها على الدخول ، و بعد ثواني امتلكها فيهم

التردد ، تشبثت بيده تصحب خوفها معها ، دخلت

معه فاختطفتهما الفقاعة

الفصل الثالث عشر

أصوات خافتة ، تتعالى تتصاعد متقاطعة ببعضها
البعض ، تختلط معا ، ممتزجة تصدر نشاذ عالي
منفر ، لتخلق ضجة مخيفة ترهب القلوب

غبار رمادي ثائر حاصرها من جميع الاتجاهات يعمي
رؤيتها ..

أين ذلك الرجل الابيض ؟ لا تعرف ، تركها هنا و

اختفى

هدأت تستمع لضوضاء ، تفندها تحاول أن تميز أي

شيء منها حتى عم صمت مطبق ، ثم تنأى إلى

مسامعها استغاثة و صراخ يرتفع عاليا ، تتبعته إلى

أن رأت أم تضم ابنها الذي لا يفتر عن البكاء ، مخالب

صقر تخطف ابنها منها

فجأة ينقشع الضباب فتراه يرتفع بالطفل وسط أخواته

يتشجارون مع بعضهم على ضحيتهم ليسقط الصغير ،

يصطدم بالأرض تتفجر من رأسه دماء ، يسبح

بها وهم يهبطون إليه يتصارعون في أكله

شهقت مفزوعة تبتعد عنهم كمن لدغها عقرب

تشيخ ببصرها بعيدا

لمحت ذئب اختلط جسده بين الرمادي و الأبيض

ينهض يتهادى بخطواته بتحفز و تشتعل عيناه

غضبا ، فيظهر آخر من جنسه بني اللون ، وجهه

امتلى بكدمات و خارت منه الدماء ، أخذا يتتأخران

بقوة و ذئاب أخرى تتقاتل قتالا داميا ،

تراجعت خطواتها للوراء تكتم أنفاسها و كأنهما

سيسمعونها

لكنها اطلقت شهقة عالية فور أن شاهدت قط أسود
ضخم كنمور السوداء يقفز عليها ، ركضت تهرب عن
مرماه ،

هبط على بيت صغير يدكه دكا ، يدنو من شئ ما ،
اقتربت من المشهد ، فتاة تحتضن شاب يرتعدان من
الخوف ، زار القط بقوة ، ليظهر من عشيرته آخر
برتقالي يخطف الشاب بأنيابه يجرده من لحمه فنتفجر
دماءه تلتخ فمه

شحب وجهها و ارتعدت أوصالها تصرخ منادية على
ذلك الشيخ ، تطلب منه ان يعيدها لكن لا حياة لمن
تنادي ...ما زالت تسمع مضغ اللحم بين أسنانهم و قطع

العظام و الصراخ و الاستغاثات سدت أذنيها لكن

الصوت يتسرب لمسامعها ...

تربيتة على كتفها جعلتها تفتح عينيها منتفضة مد يده

لها فتشبت بها ،

- " أرجوك اعدني لعالمي ... لا أريد معرفة شئ "

- " أنتِ لم تري شيئا بعد ...تعالى معي "

اخترق معها فقاعة أخرى بيضاء مشعة

أشباح سوداء استطالت تقترب من بعضها ، تصدر

نشاذ مزعج ، تتشابك أيديهم كأنهم يتشاجرون ...

تسللت خطواتها الهادئة ، تتركن إلى حائط يخفيها

عنهم ، أطلت برأسها لتجحظ عيناها أنه ذلك الكاهن و

معه اثنان يرتديان مثله ، أحدهم قصير ، و الآخر أطول

منهما ... يتحدثون بوقت واحد فتمتزج كلماتهم و تتوه
بينهم الأحرف ، تضيق عينها تحاول تفنيد الكلمات و
فهم ما يقولون ... لكن لا فائدة

بعد ثوان صمتوا و كأن على رؤوسهم الطير ...

سمعت صوت غيرهم يتحدث اللغة الفرعونية بركاكة و
حروف مبعثرة و كلمات ممطوطة قائلا: " أنت الذي
طلبت مني هذا ... و لقد حذرتك من هذا ... لقد فات
الأوان الآن على العودة فقد خرجت الامور عن
سيطرتي "

قال الكاهن : "أنت تستطيع إيقاف الأمر أفعل

شيئاً "

- : " لقد فعلت كل ما بوسعي لكي لا يخرج الأمر عن سيطرتي لكن كما تري ... أصيبت هذه الكائنات بالجنون و أصبحت شرسة تهجم على من أمامها ...لقد هاجمتني أنا شخصيا "

مسح الرجل الطويل وجهه بقلة حيلة يسأل بتيه : " ما العمل الآن ؟ ماذا سأفعل ؟... لقد أردت أن اسيطر على الجميع و أكون أنا و قومي أقوى جيش ، لكي تغزوا مصر و جميع الأراضي و اسيطر علي كل البلاد و يصير الولاء لنا و لأمون و لقومي"

نكس الرجل القصير رأسه يقول بندم : " و أنا كذلك أردت السيطرة و الحكم ، لم أعرف أن الامور ستخرج عن سيطرتنا ، و تدمر كل شئ ، افعل شئ أيها الساحر أرجوك "

ظهر ذلك القاتل -الساحر - بوضوح يركن ساق على
أخرى يقول بلا مبالاة : " أنا ليس بيدي شئ ،
لقد نفذت طلباتكم و جعلتكم من أقوى جيوش الأرض ،
الآن خرج الأمر عن سيطرتي .. و الكائنات عاثت في
الأرض فسادا ماذا ستفعلون.... "

ردد الثلاثة بتيه : " لا نعرف "

قال الكاهن : " لقد تدمرت بلدي كلها تقريبا و هذه
الكائنات أكلت الكثير من الناس و حطمت بعض المعابد
...ماذا سنفعل أيها الساحر دبرنا أرجوك ؟ "

- : " بل ستفعلون أنتم أنا ليس لي علاقة بكم.... "

انبثق شخص آخر من العدم يرتدي جلباب مزركش ،
وجهه ابيض وضاء شعره خلط بين الاسود و
الأبيض ، يبدو شاب في الثلاثينات قال بلغة يضغط فيها

على كل حرف ، فتخرج منه كلمات ثقيلة لكن مفهومة

: " بل في يدك تفعل شئ يا سرجون ، قول لهم أنك

سيطرت على هذه الكائنات و حولتها لوحوش تأكل من

تقابله أخبرهم يا سرجون ... أخبرهم بطموحاتك "

اقترب الشاب من مجال رؤيتها ، يبدو أطول منها

قليلا ملامحه مؤلوفة لها ونبرة صوته سمعتها من قبل

، لكن أين لا تعرف

قال الساحر "سرجون" : " شابي ...متى أتيت إلى

هنا ؟ "

- : لا يهم متى جئت إلى هنا ...بل المهم أنني أتيت

لكي أمنع هذا الخراب الذي ملأ البلاد على يدك "

-: "هم من طلبوا مني فعل ذلك ، حثوني على تحويل

قومهم لكائنات ضخمة ليصبح لديهم أقوي جيش في

التاريخ .. و حذرتهم من خروج الامر عن السيطرة ..

و لم يأبهوا لكلامي ..ففعلت ما طُلب مني "

وقف الشاب أمام الرجال : " نعم أنتم أردتم السيطرة
على البلاد و العالم ...و ساعدتوه على استخدام السحر
المحرم لكن سرجون هو الذي سيطر عليهم و جعلهم
يأكلون أي شئ يرونه حتي....."

صاح - القاتل - : " اسكت يا شابي "

- : " لا لن أسكت عن هذا ..هذا الرجل يريد أن
يسيطر على بلادكم بسحره المحرم و يجب أن تمنعوه
عن هذا "

نهض الكاهن يقبض على تلايبه : " أه يا
حقير.....تريد أن تدمر البلاد و تسيطر عليها بسحرك
اللّعين يا ملعون ، أوقف كل هذا الآن أرجع هذه
الكائنات الي هيئتها الطبيعية"

أمسك الساحر يده ليخلص نفسه منه يخبره ببرود
يتقنه : " أنت الذي طمعت في السيطرة و أمرتني بفعل
ذلك ، لم أجبركم على شئ ، كله تم بأرادتكم ... "

ابتعد الساحر عن الكاهن فتذمر القصير : " لكن لم نقل
لك أن تجعلهم وحوش يدمرون كل شئ ... لم نأمرك
بتدمير بلادنا و حضارتنا ... لم نقول لك اقتل كل هؤلاء
"

اولى لهم ظهره يضحك بسخرية : " أنتم أنتم من
أمر الكائنات بتدمير تلك المدينة التي خرجت عن
أوامركم و رفضت إطاعة أمركم و تركت
ديانتكم من الذي دمر معابدهم و قتل
أهلها ... من ..؟ قلوا لي ... "

انعقدت أسنتهم عاجزين عن الكلام ، هو يقول الحقيقة
لقد استحوذ عليهم حب السلطة و المال ، فعبثوا

بأرضهم ، و دمروا و احرقوا و هدموا ، هم السبب
في هذا ، هم من اعانوا الساحر على ذلك ، و لكن هو
من أغراهم بسحره أولا ، فساروا وراءه خائعين
خاضعين لأمره ، لقد طالهم العار ، و خانوا بلدهم و
قومهم .. ما ذنب الذين ماتوا ؟ و ما ذنب تلك

الكائنات.....؟

نصحه الشاب : " سرجون عد معي و أصلح ما
افسدت ، ارجع معي يا أخي استمع إلي قبل"
بتر حديثه يزجره : " لن أعود لكم ... أسمعت ؟ ... و
سأفعل ما أريد ، ليس لك علاقة بي ، فعد من حيث
أتيت و اتركني هنا "

انتزعهم من شجارهم صوت ارتطام الباب الذي فتح
على مصرعيه

ليتجلى أمامهم رجال أقوياء الجسد ، مرفوعي
الهامة ، وجههم صارمة يقبضون عليهم جميعا ، عدا
شابي الذي توارى عن ، أنظارهم محتميا بستار يبعد
أعينهم سواها وحدها من تراه جيدا

دخلت أقدام تطرق الأرض بحزم ، تعالى بصرها لتلتقط
صورة شاب يلف حول خصره قماش من حرير ،
يعلوا رأسه تاج فرعوني قديم يسير إليهم بكبرياء يليق
به ، و بصوت قوي وقف أمام الكاهن و الرجلين يقول
: " أنتم كهنة أمون ؟ أنتم رجال الدين تفتلون هذا؟ ..
أحضرتم الساحر الملعون لكي تسيطرُوا و تحكموا
بلادي ؟ أنتم من دمرتم تلك المدينة الأثرية؟ ..."

ركعوا أمامه ، تتدلى رؤوسهم يهمسون بندم : "نحن
يا مولاي"

قاطعهم الملك يأمر جنوده : " أقبضوا عليهم جميعا "

قبض الحرس على الكاهنة ، و هم يتلوون بين أيديهم

تسكن أعينهم دموع الندم و الحسرة : "أستمع إلينا

أيها الملك ...أستمع"

- : "لن اسمعكم ..."

و أقترب منهم يتمم لهم بهسيس سام أقشعر له

أبدانهم : " لن أرحمكم و سأجعلكم عبرة لمن تسول

له نفسه أن يخرج عن أمري و يسيطر و يدمر أرضي

و أرض أجدادي.... خذوهم إلى السجن "

جذبوهم الحرس إلي الخارج .. و اقترب رجال آخرين

ليأخذوا الساحر و لكنه همس بكلمات غريبة ، فطمس

بغمضة عين

و هنا قد اكتفى الرجل الذي نقل نور إلى هذا المكان ،

تمسك بيدها يعيدها إلى الغرفة المظلمة مرة

أخرى ...

.....

تحدث الرجل الأبيض :- "هل فهمتِ الآن ما حصل يا نور..."

فأجابته نور : "يعني هؤلاء الكهنة أحضروا الساحر ، فتسبب بلعنة الذئاب لكن ما سبب ظهور الصقور و القطط ، و لماذا تلك الحيوانات ؟ "

فقال : " بل لعنة الصقور و القطط و الذئاب تلك الحيوانات التي استطاع سرجون استخدامها في السحر... لذلك أحضروه و أمروه باستخدام السحر المحرم لتكوين جيش قوي و يستولون على مصر ، و ليس هذا فقط... دمر مدينة كاملة بمعابدها و أهلها و لم يبق منها إلا أطلال "

تتهدت بتعب من كل ما شاهدته و قالت بعد دقائق : " لكن من أنت أيها الرجل؟ و لماذا أنا بالذات

التي تخبرها بكل هذا ؟..و أنا لست من أهل هذا المكان

... أنا غريبة عن هنا"

اقترب يتمم : " أنتِ الغريبة القريبةأما أنا فأنا

قريب منكِ يا نور .. أنا سأحميكِ....."

تضائل جسد الشيخ حتى صار ذرة ضوء تطير في

الهواء تدنو منها ، توقفت عند قلبها و رفرت فوقه

تسكن بداخله بأمان توهجت بلون أرجواني مؤلم لها

... كشفت نور عنه ، تسارعت نبضات قلبها ، أنه

يتوهج بنور قوي أعمى بصرها ، و صوته يتردد في

أذنيها : " أنتِ الغريبة القريبة أنا قريب منكِأنا

سأحميكِأنتِ الغريبة القريبة"

خفت الضوء حتي تلاشى و لكن طبع جوهرة كالوشم

باللون ذاته مكان قلبها و بعدها سحبها ظلام ثانية

كلمات كثيرة القتها أفواههم تزاومت أمامها بسرعة
البرق ، تتناثر هنا وهناك ، ففتحت أذنيها على
وسعهما تحاول اللحاق بها و اصطياها ، تجمعها في
جعبتها و تخطها من فورها على الورق بخط سئ ،
تتهدت بعد أن التقطتهم جميعا ، بهزة خفيفة من رأسها
استأذنت ، تعطي ما كتبه في يد لزميلها ، دنت
صديقتها منها تهمس بعبارة توقعت حدوثها ، و انتهت
تقول : " هروح انا بدالك "

منعتها بيد ، بعينان لمعا بعزم ردت : " لا انا اللي
هروح يا ريم ...ده كان لازم يحصل يادلوقتي يا بعدين
"

همت ريم باستوقفها لكنها اتجهت إليهن ، تأملتهن
ملتفات حول المائدة يتمتمن في أذان بعضهن ، تكاد كل
واحدة تأكل أذن الأخرى ، توحدت أنظارهن نحوها

لكنهم اختلفوا في معانيها ، منها الحائرة و منها

مستحقرة ، و منها اللامبالية

تتحنحت تستجمع شتات تماسكها ، تنفض عنها خجلها

، تخلع قناع الحرج باستحياء، و تضع آخر اكثر

شجاعة و قوة

واجهتهن بصوت أضفت عليه عمليه : " تامروني بأيه

حضرتكم ... "

تحدثت واحدة : " أنتِ بتعملي ايه هنا يا نورين ؟ "

لم يهتز بصرها أكملت بذات الالية : " بشتغل

حضرتك ... هاه تطلبي ايه يا فندم "

" حضرتك و يا فندم نورين ، أنا سمية بتقوليلي كده

ليه ؟ "

أشار لها أحد الزبائن فعاجلتهم تقول : " لو سمحتوا
بسرعة عشان ورايا شغل ... تطلبوا ايه حضرتكم ؟ "
املين عليها كل طلباتهن بحيرة اكبر ...

فذهبت تكمل عملها ... تحت أنظارهن يرونها تنتقل
بين الزبائن كفراشة تلتقط منهم المعلومات تخطها على
الورق، تطير بينهم بخفة أناقة و ثقة رغم حداثة
عملها ، تذهب لتعود حاملة أطباقها بحرص ، توزعه
على طاولاتهم دون أن يقع منها شئ
سألن أحد الندلاء عن موعد خروجها ، فأخبرهن أنها
ستسلم و رديتها بعد ساعة ...

انتظروها كثيرا حتى أنهت عملها ، ترقبها تخرج بزي
آخر غير زي المطعم ، تتكلم مع إحدى الفتيات التي
تعمل معها ... تتوجه لباب المطعم ، فدفعن الحساب و
لحقوا بها ينادينها

" نورين استني "

تأففت تحاول أن تفرد جزعها بقوة رغم وهنه من
التفاف حول طاولات ، ترفع هامتها ترمقهم بتماسك
استجمعته ...

- " نورة إيه اللي بتعمله هنا ؟ و ليه بتشتغلي

الشغلانة دي ؟ ... ردي عليا ! "

استشعرت نورين من صوت سمية الشفقة و الاهتمام ،
لكنها لا تريد إثارة شفقتهم ، فأجابتها بقوة : " مالوا
شغلي ، شغل شريف و بكسب بالحلال ... و أنتوا أصلا
وصلكوا الخبر إزاي "

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفقتها ، تتسرب بين
ثنايا كلماتها و تستأنف حديثها : " طبعا إزاي انسى
رويتر الجامعة .. "

اتبعت آخر جملتها بالتفتة لرائيا التي تتوارى خلفهن
تهمس كأفعى في أذن تلك المتأففة ، توقفت "رويتير"
عن ما تفعله تتابع كلماتها الساخرة التي تشير إليها
تغافلت ناردين عن ما قالت نورة تسألها : " طب و ليه
مقولتلناش يمكن.....؟ "

اشتمت نورين رائحة ازدراء و إهانة تفوح خلف
كلامها تعرفها جيدا دائما تشعر بأنها فوق الجميع
خلقت من طين ذهبي انقى من الجميع ، ادارت رأسها
بعنف تغلق عينيها تحاول التماسك و إجم غضبها ،
ثم التفتت إليها ثانية تقطع كلمتها الجارحة التي كادت
تطلقها : " تساعدوني مثلا و ليه أقولكوا ؟ هو

أحنا أصحاب يا ناردين نعرف بعض مثلا ...؟ "
تبادلن نظرات التعجب ، فأجابت سمية عليها بحنان
يتسرب بين كلماتها : " طبعا أصحاب يا نورة ... ده

إحنا بقالنا سنتين مع بعض ، لازم نسأل و نساعدك
كمان "

اكتست عبارتها برودة استقتها من شجرة صداقتهم
الثجية : " من أمتى بتسألوا عليا ؟ ... من أمتى
تتصلوا بيا أصلا ؟...سألوا عني بيبقى وراه نشاط أو
مشروع أو حاجة خاصة بالجامعة غير كده تنقطع
الاتصالات ... حتى رسايل بتبخلوا تسألوا بيها ..."
عضت سمية على شفتها السفلى كأنها تشعر بالذنب ،
تجيب بحجة واهية : " الوقت ..."

استنشقت نورين الهواء تحبس دموعا بين أسوار
أهدابها تواري ضعفها أمامهن تقطع عبارة الفتاة : "
الوقت .. المشاغل صح ..؟..حجة كويسة.. لو أي حد
مهم عند الشخص و وراه حاجات كثير .. هيخلق له
الوقت عشان يسأل "

عبأت رنتيها بالهواء تستأنف ، تلقي ببصرها لتلك
التي تلوك علكتها بملل : " أنتوا عمركوا فكرتوا في
يوم تقولوا مالك يا نورين ؟ عاملة إيه ؟ هو انا اهمكوا
أصلا ؟... طب فكرتوا أنا ليه اشتغلت ؟ طب عاملة إيه
في حياتي ؟ طب بعدت عنكوا ليه حتى ؟ "

وزعت نظراتها عليهن تكمل :

" أنا مقبلش أكون هامش في حياة أي حد ، و لا بديل
لأي حد .. أنا مش كومبرس في حياتكوا تسألوا عليه
عشان حاجة معينة و تتسوه وقت ما تحبوه ...

و مبقاش يهمني أعرف حاجة عنكوا ، من النهاردة
صداقتنا انتهت بلا رجعة ... يلا يا ريم

تمسكت بيد ريم تسير بثبات و راحة ملئت قلبها ،
تشعر بأنها ازاحت هم ثقيل ، و قطعت صفحة
صداقتهن من دفتر حياتها لن تتطلع خلفها من

جديد ستكتفي بما لديها ، تحمد الله على ذلك ألف مرة

و تدعي بأن يديم نعمه عليها و أهمها والدها

العزير

من خلف الزجاج رآها ، قوية هي عكس ما تخيلها

على الورق ،

تسرب إلى خافقه شعور غريب مبهم عليه لكنه لذيذ ،

كأنه يطير في الهواء

دفعات قوية من الهواء سرقتها تقحمها بجوفها ،

تدفعها إلى رئتيها فتنتفخ كبلون ، كأنها عادت من

الموت ، تنتفض جالسة على فراشها ، ترخي

وشاحها تشعر بحاجتها للأكسجين ، استغرقت دقائق

حتى انتظم تنفسها ، تدور مقلتيها بالمكان تحمق في

وجهم المترقبة ، تدعه يقيس نبضها يفحصها

جيدا ... لابد أنها بالمشفى ، وهل كل ما عشته

حلم؟

سمعتها تصيح بفرح : " نور أنتِ كويسة ؟ ... ردي

عليا طمني يا دكتور "

تتهد يبتسم ليبعث في قلبها الطمئينة : " الحمد لله ..

هي زي الفل و تقدر تروح البيت عادي .. و أنا

هكتبلها على خروج "

غادر يكمل عمله ، أما فرح ازاحت أكمام صديقتها

تكشف عن الوشوم التي تكاد أن تختفي ، ارتاح قلبها

قليلا أما الأخرى تشخص عينيها بعيدا لا تشعر بأي

شئ حولها ، تترك عقلها يدور بمتاهاته المظلمة ،

يبحث عن قيس إجابة ينير بها عتمة أسئلته و يرشده

للصواب

.....

سجنت تساؤلاته بحلقه لم يستطع الإفصاح و الإفراج
عنها ، هيئتها الضعيفة الواهنة منعتة عن قول كلمة
واحدة ، فقط اوصلهما إلى المنزل

هل هذه هي نور القوية التي عرفها ؟ ليست هي ، إنها
تحولت لجسد بلا روح ، دمىة يحركها الأشخاص ،
لسانها معقود ، عيناها انطفئ وهجها ، روحها ارتحلت
بعالم خيالي ، ليست معهم ، فقط تريح ثقلها على فرح
التي خلعت جبيرتها منذ يومان و صارت تسير بأريحية

....

ارتكن إلى ذراعه يمدد ساقه على الفراش ، يذهب إلى

تلك الذكرى

.....

" بابا هو أنت قوت لهم ، مين اللي اتحولت ؟.. قوت

لهم مكان نور فين....؟ "

خرجت كلماته قلقة عليها ، لا يعرف لماذا ؟ و لكن هذه

الضربات القلقة التي تضرب خافقه تحته على

حمايتها....

- : " لا ...بس هقولهم عشان نعرف نتصرف ..

الحكاية دي أول مرة اشوفها ، و احنا ياما مسكنا

الكتاب بس محصلناش كده "

زفر بارتياح يطلب منه : " طيب يا بابا متقولش

حاجة و أصبر نفهم منها ايه اللي حصل ..؟.. "

صاح والده به : " عايزني اسكت ، لحد ما يرجع

الخراب تاني و تحصل مصيبة .. احنا لازم نتصرف "

وقف أمامه يرفع ذراعيه يحاول أن يحتوي غضب أبيه

، يجر دفة حديثه إلى منطق : " يا بابا أنت عارف

نور كويس .. بنت كويسة و طيبة .. و انا مش ضامن

لو عرفت الرجال دي هيعملوا فيها ايه ؟.. "

" البنت غريبة عن هنا و أنا متأكد ان ليها علاقة بلي

حصل يوم القمر الاحمر "

ضيق عينيه : " أنت اللي بتقول كده

.. ده أنت أول واحد دخلتها البيت ووثقت فيها ، و

خلتتا نتعامل معاهم ، و كنت بتقول إنها بنت كويسة "

شهق بعمق يحاول أن يشرح له تلك الحيرة التي

أصابته مؤخرا : " أيوا أنا .. بس لما حلمت بيها كانت

جايبة خير معاها استبشرت لكن لما شوفت اللي

حصل ، قولت يبقى مجرد حلم "

ربت على كتفه يقته : "يا ابني اسمعني و افهم ، احنا
لازم نتصرف و نقول ، و إلا هنخسر كل حاجة و البلد
دي هتدمر و يرجع الخراب "

- "يا بابا قولهم إنك هدور عليها و في الوقت ده

هحاول افهم منها إيه اللي حصل ... ثق فيا"

تأفف حسين بضيق يشهر إصبعه محذرا : "موافق

بس لو حصل حاجة تانية ، هقولهم كل حاجة و مليش

علاقة بللي هيجصل "

.....

أغمض أجفانه يسلم أمره لله يدعوه بأن تسير الأمور

بسلام

ألقت بجسدها على الفراش ، تتجاهل الأم جسدها

" عايزة حاجة يا نور "

لم تلتفت لها ، بل لم تسمعها ، فغادرت فرح دون

إضافة كلمة واحدة ... غلقت الباب خلفها

هل كل ما حدث حلم ، بالطبع حلم ، و لم تملؤها

الوشوم و لا يوجد ساحر و كهنة ، إنها كوابيس

اقتحمت منامها ...

ترجرج همس خافت بعيد : " أنتِ الغريبة القريبة....

"

تكورت بالفراش تزوغ عيناها بالغرفة تبحث عن

مصدر الصوت

علت وتيرته تتردد بالغرفة فتشقق متلفتة بخوف يزيد

نبضاتها

: " نور لا تنس أنا قريب منك أنا

سأحميك "

كتمت مسامعها تهز جسدها تهمهم بكلمة واحدة : "

كفاية كفاية "

شهقت تنتزع تنفس تاه عن رئتيها ، تشعر بغصة تكتم

قلبها ، تشبثت به ، فازداد الصوت : "أنت الغريبة

القريبة أنا قريب منك أنا سأحميك أنت

الغريبة القريبة"

تنبعت لضوء الأرجواني بقلبها ، يؤلم كخنجر يشق

صدرها ، قبضت عليه تتصاعد نبرتها : " كفاية ...

أبعد عني "

شاع الصمت بالأجواء ، و خفت الوجع قليلا ، لكن

وهج خافقها لم يهدأ بل اشتد ، كشفت عنه لترى وشم

أرجواني يشبه جوهرة رُسمت بإتقان تتلأأ ، يصعد
منها خطوط تلمع بخفوت

كشفت عن ذراعها الأيمن ، هذه الخيوط تنتشر به و
ذراعها الآخر ... ما الذي يحدث لها من أين ظهرت
تلك ؟ و من وشمها بها .. أكل هذا بسبب الكتاب
الملعون؟

هل أصبحت ملعونة مثلهم ؟

عند هذه الفكرة صرخت ، فرعت فرح إليها تسألها
ماذا بها ؟ و ما من مجيب ، احتضنتها تربت على
رأسها ترتل المعوذتين حتى أغمضت مقلتيها تنام
بأحضانها بسلام ، كطفلة صغيرة لا حول لها و لا قوة

الفصل الرابع عشر

كطفلة صغيرة تركت يدها تسلم عليهم تكتشف ملمسهم ،
انتقلت أصابعها بينهم تمس بشرتهم التي تباينت بين
ناعم و خشن ، سميك و رقيقجميعا تراصوا
بجانب بعضهم ، اختلفت موضعاتهم ، و تشابهت ،

لكنهم تشاركوا البقاء على أرفف تعالت فوق بعضها
لتمتد إلى السقف ... أنتقت كتاب منهم تتحسس كتابته
البارزة أوراقه صفراء هشة تقلبها بحذر تخشى تمزقها
بين كفيها ، قربته من أنفها تشتم رائحة اشتاقت
إليها ، نسيم كتاب قديم يعود لعصور فرعونية غابرة
رموزه تحكي الكثير عن الفلك ، هذا الكتاب كان بمكتبة
الاسكندرية قبل حرقها و لكنه اندثر في الحريق لم يعد
له وجود كيف وصل إلى هنا

تركته مكانه تودعه أناملها ، لترحب بأخر تتلمس
نعومة صفحاته البيضاء تستنشق رائحته الجديدة ،
اتسعت عيناها ، أنه حديث العهد ، كان في معرض
الكتاب هذا العام كيف أتى إلى هنا ؟ .. أفصحت عن
سؤالها : " إزاي جبته الكتب الجديدة دي ؟ "

ابتسم يوضح لها :

"عادي أنتِ ليه مستغربة؟...متستغريش يا أنسة
فرح .. عادي اللي بيقدر يخرج برا الواحة بيوفر كتب
اللي بتنزّل في المعرض بس طبعا الهادفة منها و
المفيدة عشان كده هتلاقي رواية إيكادولي وغيرها
كتييير هنا "

توقف يوزع نظراته بالأرجاء يستحضر روح مرشد
سياحي : " دي مكتبة الواحة أكبر مكتبة هنا فيها كتب
نادرة و قديمة جدا قدرنا نجبها و نحفظ بيها ، و
كمان بنعمل نسخ ليها هنا بنوفر الكتب ببلاش بس
الواحد يحافظ عليها و يرجعوا في يوم محدد ..."

استمعت إليه بأذنها ، و خطواتها تركض بين المكتبات
تقلب بينهم تنهل منهم ترضي حب الاستكشاف لديها ،
و هو لم يبخل عليها بمعلوماته فهو مرشد سياحي
كريم يجود بعلمه لها ، أما الأخرى ترقبها و تبتسم ،

لكن تعود للعبوس و عقلها يلف بطواحين الأفكار بين
أسئلة ليس لها إجابة

تحاوطها هالة من هدوء و غموض و شحنات تجذب
بصره نحوها ... يود أن يفك شفرات غموضها ،
يتوغل بداخلها ليعرف ما يدور بها ، تعجب من ردها
البارحة فهو اقترح عليهما الذهاب إلى هنا ، فسعدت
فرح بذلك أما الأخيرة ، رسمت ابتسامة قصيرة
طمستها في ثوان لتعود لغرفتها دون كلمة واحدة ، و
لو برفض لتعبها

- " مالك يا صاحبي شايل طاجن ستك ليه ؟ "

أجفل من الصوت ، أنه مؤلوف له ، استدار تجحظ

عيناه بعدم تصديق قائلاً : "هيثم الخلفاوي ..."

ابتسم الشاب : "سيف حسين بالحضن يا راجل "

فتح الشاب ذراعيه و ضمه ، ابتعد سيف عنه قليلا :
"كل السنين دي و مشوفكش (لم أرك) ، عامل إيه و
خلصت دراسة و لا لا ؟ "

- : " سنين إيه دول سنتين بس يا سيف ، أنا الحمد

لله و خلصت دراسة كمان "

- : " خلاص يعني مفيش سفر تاني "

- : " أيوا هقعدي بقي اشتغل و كفاية غربة لحد كدة "

- " أنت جيت من إمتى ؟ "

- " جيت من أسبوع ، حتى روحت زرتكوا مع جدي و

أنت مكنتش هناك "

- " معلىش بقي أنت عارف الشغل بتاعنا عامل إزاي "

شاب يقف مستند بظهره لإحدى المكتبات ، شفتاه

تتأرجح بين الضحك و الابتسام ، مع ذلك عيناه الحادة

أعطت له حزم يحجم من وسامته ... يداعب شعره
البنّي بأصابعه ، يعيد يداه للثبوت فلا تتحرك مع كلماته

...

اقتربت الفتاتان بحيرة

انتبه لهما سيف فدعاهما يقول : " أعرفك يا سيدي

دي الأنسة نور ... "

أشار الشاب برأسه مرحبا بها : " أهلا يا أنسة نور..

"

هزت رأسها بالمثل دون أن تكلف نفسها بألقاء حرف

واحد ترحب به ...

أكمل التعارف : " و دي بقى الأنسة فرح .. "

عقدت فرح حاجبيها تتعلق مقلتيها برأس الشاب ،
شعر يخالطه الأبيض و البني تعجبت من هذا ، لكنها
تحنحت تزيحه عن خاطرها ، تنتبه لما يلقيه سيف :
"ده بقي صاحبي هيثم الخلفاوي مدرس رياضيات
مستقبلا و ابن الشيخ عبد العزيز كبير قبيلة الخلفاوية

"

هز الشاب رأسه مرحبا بفرح : " اتشرفت

بمعرفتكم .. "

هزت فرح رأسها بثغر باسم ، ترد عليه بكلمات

مجاملة

دقائق معدودة و غادرتهما الفتاتان يستكملا

جولتهما في المكتبة

سارا الصديقان معا ، يجلسا على إحدى الطاولات ،

ينزويا بعيدا عنهما

سأله هيثم : "مين دول يا سيف..؟"

تمتم له : "دول أغراب يا هيثم"

تعلق بصره بها يحيطها هدوء عجيب : "ودي مالها

البت دي سرحانة و مبتكلمش...هي خرسة"

التفت صديقه لها ، ما أصابها في الفترة الأخيرة كثير

أضفى عليها صمت حزين يريد أن يكسره ، و يخرجها

منه ، أنطلق لسانه يعبر عما بداخله : "لا بتتكرم ،

بس حصلها حادثة...من يومين كده فبقيت سرحانة

على طول كلامها بسيط ، و مش معانا كأنها في عالم

آخر"

زاد فضوله فدنى برأسه منه يستفسر : " حصلها إيه ؟

"

أجم لسانه يلومه ، يجمع كلمات مبعثرة من عقله
يصلح ذلته ، تلعثت أحرفه ، يحاول أن يكون جملة
مفيدة : " هاه..... لا .. عادي يعني...ح....حادثة عادية

"

عقد الاخيربين حاجبيه و قلبه يزداد الشك به حول
الفتاة : " عادية ... سيف أنت عارف إن الكتاب
اتسرق من جدي عبد العزيز و السبب الأعراب خد
حذرك منهم ... يا سيف ... و متنساش البنت العجيبة
اللي طارت في هوا و هي ماسكة الكتاب الثالث في
بيتكوا؟ إياك تكون هي دي ..."

صمت يحاول أن يصيغ عبارة يلهيه عن استنتاجه
فاضطربت العبارات أكثر : "لا... لا طبعاً ... متقلقش
مش هي ... لو كانت هي كنا قولناكوا على طول .."
مع آخر حديثه أضاف ابتسامة مرتعشة ، زادت من
شعور الشك لدى صديقه فألقى تساؤل آخر : "طب
لقيته البنت دي؟ "

نبتت حبات عرق على جبينه ... يبتلع ريقه يرطب به
جوفه الجاف ينفي سريعاً : "لا ... لا لسه ..بس..بس
هنلاقيها ..."

- "الشيخ عبد العزيز و الشيخ مبروك عندكوا النهاردة
فى البيت بيحاولوا يحطوا خطة عشان يلاقوا البنت دي
... هما شاكين فيها إنها السبب فى القمر الأحمر ... و
إنها السبب فى خروج بعض من قبيلتنا عن
السيطرة ... و فى ناس منهم بيساعدوا الحرامي اللي

سرقنا .. فلو عرفت حاجة يا سيف قول متخبيش ..

مصير الواحة في خطر يا صاحبي ..."

لذلك خرج معهما من البيت هربا من شيوخ القبيلة ،
عصر رأسه يحاول أن يجد أي شئ يرد به على صديقه
، فهو يضغط عليه كثيرا ، يضعه بزواية ، يحاصره بها
من جميع الاتجاهات ، إنه يوشك على الإفصاح و
الإعتراف عليها و لو ترك لسانه ، فالفتاتان سيندثران
تحت التراب بلا رجعه و هما لا حول لهما و لا قوة ...
قلبه يخبره بذلك يخفق بيقين يصدق عيناها
التائهتان .. و لسانها الصامت ... يشهد على براءة
خافقا أعاد دقاته المفقودة بفضل خالقها .. لن يشي بها
إلا عندما يعرف الحقيقة كاملة

ألتقطت مسامع فرح حديثهما ، فدب الخوف بقلبها
فزعا اين يذهبا الآن ، يجب عليهما الخروج من منزل
حسين

صداع شق رأسها فجأة ، و نبضات قد علت وتيرتها ،
أما بصرها سحبه الظلام ، رغم وقوف قدمها و
تشبثها بالأرض...ومضات بيضاء سريعة تلاحقت
أمامها ، أصوات تباعدت و خففت تدريجيا ، ليراعى
أمامها صورة مشوشة تضح شيئا فشيئا ، رجل يرفع
كتاب امامه دون ان يمسه ، يصعد صدى كلماته
الخافتة ، لم تفهم شئ منه ... خبى صوت الرجل ...
لترتفع نبرة فرح تناديا ... لكنه انحسر ، لتطفو
تراويل بلغة فرعونية غير مفهومة .. و تتوهج ومضة
تحمل مشهد لذلك الرجل يقرب كتاب آخر من أخيه

فيحدثان بريق مشع أبيض يضمهما غلاف واحد و
كأنهما واحد لا اثنان ... فيصيح ناس كثيره تلتف حوله

ردد لسانها بخفوت : "كتابالكت....."

اختبئ الضوء من عينيها ، يظهر وجه فرح قلق :

"نور ردي عليا أنتِ كويسه"

ينتفض صدرها يعلو و يهبط يسرق هواءلكنه يهدأ

و يسحبها الظلام لعالمه

سحابة بيضاء هشة قبلتها شفتاها لتلج و تذوب في

ثوان ، تصدر نغمة مستمتعة لحلاوتها قضة

أخرى تجعلها بين السحب ، و أخرى و ثانية ، إلى ان

تنتهي بين يديها ، تمط شفتيها تزمها بانزعاج تريد

غزل بنات آخر ...

" بس أنتِ ادتيهم كلمتين قصف جبهة ، بقيتِ جريئة و

محدث قدك يا نورة "

رفعت ذراعها تتباهى بعضلات وهمية : " ايوا يا

بنتي ... أمال أنتِ فاكرة إيه ؟.... "

- " بس قوليلي "

ألتفتت لها ، تجلس على مقعد ، تنتظر الحافلة تقلهما

إلى المنزل : " ايوا... "

- " الشاب اللي اسمه حامد اللي شغال معانا في

المطعم ... "

- " ماله ؟..... "

- " شيفاه اليومين دول بيساعدك .. بيرقبك في ريحة و

الجاية ... بيتكلم معاكي كده بلطف ... قوليلي هي

الصنارة غمزت ... "

أحمرت وجنتاها تنفي كلامها : " لا طبعاً يا ريم ، هو
أي واحد يساعدي أو بيكلمني بلطف يبقى معجب ...
أنا مش زي نور ابني أحلامي على وهم و استنتاجات
"

- "أيوا كده يا نورة خليكي جامدة ، حتى لو هو قالك
انه معجب بيكي أوعي تسلمي لحبال الحب الديبة ،
اللي يحبك يطلبك من أبوكي ... و يتجوزك ، يعاملك
زي الملكة .. و يخاف عليكي ، مش يصاحبك أيام و
يسيبك .. أوعي يا نورة ،"

استمرت ريم تحذرها من هذا ، تخبرها بأنه لا يجوز
أن تتخذ من شاب صديق لها و تبني معه ذكريات ،
تتجاوز بها بعض الحدود ، فينكت قلبها بنُكْة سوداء
حزينة تلوث نقائه لا تستطع التبرأ منها ، و إذا حدث
الفراق احتالت الذكريات إلى نار تحرق حياتها ، تسقط

و تنهار فترة إلى أن تخمد ، و إذا رزقها الله بأخر
سيقارن عقلها بينهما ، يفرز كل صفاتها ليظلم الأخير
معه و ينغز حياتها ... نصحتها بالحفاظ على مشاعرها
حتى يأتي رزقها

أومات تستقي من معلوماتها فهي تتفقه في الدين أكثر
منها ، ريم أبنة عمها ، فتاة صالحة كانت صديقتها في
الصغر ، لكن باعدتهما الأيام ، عادت إليها تسكب لها
من أحزانها تحكي لها عن شعورها بالفقد منذ فراق
أمها و أختها ... تبكي بين أحضانها لمرض أبيها
ابتسمت و شجرة صداقة تخضر أوراقها ، تزه من
جديد في خافقها...

دقائق ووصلت الحافلة تحملهم لمنزل نورين حيث
ستبيت ريم الليلة معها ، و ترى عمها المريض

.....

استرد تركيزه يغادر تلك الذكرى فقد

تتبع أثرهما البارحة يسمع حديثهما ،

افلتت نبضة شاردة من بين أضلعه تزيد من اعجابه

لنورين ... هل ما يشعر به صحيح ؟.. إنها فتاة قوية

تتحمل المسؤولية عن والدها المريض ، شجاعة

واجهت أصحابها وقطعت حبال زائفة بينهم ... صامدة

لا تُستثار مشاعرهما بسهولة ، لا تبني أحلامها على

أظلال بسمه او اهتمام وهمي جاد به أي رجل

عليها ... فتاة بريئة لم تواجه الحياة استطاعت أن

تتحور لفتاة جريئة باسلة ... لقد فكر جديا بالتخلي عن

عمله في المطعم ، و البحث عن آخر و سأل في أكثر

من محل لكنه لم يجد ، رغم هذا امتنع عن بحثه و

حلف ألا يهجره منذ أن وطئت بطلتها المرتبكة التي

بعثرت مشاعره ، و اربكت نبضاته

تثائب يمدد يديه ملقيا جسده على الفراش يتأوه بتعب ،

فقد انهكه ذكريا بطلباته الغريبة ، يأمره بقطع

شولان بصل كل يوم حتى عصرت عينيه أخر دمة

يملكها ، تارة يطلب منه قهوة بسكر زائد ، فيحضرها

له ، يزجره عمه و يغير رأيه بثوان ليأتي بأخرى سادة

دون تحليه

يسكبها يصرخ بوجهه إنه يريد لها مضبوطة ...و هكذا

حتى رحمه رنين هاتف عمه ، لم ينسى وجهه الذي

تعرق يأمره بتلثم بالمغادرة ...يا ترى من تحدث معه

ليرتبك لهذا الحد ؟

همسات خافتة التقطتها أذناه ، يتبعها بأيماءه بسيطة ،

تتناوب أقدامها الوقوف عن أصابعها ، ترخيها بخفة

تجلس بجانب نور التي أستعادت وعيها أخيرا

مازالوا هناك يتشاورون في أمرها ، يجب عليه ابعادها
عن أعينهم التي تترصدها ، تأفف يهديهم بسمة
رسمها رغم قلقه ،

دنى خطوتان يطمئن عليها: " أنتِ كويسة يا نور
تقدري تمشي دلوقتي "

اكتفت بهزة رأسها تجيب عليه بالموافقة ، فأسرع
القول: " يلا نروح المعبد ... هتبهروا ... "

اعترضت فرح : " مش لازم نروح البيت عشان هي
تعبانة ... "

- " لا العمال هناك لسه بيصلحوا شقة الدور الأرضي و
عاملين دوشة مش هترتاحوا ، إحنا أصلا هنركب
عربية بابا و هتقدر ترتاح فيها "

تنهد يعلم أن العمال انتهوا من الإصلاح منذ قليل ، و

لكن ماذا يفعل يجب اخفاءها عنهم ...؟

تعجلهن : " يلا على العربية بسرعة ، أنا أصلا أخذت

أجازة بالعافية ، و مش هقدر أخذ ثاني"

ارتكنت على كتفا الفتاتان ... تشرب شربة ماء و

تحاول السير للعربة

ركبوا جميعا ، تابعت نور اختفاء المكتبة و تعاقبت

صور المباني و المحلات سريعا من نافذة ...مازالت

رأسها ثقيلة لا تفهم ما حدث من تداخل أصوات ، فقد

البصر ، تلك الرؤى التي شاهدتها ...

أفرج ثغرها عن ابتسامة جانبية ، رائع صارت أحلامها

العجيبة تلاحقها في صحوها و نومها ، ماذا تفعل

لها ...؟

خطفها من شرودها زقزقة عصفورة تحمل قشة
صغيرة ليأتي زوجها يحمله معها يرتفعان بالهواء ،
يصلا إلى عشهما بشجرة قديمة ... تتشبث جذورها
العتيقة بحديقة غناء ، فرش بساطها بأخضر طازج ،
و ألوان زهور أحاطت بها يتوجون معبد
فرعوني ... مشهد مهيب يجذب الأنظار

تهادت عجلات السيارة حتى هدأت تماما ، خرجوا من
السيارة يتعقبون خطواته يجمعن معلوماته بشغف ...
يولى ظهره للمعبد يشير إليه يشرح باستفاضة ، يروي
قصته .. قلبت مقلتها تستكشف المكان ، فوقعت عند
حجر يحمل نقش مألوف لها ...

تقدموا يلجوا المعبد ، لكنها وزعت بصرها بينهم و
الحجر لتحسم أمرها مقتربة منه ...

تكتمل الصورة شيئاً فشيئاً ، بئر مهدومة مازالت لبناته

تحكي عنه، هو ذاته الذي رآته بحلمها ، أذن هو

المكان نفسه الذي شهد تحولهم ...تراجعت خطواتها

تصطك أسنانها من ذكرتها البشعةتنفض رأسها

منها

أسرعت الخطى نحوهم تراقبه يقف بينهما ، يتحسس

النقش يرويها بعلمه الغزير...

التفتت للنقش تقرأ بصوت عالي ...سحبت أذنيه تجبره

للارتكان إلى حائط الصمت ينصت لحروف فرعونية ،

تحكيها بسلاسة كأنها كانت تحيي معهم فيعصر

قديم ...

قاطعها : " اتعلمتي اللغة الهيروغليفية فين ؟ "

ردت عليه فرح تخبره : " أنا و نور خرجين آثار ، و

هي شاطرة في اللغة الفرعونية أوي بتقرأها لبلب ... "

تتحنح يتابع جولته تشاركه يديه بتوضيح

أسطورتهم ... فاستقت فرح بشغف تدون بعقلها تاريخ
طمس عنها .. لم تشهده ... إن الواحة كنز مختبئ إذا
ظهر ، سيلتف حوله السائحون و ستجني مصر ثروة
هائلة منه .. بها تاريخ مخفي ، معابد ، و بالتأكيد
تحتضن مقابر و ثروات فرعونية كثيرة ...

لحقت بسيف و أخته ، لكن نور توقفت تتبع ذرة
ضوئية ظهرت لها ، سارت نحوها فاخفتت ، لاحت
أخرى تنير لها فيخبو ، و تضيئ غيرها بتوالي ...
و هي تمشي وراء الأضواء ، تطوف مقلتها بالأرجاء
قد حاصرها الظلام ، لولا مصابيح صغيرة تلالآت من
جديد تطوقها ، تطفو بدائرة تتعالى تتجمع و تقترب
من حائط ، دنت بالمثل تقرأ كلمات دونت على
جداره ، اشتد بريق الكرة المتلألأة يكشف عن غرفة

صغيرة ، أجفلت ترتعد إثر صوت اجتزار صخرة ،
زاغ بصرها بتيه تحاول معرفة مصدره ...فانشقت
الأرض تقسم ذاتها نصفين ، تهتز من تحتها ، يتباعد
الشقان عن بعضهما يُظهرا درجات سلم يؤدي إلى
فتحة مظلمة ...

قفزت الكرة فوق درجاته لتلتهمها العتمة ، لحقت بها
بخطوات مرتعشة ، لا تعرف ما الذي يسيقها للداخل
قوى خفية تجبرها على ذلك ، كأنها دمى خشبية تحرك
بالحبال...

هبطت السلم ...يندفع الباب يوصد عليها يحبسها
بداخله صرخت تنافس طرقات خافقها المرتعبة ...
ترتعش أوصالها أين هي ؟ هل ستموت هنا وحدها بين
ظلمات حفرة قاتمة ، استعدت بالله من

الشيطان ... تتحسس طريقها في ظلمة غرقت بها بعد

اختفاء الضوء ...

" متخفيش "

أفرجت عن صرخة عالية ،

عاد الصوت يتردد على مسامعها بلغة فرعونية : " لا

تخافي يا نور ... اهدأي "

اقترب منها لتتراجع بالمثل تقول بأحرف مرتعشة :

"من أنت ؟ "

- : "أنا من أحضرتكِ إلى هنا "

أخذت تتنفس ببطئ تهدئ من نبضاتها الملتاعة ،

تجمع تروس عقلها لتتذكر نبرته المألوفة

سألها : " أنتِ تعريفيني يا نور آلا تذكرين....؟ "

سرت قشعريرة ببدنها و هي تبتعد عنه تقول: " قل

لي من أنت ؟ و لماذا أحضرتني و حبستني هنا ؟ "

- " نعم سوف أقول لكي "

شعرت بلسعة بسيطة بصدرها، نظرت إليه ترى

جوهرتها الموشمة تضئ ، تخرج منه هالة ضوئية ،

و سرعان ما ترتفع هذه الهالة ، تتشكل على هيئته

البيضاء

اقترب الرجل منها قائلا : " ألم تتذكريني بعد ... "

جحظت عينيها أنه هو شيخ أحلامها هكذا اسمته :

" أنت ... "

قال لها : " نعم أنا .. "

جعدت حاجبها تتعجب : " لكن كيف أحضرتني إلى

هنا و لماذا ؟ ... "

أشار الرجل على الجدران و قال : " لهذا"

اقتربت نور من الجدار الذي أشار إليه ، و بدأت تقرا و

ومع كل كلمة تتسع حدقتها ، و تزداد دهشتها ،

نظرت إليه و قالت : " هل هذا معقول ..."

او ما لها ، يمسك يدها لتهتف : "ثانية ..."

هز رأسه موفقة و اختفى معها في غمضة عين ،

يخترق معها عالم آخر

.....

الفصل الخامس عشر

أشياء تتطاير في الهواء نابضة بالحياة ، تتقاذف دون

أن يمسخها أنس و لا جان تستقر على قطعة قماش

أبيض ، لكن سقطت ترتعد متناثرة على الأرض

إثر دوي اصطكاك قوي سرى في الأرجاء ، على

الصوت ثانية لترتل عيناها إلى مصدره ، نوافذ

تلطمها رياح غاضبة تتخبط ببعضها

اقترب يتطلع منها يمين و يسار ليغلقه سريعا ، يرفع

يديه بالهواء تبرق عيناها بشعاع أسود ، فتطفو

الملابس من جديد ، تسكن بجوار أخواتها ، زاغ بصره

يشعر بعقله يدور بمدارات فتشبت بخزانتة ، تقع ثيابه

ثانية متبعثرة على بساط غرفته

هل هذه النهاية و ستخور قواه متخليه عنه ؟ لا يعلم ،

عليه الاحتفاظ بها لأخر نفس بحياته حتى يهرب من

هنا ...

قاوام شعوره يرتكن إلى حائط صلب لعله يستمد

صموده منه ، يفتح أحد الأدراج ، تقلب أصابعه في

ملابسه بعشوائية ، يغلقه يفتح أخر يفتش به ، تأفف

يعقد جبينه يحاول تذكر مكانه ، دنى من فراشه ينحني

بتعب يستطيل بذراعيه حتى لمست يده شئ صلب ،

جذبه بوهن ، يلتقط أنفاسه بصعوبة كأنه يبذل مجهود

شاق ، شرع الصندوق ليتجلى كتاب يحتويه غلاف من

الجلد ، تلمس رموزه يتشمم رائحته النتنة باستمتاع

كأنها وردة ندية تمطره بنسيمها الأخاذ ، يحتضنه
ناهضا ، يتركه بين ثيابه يعقد عليهم القماش جيدا ...
"استمع إلى سرجون .. و عد معي إلى الوطن ، عد
إلينا تائب مستغفرا عن ذنوبك ... كفاك عناد و
مكابرة ، قواك خفت و هجتها و قريبا ستكون نهايتك "
استجمع قوته يقف يفرد ظهره الواهن ، يطبع على
وجهه بأس كشف زيفه حبات عرقا نبتت على
جبينه ، ... يلتفت إليه يقول بنبرة أضفى عليها تماسك
زائف : " لا لن أعود معك ، سأنفذ هدفي ، و
ستعودون لي معترفين بقواي ... أعدك بهذا ..."
هز رأسه بحسرة يذكره : "أعد لي سرجون القديم ،
بقلبه النقي أين هو الذي كان يضحك بصفاء ، لا يعير
للدنيا اهتمام ، لا يود منها شئ و زاهد بها ؟ ..."

رسم سرجون ابتسامة جانبية مرتعشة على ثغره : " سرجون القديم مات بسذاجته ، هم من فعلوا بنا هذا إلا تتذكر يا شابي ، حاولوا نهب أرضنا و أخذ كنوزنا طامعين مستغلين ، و أنتم ماذا فعلتم ؟ .. اخبرني أقتلتم نساءهم ؟ أسبيتم صبيانهم ؟ أخذتم أموالهم و كنوزهم ؟ "

- " لا بل دافعنا عن أرضنا باستماتة بالحق ، لم نعد لنتقم من أناس لم يفعلوا بنا شئ ، أما أنت تؤذي من ليس لهم ذنب ... "

أضفى شابي على لهجته لينا يترجاه يشعر بقبضة تحكم صدره : " عد معي يا أخي ، و سنسامحك على كل شئ ، أشعر بخطر قادم استمع إلي ... "

صرخ بوجهه رافضا : " لا عد أنت إليهم بوهنك و

ضعفك ، عندما يجير عليكم أحد لن تستطيعوا

الصمود ... "

بتر كلماته دفع باب غرفته القوي ، و دخول حرس

الملك يقبضون على ذراعه ، يتلوى بين أيديهم ،

سمع الملك يصيح به : "لا فائدة من المقاومة سرجون

... استسلم الآنأخيرا وقعت بين يدي ، و الآن

ستعاقب على ما فعلت ببلادي ، عقوبة ستجعلك عبرة

لكل من يفكر مثلك في دخول مصر "

أغمض الساحر عينيه يرتل كلماته يفتح مقلتيه تطلق

شرر خافت ، لكن يخبو شعاعها و يصيبه التعب ،

يرجع رأسه للوراء ، و قبل أن يغيب عن الوعي رأى

أخاه يستتر بعبائته تخفيه عنهم ، يودعه بدمعة سقطت

من عينه اليسرى دار بينهما حوار صامت ، أشار له
إلى شئ و حرك بيده المتحررة بأشارة فطنها الآخر

شاخصة بصرها لا ترمش ، تتابع ما يحدث كأنه فيلم
ممتع ، حتى إنها لم تشعر بقبضة يده التي تشبثت
بها ، ليدلفان إلى عالم اخر

تذمرت معترضة : "لماذا أعدتني إلى المعبد ، أريد أن
أعرف ما سيحدث؟"

وضع إصبعه على فمه : " اصمتِ و انظري لما
سيحدث الآن"

صياح و عويل بين رجاء و لعن يتأرجح ، لف الصمت
بهم يقطعه احتكاك مزعج بأرضية المعبد يشبه حك

الأظافر لسبورة المدرسة ، توجهت مقلهم إليه يثقبونه
بها ارتفعت لعناتهم متحولة لهمهمات مكتومة ، و هو
يتدلى بجسد ضعيف واهن يجره حارسان قويان ،
يقبضان على ذراعيه ، ساقاه ضعيفتان تخليا عن
حملة فاسند ثقله على جنديان ليجر بهذا الشكل المهين
، الساحر المارد الذي كان اسمه يرج حوائط المعبد
بقوته ، يدخله بتلك الطريقة ، سحره العظيم خفت
يشعر بتسربه من أوردته كمياه تتسرب بين ثقوب
الرمال ... و تختفي قوتها تحت الثرى ، تطمسها عن
العالم

أرسل لهم نظرات خاوية احتالت لدهشة ، أجسادهم
ترابطت عليها أحبال بيضاء تشبه الشاش تكفنهم تمنع
حركاتهم ، تكتم أفواههم عدا أعينهم ليزدادوا رعبا ،
لم ينتزعوا الأحشاء منهم تركوا جراتهم خاوية

-جرات : تشبه الفازات كان قدماء المصريون يضعون
بها الأمعاء و المعدة و باقي احشاء الجسد الذين
يستخرجونه قبل تحنيط الجثة –

، و هم يتلوون بين أيديهم يريدون الفكك منهم ،
حملوهم يلقونهم في توابيت أُغلقت عليهم بإحكام ،
لكنها لم تمنع صوت همهماتهم ، و لا تخبط أجسادهم
بالصناديق حملوهم إلى غرفة مظلمة تحت الأرض ...

ارتد بصره لمكان آخر ، يرى الحراس يقتربون
يتوعدونه بالمصير مثله ، فلاح له أخيه من خلفهم ،
يوماً هامساً بكلمة يفهمها هو وحده ، تنهد مستسلماً
بين أيديهم ، لكن انتفاضة أطلقها قلبه ، أرتج لها
جسده يأنّ متألماً ، يعلم أن هذا سيحدث و لكن ليس
بهذه السرعة ، انتفاضة أخرى تجر معها ذكرى تحول

البشر لهيئتهم الحيوانية و قتلهم لبعض ، دماء
تخضبت بها الأرض تشهد عن وحشيتهم ، خفقة
مؤلمة حررها خافقه لتتحرر معها مشهد تعذيبه
للحيوانات ، و استخذامه للسحر في تخريب البلاد ،
صرخ يضم ذراعيه لصدرة فيشع ضوء أسود بريقه
يعمي الأبصارشيئته عين شابي بألم يهجر المكان
كله ...

صرخت تحجب المشهد عن عينيها ، تضغط أجفانها ،
تصرخ بلهجة المصرية خرجت منها عنوة : "كفاية
خرجني من هنا ... كفاية "

.....

سرت القشعريرة على عمودها الفقري تكتم فمها تمنعه
عن التقىئ تهمس بين انفاسها المتسارعة : "

اخرجني من تلك المقبرة لا أريد البقاء بها ثانية واحدة

.. لا أريد معرفة شئ "

طق إصبعاً فتبدلت الحوائط بأخرى ، و انتشر ضوء
تسرب من نافذة الغرفة في المعبد التي كانت فيها قبل
دخولها المقبرة (الحفرة المظلمة)

اقترب منها يقول : " يجب أن تعلمي كل شئ ... تلك

المقبرة التي جئتِ إلى هنا للبحث عنها ... ألا

تذكرين ... (بانحسي) "

فرغ فاهها تجيب : " نعم هذا هو الرجل الذي نبحت

عن مقبرته ... لكن ... "

- " لا تتعجبين إنه أحد الكهنة ، الذين أمر الملك

بدفنهم أحياء هنا بهذا المعبد و كل ركن بالمعبد يحكي

عن الثلاث كهنة و الساحر الذي اختفى بطريقة عجيبة

، تركهم الملك يموتون من الخوف و الجوع و الظلمة

التي أحاطت بهم حتى زهقت أرواحهم... فلم يجروا
أحدا على حياة المؤامرات لانتزاع عرشه منه ، كانوا
عبرة بالفعل لكل من سولت نفسه لذلك "

- : " لماذا يجب عليّ معرفة كل هذا ؟ "

- " يجب أن تعرفي كل شئٍ فأنتِ الغريبة القريبة ... أنتِ

الجوهرة "

تأففت بضيق متذمر على ألغازه التي يلقيها عليها في

كل حلم تراه : " لقد اكتفيت منك و من ألغازك ... يا

شيخ أنا لست قريبة بل أنا غريبة عن هذه الواحة ...

لست من هنا ... أفهم أيها الشيخ .. أنا لست الجوهرة

أنا نور .. نور "

أهداها ابتسامته الهادئة ، يزيد من استفزازها يخبرها

: " أعلم أنكِ نور .. و أنا أخبرك ، لكي تؤدي رسالتك

"

زاد من حيرتها فاستفسرت : " أي رسالة ؟ "

- : " هذا ما يجب أن تكتشفه بنفسك و تذكرني أنني
سأحميك فلا تخافي مني ... و تذكرني أن عليك تأديت
الرسالة ..رسالتك يا نور....فكل منا يأتي إلى هذا
العالم محمل برسالة يجب أن يكتشفها و يؤديها مهما
كانت صعوبتها ، ابحثي عنها يا نور "

طمست ملامحه تتشح بهالته البيضاء ، التي تضائلت
متطايرة حولها في الهواء لترفرف كفراشة ، تختبئ
بين ثنايا خافقها ، عادت نبرته تتلو لغز آخر... يتردد
بأذنها

"زورستور احمي زورستور يا نورزورستور
يا نور..."

تمتمة محمومة خرجت من ثغرها بوهن ، و رغم ذلك
التقطتها أذناه مقترب منها ،

ترتكب إلى حائط تتحسس بأصبعها نقوشا مغمضة
الأعين ، تخترق بهذه العبارة ...

- "نور ... فوقي أنتِ كويسة "

أطلقت شهقة مرتعبة تتلفت حولها بتيه ، علت أمارات
التعجب و الخوف على وجهه: "نور .. أنتِ كويسة
.. مالك في أيه .. كنا بندور عليكِ اختفتي فين ؟ "

حكّت رأسها تريح ظهرها إلى الجدار، ترمقه بحيرة
كبيرة : "هاه... أه .. أه كويسة ..."

- "مين زورستور ده يا نور ..."

نبتت حبات عرق على جبينها ، تتلأ الحروف في فمها
تسأله : " زورس....أيه ده ...؟ "

عقد حاجبيه عازما على معرفة كل شئ الآن : " أنا
سمعتك بتقولي زورستور ... أيه الكلمة دي ؟ ... أيه
اللي بيحصلك يا نور ؟ قوليلي "

تهربت من مقلتيه التي تحاصرها ، تتلجج الكلمات بين
شفتيها : " أقولك ايه بالظبط ما أنا... ما أنا كويسة
أهو "

دنى أكثر يضيق عليها الخناق كضابط يستوجب مجرمة
أمامه : " كويسة إزاي و أنتِ دائما سرحانة و مش
معانا ... و مبتكلميش خالص "

رأسها هبطت إلى الأرض تتراجع ، كأنها ستلتحم
بالحائط ، لعله ينقذها منه ، تلجأ إلى صمت يحميها ...
تابع تحقيقه : " أنتِ وقعتي أغم عليكي من شوية ...
إيه اللي بيحصل معاكي ؟ قوليلي !... "

رفعت بصرها إليه ، أنه يشرف عليها بطوله الفارع
رغم الخطوات التي فصلت بينهما ، إلا أنها أشعرتها
بضالتها أمامه ، كفأر يهرب من صائدا محترف ،
عضت باطن وجنتها لا تعرف بما تجيب ، بل لا تعرف
ماذا سيحدث لها إن ردت عليه ، تركته يغوص في بحر
حيرته لم تريحه بحرف واحد

فتهد يناشد صبورا و هدوءا ، يعطي لنبرته لنا :
"متخفيش يا نور قوليلي ، و أنا مش هطلع كلمة من
اللي هتقولها برا الاوضة دي ... ثقي فيا ..."
لم يقابله سوى السكون ، فزفر : "من الواضح أنك
خائفة ، و مش عايزة تقوليلي حاجة ..."
هزت رأسها بخوف رافضة ...

حاول بث الطمأنينة لها قائلا : " متخفيش يا نور من حاجة ، أنا هساعدك .. و هحميكي من أي حد ... ثقي فيا ... "

رغم دفي حديثه إلا أن قلبها يقرع رعبا ، تخشى أن يعلم فيخاف منها أو يقضون عليها ...

لم يرد أن يضغط عليها كثيرا ، فأولى ظهره لها : " الواضح إنك مش عايزة تتكلمي دلوقتي ، لما تحسي إنك عايزة تتكلمي أنا موجود ، و أنا الوحيد اللي هقدر اساعدك و احميكي ، و اتأكدي من كده ، ثقي إني مش هفشي سرك لحد"

ذهب و تركها تتأمل أثره و مازالت عباراته تدور بخلدتها ، فهل تخبره بما يحدث لها ؟ هل سيساعدها على التخلص من لعنتها و ذلك العفريت الذي يظهر لها يخبرها بالغازه و يختفي ؟ ... ماذا ستفعل ؟

سارت خلفه تغادر توزع بصرها على تلك الغرفة التي
شاهدت فيها الكهنة يحضروهم للمقبرة .. ارتعدت تسرع
الخطى للخارج...

دفعت الباب بيدها المترددة ، أتلعج أم لا ؟ نقرت كلماته
رأسها نقرا ...

"والدك محتاج يروح المستشفى و يعمل عملية في
اقرب وقت ممكن "

إنه الباب الوحيد أمامها يجب عليها طرقة ، فإن لم
تدق عليه ؟ فأين تذهب و إلى أين تلتجأ ؟ أين
الأبواب التي ستطرقها لتجلب المال ؟ فريم و عمها

سامح لا يملكان شئ ، و عمتها بالخارج ستبخل عليها
بقرش واحد ،

تقدمت بأقدام مرتبكة تخطو للداخل ، تلاحظ خلو
المطعم من الزبائن ، هذا يوم عطلتهم هو من حدد لهم
هذا ، اتصلت به تتأكد أنه هناك فجأته ، لربما يعطيها
المال ...

بطريقة خجلة تدق مكتبه ، فيسمح لها بالدخول ...

جالس يأرجح كرسيه باستمتع يسند رأسه إلى

ذراعيه ، يتابع ما يحدث على التلفاز ..

سألها دون أن يلتفت : " قولتيلي في التليفون

عايزاني في حاجة مهمة ؟ عايزة أيه ؟ "

فتحت فمها لتتحدث ، لكن صوتها حُبس بحلقها يأبى

الخروج ...

قطف عقلها الكلمات يكون عباراته يرتبها ، يفندها

يحذف منها الغير ضروري و يحتفظ بالمهم لها ،

أجبرت صوتها على التحدث فخرج همسا خافت لم

يسمعه : " كنت عايزة أطلب من حضرتك سلفة"

ضيق عينيه بعدم فهم : " نعم عايزة ايه ..."

رفعت نبرتها تقول ، و قد ألهب الحرج وجنتيها : "

كنت عايزة أطلب من حضرتك سلفة ... عشان بابا

محتاج عملية ."

أرخی جسده يعود للوراء يركز عينيه عليها ، تقف

أمامه كتلميذة مخطئة مقلتها تحتضن الأرض بخجل

رأسها منحني قليلا ، سألتها : " هو أنتِ بقالك كام يوم

شغالة هنا؟ "

رفعت رأسها متعجبة من سؤاله لقد انتظرت إجابة أما
برفض أو الموافقة ، و ليس سؤال ، ماذا يريد هل يود
طردها من هنا ؟ ابتلعت لعابها خوفا و ردت

بتلعثم : "من...من ثلاثة أيام تقريبا "

أوقف حركته يدنو منها في جلسته يريح ذقنه على كفه
يكمل : " حلو جدا يعني مش بقالك معنا كثير؟ "

أومات له

زفر يقف ضاربا مكتبه ، يجفلها ، مقتربا منها يدعوها
للجلوس ، فنفذت أمره بارتعاد لما قادم : " كويس جدا
لما أنتِ اشتغلتي ثلاثة أيام ، بتطلي سلفة ليه ؟ قلوك
عني البنك الأهلى و أنا معرفش "

اشتمت رائحة سخرية بكلامه ، فأسرعت تبرر ، لكنه
قاطعها بيده : " لا يا ماما استني أخلص كلامي "

....

تأفف بملل يتناول الممسحة يغمسها في المياه ، ينظف
بها تحت الطاولات ، رغم إنه إجازة اليوم إلا أن عمه
أحضره ، يفتح المطعم يقوم بخدمته ، و يتسلى عليه
بتغير طلباته كل ثانية و تنظيف المكان ...

صوت طرق نبهه فاقترب ينحني ، يقرب اذنه من
مكتب عمه يستمع ، ينصت لسخريته ، لنبرته الباردة
يصيب الفتاة الرقيقة بارتعاش من عواصفه الثلجية ،
ها هو يسكب عليها دلو بارد لطلبها المال ، المسكينة
يا ليته كان جوارها ، لا تعلم أن هذا الطماع يخزن
أمواله بخزنته ، و ويله أن مسها أحد ...

....

تتكمش على نفسها من ثليج كلماته التي جرحتها
توشك على البكاء ، تلوم عقلها على تفكيره في طرق

باب هذا البخيل ... لم يرفق لحالها و لا حال والدها
المريض تسلت دمة أحرقت وجنتها ، فتسابت
أصابعها بالتقاطها لا يجب أن تضعف أمامه...

اخترقت رصاصة الزجاج محدثة تصدعات عنكبوتية ،
انفجر لها متناثرا منتشرا بالأرجاء ، تثقب جسده ذاهبة
لوجهة تعرفها جيدا.....

بينما هي حُبست في رسمة جدارية فارغة الفاه ،
جاحظة العينان ، ثابتة لا تتحرك ، لقد أقت عليها
الصدمة حبال عرقلت حركتها...

قطرات من دمائه اندفعت تلوث وجهها و حجابها
الوردي ، وملابسها ... لم تصرخ لم تتحرك إنشا
واحدا ، حتى أنها لم تشعر بحامد الذي اقتحم الباب ،
تملكته الصدمة لثواني ، ليعمل عقله بسرعة البرق
ينادي عليها : "نورين فوقي لازم نهرب من هنا "

التفتت له بوجه يحكي عن صدمتها و هلعالم
تحرك شفيتها تطمئنه عليها فقط...

يجب أن يخرج من هنا ليس هناك وقت لذلك ، لملم
حقيبتها و أشياءه ، يتشبث بيدها ، يغادر مكتبه بل
المطعم بأكمله يحمد الله أن كاميراته معطله لا
تترصدهم ، و هي تجاري ركضه فقط ، تنساب دموعها
الصامتة على وجنتيها تتمم : " الراجل مات .. الراجل
مات و رحنا في داهية "

وقف أمامها يطمئنها : " متقلقيش يا نورة مش
هنروح في داهية و لا حاجة الكاميرات معطلة ...و
مفيش حاجة تثبت أن أحنا جينا هنا "
تمسح دماء طالت ثيابها بتشنج تهمس : " روحت في
داهية ..بابا لو عرف هيروح فيها... بابا مش
هيستحمل "

- " نورين بصيلي "

رفعت رأسها له ، فتكلم يحاول بث سكينه تائهة منه

إليها : " نورة متقلقيش مفيش حاجة تثبت أن أحنا

جينا هنا ... متقلقيش لازم نهرب من هنا .. لما

تروحي اتخلصي من الدم ده "

خلع سترته الجلدية يعطيها لها ، و منحها محرمة

مبالة تمسح وجهها ، فمحت ما لوث وجنتها ، و أخفت

دماءه بسترته الجلدية ، و أطلقت ساقها للريح تحاول

أن تساير خطواته السريعة

- " زورستور أحمي زورستور يا نور ... بقي لكي

واحد فقط.. زورستور يا نور..."

- "أحذري يا نور ... إذا اختفي زورستور ... فالدمار

سيحل زورستور يا نور "

دارت تلك الكلمات بعقلها ثانية كبن دول ساعة ممل

لها ، هذه ثالث مرة يتردد صوته بعقلها ، حبا بالله

فليتركها دقائق تترتاح منه ،

أظلم كل شئ فجأة ، ليراعى لها بضع شباب ، تتسلل

أقدامهم بخفوت و مع كل خطوة يتلفتون حولهم بخوف

.....

اتشح المشهد بأسود قاتم ، تتعالى الغازه طرقا برأسها

فتمسكت به تتألم ،

تجلى لها سماء حمراء يشقها برق يمدد كشباك
العنكبوت و يختفي ، قطط تتقاذف متناحرة ، صوت
صقر يهتف مرتفعا إلى السماء ليصطدم به آخر أشد
منه قوى ...

ارتبكت أقدامها تتعثر ببعضها ، و يدها تحاول التشبث
بأي شئ لكنها تقع تشيعها كلماته متحورة لضجيج
مزعج ، يكاد يفتك بعقلها تصيح بأنين : "كفاية
كفاية ..."

توقفت الضوضاء ، و عاد الضوء يشرق بعينيها ،
تستند إلى فراشها معتدلة تقف تراقب الشمس تحتال
لقمر غير مكتمل ، تخضبت سماءه بحنة حمراء ،
تلعب على أوتار قلبها فارتعدت تتخبط بخوف ،

همس ترجرج على أسماعها : " زورستور احمي
زورستور يا نور ...بقي لكي واحد فقط.. زورستور يا
نور..."

- : " زورستور احمي زورستور يا نور ...بقي

لكي واحد فقط.. زورستور يا نور"

ضاقت من هذه الكلمة تصيح به : " و ما هو

زورستور ؟ ... و ما علاقتي أنا به ؟ "

-: " ألم تكتشفي بعد يا نور ؟ "

لسعة ضربت قلبها ، أنت قليلا ، تشاهده يتمثل أمامها

بهيئته البيضاء ، يحرك أصبع في الهواء كأنه يكتب ،

تكونت حروف فرعونية تضيئ أمامها

ضيقت نور عينيها تركز عليها ،

تتمتع متسعة العينان بأدراك : " زورستور ، إنها
الرموز ذاتها التي حفرت على كتاب الذي لمستته في
بيت عم حسين "

أوما برأسه قائلا : "نعم يا نور بدأتِ تسيري بخطي
صحيحة علي دربك "

- : " هل هذا ما يجب عليّ حمايته "

- " نعم "

قلبت مقلتيها من النافذة بتيه يقيدها ، و يغفل عقلها
عن التفكير : " و لكن كيف ؟ ... وأنا لا حول لي و لا
قوة "

رفع همتها ، يشد أزرها : " أنتِ القوة و

الضوء.... أنتِ الجوهرة ... أنتِ القريبة الغريبة .. "

نظرت إليه بيأس سكن مقلتيها : " أنا لست كل
هذا ... ما أنا إلا غريبة عن هذه البلاد ... ليست
أرضي .. و لست جوهرة .. و الجوهرة ما هي إلا وشم
رُسم على قلبي و لا أملك ضوء و لا قوة ... فأنا لا
حول لي و لا قوة "

نكست رأسها ...

يدنو منها يقول بصوت أسكن به حماسة ، يقبض على
يدها يبتها فيها : " نور أنتِ لا تعرفين شيئاً عن
نفسك .. لكن أنا أعرف ... "

أضأت خيوط يدها بلون أرجواني ،

فأكمل : " ارفعي رأسك يا جوهرة "

ترفع رأسها له ، ترى بعينه قوة مشتعلة : " ثقي
أن بين يديك شئ عظيم ... أهم شئ الآن الكتاب احميه

بروحك و ألا سينتشر الدمار في كل مكان و يختفي كل

شيء "

تسربت بعض من قوته المشتعلة إليها ، تبدد خوفها و

عجزها : "كيف سأحميه؟"

- : "أنا سأساعدك و سأدلك علي طريقك فهاتِ يدك "

-: " ثانية "

-: " ثانيةً ... "

قبضت على يده يختفيان في غمضة عين

دخلت فرح الغرفة لم تجد أحد فقط فراش فارغ ،

وستائر تحركها الهواء ، يتسرب منها ضوء أحمر

مخيف ، مثلما تسلل القلق إلى قلبها

الفصل السادس عشر

شلال ماء يتدفق مندفعاً يخترق القماش بقوة حاملاً
معه قطرات دماءه ، فتهرب من المياه ، يتخللها
سيله ، يمتزج معها يحور لونها الأحمر القاني إلى
خافت ، طارداً إليها من فتحات الحوض الصغيرة ، بينما
هي لا تتركها مازالت تشعر بها على وجهها و ثيابها ،
تفرك ثيابها توشك على تمزيقها لكنها توقفت ، مازالت
تلك التشنجات المرتعشة تسري بيديها ، لا تستطيع

احتواءها السيطرة عليها ، غصة بكاء اخنقتها ، فلتت
منها شهقة مستغيثة للهواء ، تحررت منها عالية ،
نبهت ذلك القابع بغرفته معتزلا عن العالم أجمع
يحتضنه فراشه غير مدرك لما يحدث حوله ،

- " نورين في أيه ؟ "

رغم وهن صوته إلا أنها سمعته ، تجرعت بعض الماء
تحاول التخلص من موجة بكاء ثانية ، تستغرق عدة
ثواني لتتحكم بنبرتها و رغم محاولاتها إلا أنها غادرت
شفتيها مرتعشة مبجوحة : " لا مفيش يا حبيب...ي "

- " تعالي أنا عايزك .. "

رشقت وجهها بالماء تسير بخطوات مرتعشة تستغل
شحوب مصباح غرفته ، الذي أخفى أحمرار أنفها و
عيناها المنتفختان ...

-تجيبه: " أيوا يا بابا ... "

- " تعالي يا نورين أقعدي جنبتي يا بنتي "

لبت طلبه ترتمي بأحضانه الدافئة تحت نظراته

المتعجبة من تصرفها ...

ربت على شعرها المموج : " مالك يا حبيتي "

كتمت بكاءها بصعوبة : " مفيش حاجة بس وحشتني "

مسد رأسها يطمئنها : " متقلقيش يا نورين عمك مش

ساكت بيجمع الفلوس يبنتي متروحيش لمديرك خلاص

كل شيء هيتحل و قرب عمك يجمع الفلوس "

شهقة همت بالتححرر إلا أنها حبستها ، تسد طريقها

بيديها تومئ له فقط ، لو كانت انتظرت قليلا ، لو كانت

أخبرت ريم ، لو كانت طرقت باب عمها... لكن من أين

له بالمال ؟

أجابها دون سؤال: " عمك راح البلد استلف لحد ما
يجمع المبلغ اللي فاضل ، و هعمل العملية و ابقى
كويس بأذن الله ..."

قبلت رأسه ، تتسلل منها دمعة حرقة أودعت فيها
خوفها عليه و من مصيرها المجهول ، هل ستصير
قاتلة تتعفن بين أسوار السجن مع السارقات و
القاتلات بجريمة لم ترتكبها ؟ هوت دمعتها على رأسه
فقربها لوجهه يرى دمعات تسبق الأخرى في الهطول ،
فتلقفها بأنامله يربت على وجهها : " متقلقيش يا
نورة هبقى كويس ، و هرجع بعد العملية تاني اشتغل ،
مش هسيبك ، طول ما قلبي ده بينبض "

صياح اختلط به تراشق بكلمات ، لم يستطع فهم منه
كلمة واحدة ، ولج بيته يجر جسده جرا للفراش ،

كالعادة يتشاجران على أي شئ و يمتلئ بيتهم بالصياح
و الكلمات العالية ...

استوقفته كلمتين " نور " و "شيخ عبد العزيز "
صدحت بين أرجاء البيت ...

-: "الموضوع ممكن يكون خطر ، و بردو هيقولي
كويسة تكنش (يمكن أن تكون) من باقي عيلتك"
- " يووه هنفضل نعيد و نزيد في السيرة دي ، أنا
قولتك كلمة واحدة ومش هرجع فيها ، انا مش هبلغ
هنهم ، لحد ما أفهم ايه اللي بيحصل معاها ، خلاص "
- " البت طارت في الهوا و خطوط اترسمت على
جسمها أدام الكل و يقولي فرصة و لسه نستنى ، الأيام
القمرية قربت و الله أعلم مين اللي هيخرج عن طبيعته
"

- "يا ست أنتِ البناتِ دولِ أغراب ، و لو أنا بلغت عنهم

مش بعيد يقتلوهم ، هديهم فرصة يومين عشان

ضميري يستريح "

- "هتستنى لحد ما تسحر ابنك الكبير في هواها ...

الواد بقى رايح جي يفسحها ، و أدخل عليه الأوضة

يبقى سرحان ، البت سحرته ،"

دنت منه تخفض صوتها قليلا لأقناعه : " ادم اتأثرت

بالكتاب تبقى اتلعت ، و ممكن تلعن ابنك معاها خلي

بالك من سيف ابني هيروح مني"

اقترب من غرفتهما يرى صمت استولى على أبيه ، لم

يقدر على الرد ، كأنها نجحت في استمالت عقله و

اقتاعه بما تقول ، قطع صمته يخبرها : "هما يومين

بس يا تفيدة ، رقبتي سيف فيهم ، لحد ما أعرف

الحكاية دي ايه ؟ "

عاد صوتها لطبيعته العالية تتأفف : "لسه هيقولي
يومين ، أنا هروح أبلغ الشيخ ، أنا مش مستغنية عن
ابني"

رفع نبرته هو الآخر يهدد : " هي كلمة واحدة يا تفيدة
، أن خرجت منك كلمة من باب البيت ده ، مش
هيحصلك كويس ... و أنت عارفة أنا هعمل فيك
أيه .."

اقترب والده من الباب ، فركض إلى غرفته يسمع دفعة
غاضبة للباب ، أشياء تسقط على الأرض
بالتأكيد أمه الغاضبة تفرغ غضبها بأشياءه هكذا هي
دائما ، ...

يخشى أن تشي بالفتاتان يعلمها جيدا ، إن وضعت شئ
في عقلها فعلته ، لكن هل ما تقوله صحيح ؟ هل هي

ساحرة القت بسحرها عليه ؟ فتضيع منه نبضات قلبه

بحضرتها تجذبه هالتها الهادئة ، لا يعلم

أنسل صوت أمه كوسواس يدخل الشك قلبه نحوها ...

استعاذ بالله من الظن السيء يعزم على عدم تركها غدا

إلا إن قالت له كل الحقيقة ، و بعدها يحكم بنفسه

سماء تخضبت بحمرة كليلة البدر الأحمر لكن الفرق أن

القمر سرق منه قضة واحدة كما سرق الأمان

منهم ، و احتلهم الخوف و الترقب ، أقدام اصطفت

تتحلق حول البيت متجاورين ، قلوبهم اتحدت نبضاتها

تمتم بعهد حمايته ، و الحفاظ على إرثهم ، و ناقوس

خطر يدق بأذنهم ، لكن لا يعرفون السبب ،

اشتعلت كلماته حماسة تتسرب بين حنايا القلوب ،
فتخفق توزع الأدرنالين في الدماء ، يوحد أرواحهم قبل
أجسادهم

يقف أمامهم كزعيم همام يشحن نفوسهم بالقتال
همس سيف بأذنه : " أنت فاهم حاجة من اللي
بيحصل "

فيتمتم هيثم مقله :- " زي زيك ... بس علينا حماية
الكتاب الأخير .. كتابين اختفوا .. هو ده اللي"
اصطدام قوى ارتجت له الحائط خلفهم ، شعروا به ،
أشار زعيمهم لهما فتقدما يقتحما البيت ،
صمت قاتل لف الغرفة كلها ، زاغت أبصارهما فيها ،
جسد ملقى بجوار الحائط رأسه يقطر منها الدماء

تخرج منه أنات ضعيفة ، ركضوا نحوه يهزانه يناديان

اسمه : " إِيَادُ فَوْقَ يَا إِيَادُ ... "

اجتذبهم صوت زئير ، التفتوا إليه ..

قط برتقالي ضخم عيناه أطلقت شرارات خطر يقفز

عليهما ،

ابتعدا عن مرماه ، لكنه زمجر بانزعاج يركض خلف

هيثم الذي تضخم حجمه ، و تعاضم فكه متحوّلا لمنقار

قوي ، تحورت يديه لجناحان كبيران اختلطت ألوانه

بين البني و الأبيض ، لم تتسع له الغرفة ، فدفع

الحائط يسقطه ، و يرتقي للسماء كصاروخ

بقي القط يموء يضع سيف في مداره ، يحاصره

بخطوات متحفزة ، تقلبت عيني سيف بالمكان يبحث

عن أي شيء يصلح للقتال ،

وثب القط بخفة ، ليتدأه متتحيا للخلف ، فيزداد
الغضب بعينه يزمجر يريده حيا يلكه بين أسنانه ،
لمع نصل خنجر أمام سيف ، فترقب خطوات القط
يتحين فرصته ، يركض نحوه يقتنصه يهرول ، يصيح
كأسد يزأر يهجم على فريسته ، قفز عاليا مشهرا
خنجره يشق به صدر القط ،

فيسقط جسده الضخم تنفجر منه الدماء....

شعر هيثم بدفعة جسد قوي ، اختلى توازنه يرتطم
بمبنى بجواره ، لكنه قوي ثابت ظل يحلق في
الهواء ، و مقلتيه تطوف حوله يبحث عن جسده ليري
صقر أسود الجسد أبيض الرأس يدنو منه بسرعة
البرق ، ارتفع هيثم عاليا ، يقف يضم جناحيه يهوى
كنيزك تطاير منه أسنة حماسته يشرعها يحيط بجسد
عدوه يوقعه أرضا ،

لكن خصمه عنيد زمجر و أخذ يناوره و يتقاتل معه
بشراسة

أما سيف ارتكن إلى الحائط بجوار أخيه يخلع سترته ،
يحاول إيقاف دماءه المتساقطة متسائلا : " أنت كويس
يا إياد "

فأوما الآخر بارهاق ...

لم يهنئوا براحتهما ، فاقتحم الغرفة قط أسود يموء
يركض إليهما

تأفف سيف يلعن حظه ، فهذا اليوم ليس يوم تحوله
مازال القمر ينقصه قزمة ليتحولوا ...

- "سيف اهرب أنت و إياد بسرعة "

التفتا لمنقذتهما ، فتاة قصيرة ترتدي سروال واسع
يضيق عند كاحلها ، و فوقه قميص أسود ووشاح

مثله ، جلست قبالتها ترسل للأسود نظرات محذرة

لكنه لم يطع ، و قفز يتجاوزها فاتحا فاه يكاد

يلتقطهما ...

قفزت عاليا يتعملق جسدها ، ينبت منه قوائم قطة

أبيض ، بمخالبتها القوية خمشت وجهه ، فوق مصدرا

موء متألم ، ...

نجح سيف بالخروج ، يسند أخيه يهرب به من خصم

ليس أهلا له ، تاركا الفتاة تقاتل عدوها بشراسة

انبثق جسدها من العدم رياح تصفر بأذنها ، أجساد

ملقى على الأرض يعبث الهواء بهم ...

صقر اختلط ألوانه بين البني و الأبيض ، و قط أبيض

ملقى بجواره تنتشر على جسده كدمات و جروح يأن

وجعا

و سيف راقد بجوار أخيه غائبان عن الوعي أم فارقا

الحياة لا تعلم ، لقد وصلت متأخرة .. و هي الآن

تطوف بين الجثث ، ماذا ستفعل ؟ ...

رأته تتشبث أنيابه بكتاب ما ...

اقتربت منه إنه زورستور

ما العمل ، هل بيدها شئ تفعله ؟ اهتزت حدقتها خوفًا

، و عزف القلق على أوتار قلبها ، ارتعشت يدها

تتهقر يصدح وسواس برأسها : " لقد أصبحوا جثثًا ،

ماذا ستفعلين أنتِ بضعفك أمامهم ؟ "

يدوي صوت شيخ أحلامها : " أنتِ القوة و

الضوء... أنتِ الجوهرة ... أنتِ القريبة الغريبة "

- " هذه تخاريف ما أنتِ إلا فتاة واهنة لا حول لكي و لا

قوة "

جادلها صوته يكتم تلك الوسوسات : " نور أنتِ لا

تعرفين شيئاً عن نفسك .. لكن أنا اعرف ...ثقي أن بين

يديك شئ عظيم ...أهم شئ الآن الكتاب احميه و ألا

سينتشر الدمار في كل مكان "

اشتعلت عيناها ثقة تدفعه ، اضأت خطوط يداها تتشابك

و تبتعد ترتفع منتشرة بجسدها ...

لمع بريق بمقلتيها تطفو عاليا ، تصيح بنبرة قوية :

" سيب زورستور و إلا ... "

ضحك القط الأسود عاليا يركز عينيه عليها يقول : "

أنتِ تقدرى توقفينى ، بنت ضعيفة زيك هتوقفنى أنا "

لم تتفوه بل رفعت يدها تثبت منها شرارات أرجوانيه

تتشكل على شكل أسهم ضوئية تتطلق بسرعة ، تثقب

جسد خصمها ليسقط مدرجا بدماء لوثت كتابها ...

دنت تلتقط الكتاب ، و مازال بريق عيناها يضيئ ، كرة

مندفعة سقطت من السماء ترتطم بها تفقدها توازنها

فتهوى على الثرى ، يقع الكتاب جانبها

التفتت إلى صقر أسود يهّم بأخذه ، لكنها رفعت يدها

تبسطها في الهواء تأمره : " ابعده عنه "

ظهرت فقاعة احتوت الكتاب داخلها ، نقرها الصقر

بعناد ، دنت نور منه يزداد شعاع وشومها تأن ...

تصيح : "قولتك ابعده "

تعملقت الهالة تقذف خصمها بعيدا ...

فيقوم مزجرا يقفز نحوها ...

أطلقت أسهمها الضوئية تنطلق نحوه ، لكنه تخطاها

ببراعة يرتقي في السماء... يتوارى خلف سحبها

الحمراء ،

طاف بصرها يبحث عنه لكن لا شيء... حتى لاح لها

شهاب يقع بسرعة البرق نحوها

اغمضت مقلتها تحيط يداها بساقاها بحماية ، و

مازالت تحلق بالهواء ...

لكنها لم تشعر بارتطامه بها ، بل سمعت اصطدام جسد

قوي بالأرض

شرعت جفناها ترى هالة مشعة تلفها كالكرة يخرج
منها شرارت متقافزة ، رآته يتلوى كأنه تيار كهربائي

أصابه

صداع شق رأسها بفته تمسكت بها تسقط ، تختفي
الهالة من حولها ، تتلفت حولها بتفاجئ .. لقد ازداد
عدد الجثث اثنان قط أسود و صقر آخر ...

ما زالت الوشوم تشع طاقة ... هل هي فعلت بهما هذا ؟
هل قتلتهم ؟ ...

راقبته يقترب منها جاحظ عيناه ، يسأل : "نور أنتِ
عملتي أياه...؟ "

بترت جملة تحتضن الثرى ، تغلق عينها بسلام

الفصل السابع عشر

بعثت الشمس ومضاتها الدافئة تداعب عينيها المتعبة ،
فرفرفت أجفانها بتعب ، تطوف بالمكان ، إنها عادت
للمشفى مجددا لا داعي للإنكار ، عليها الاعتراف ،
إنها داخل قصة خيالية لا خلاص منها ، وجب عليها
المواجهة

- "نعم عليكِ المواجهة ، و التحلي بالقوة فما سيحدث

أكبر من ذلك ، استعدي "

تأففت لظهوره و اقتحامه حديث نفسها تسأله : " ألا يوجد خصوصية لي أبدا ؟ .. ثم أنني لا أعرف اسمك ، و كيف تظهر باغته أمامي هكذا ؟ اجبني ! "

أجابها الصمت فالتفتت إليه ، تراه يعبث بإصابعه في لحيته ، يقطع هدوءه الغامض يخبرها : " أنت من قتلت القط و الصقر الأسود ... رأيت قوتك كبيرة ، و عليك الاحتراس "

عقدت جبينها تسأل : " من أين لي بهذه القوة ؟ هل الكتاب فعل بي هذا ؟ "

لم يجبها بل اختفى بغمضة عين

فصاحت توقفه تختلط لهجتها ، تتخبط بين مصرية و

فرعونية : " اجبني يا شيخ

استنى ، جوبني أرجوك "

.....

زاغ بصرها تشهق بارتعاب ، إنه جالس جوارها في
مقعده ، قاطب الجبين تترصدها مقلته ، تحكي
تساؤلات عدة تحاصرها ، فضوله يكاد يقفز منه
ليجبرها على إفصاح بكل شئ

حرر تساؤلاته يبدأ تحقيق : " مين الشيخ اللي بتنادي
عليه ده يا نور ؟ "

ارتكنت لحائط الصمت ، تهرب بمقلتها لعله يحميها
منه ، لكنه سيهدم جدار خرسها اليوم ، لن يتركها
تهرب من عينيه ، عليها كشف النقاب عن الحقيقة ، و
إلا سيضم جسدها التراب : "مين ده ؟ جوبيني ! و
ايه هو زورستور ؟ "

أشاحت بصرها تقطع عليه السبيل لنظراتها الخائفة ،
فصاح و قد نفدت منه حبال الصبر : " لو متكلمتيش يا
نور هضطر أبلغ عنك كبار الواحة و لو عرفوا ،
هيتهموكي بالسحر و سرقة الكتاب منهم و هيحكموا
عليكي بالموت "

اهتزت حدقتها، تلتفت إليه ، تتمنى أن يخبرها بأنه
يكذب عليها لكي تحكي كل شئ ، فهز رأسه نافيا كأنه
قرأ أفكارها : " لا يا نور اللي بقولهورك حقيقة ،
لازم تقولي كل حاجة قوليلي أزاى قتلتى قط و
صقر و أنت لسه خرجه من المستشفى؟ ... و أية
الخطوط اللي بتظهر عليكي دي ...جوبي...!"

بترت حديثه تصيح ، تشوح بيدها و قد نفر الدمع من
مقلتيها : " معرفش .. معرفش إيه اللي بيحصلي ...؟"

اكملت بصوتها المرتعش ، ترفع كفان امتلاً بوشوم

خافته اللون : " خطوط مبترووحش ، و أحلام و

كوابيس بتردني ، و شيخ عجيب بيظهر ... و كله

من الكتاب العجيب ده ... "

أمسكت رأسها من الصداع الذي أصابها فجأة ، تهمس

بضعف : " أنا من يوم ما دخلت الواحة الملعونة وأنا

اتلعت ، معرفش أيه اللي حصلي .. كل يوم أحلام و

كوابيس غريبة بتتحقق ... "

قبض يده يقاوم رغبتها في التريت على كتفها بشق

الأنفس ، ينهر قلبه واضعا حدا بينهما بارتداده

للخلف : " طب أهدي يا نور ... أهدي ... و قوليلي

ايه اللي بيحصل ؟ "

قد فاض بها الكيل ، و أرخت باب الصمت لتندفع
كلماتها متحررة تسكبها بعشوائية عليه ، كلمات كثيرة
غير مترابطة اختلطت بنحيبها و شهقات بكائها ، ضيق
أجفانه يحاول ربط حروفها ترتيب جملها لتصبح حدث
يفهمه هو ، فعلم بشأن الشيخ و فقاعته العجيبة التي
تخرقها في صحوها و نومها ، رؤى تلاحقها في
يقظتها بعد أن كانت تروضها بمنامها ...

أنهت عبارتها بدموع سخية تروي كفيها ،
و اهتزازات مرتعشة ، ترسل في قلبه سهام أخرى من
سحرها ، لتتسارع نبضاته بحمية نحوها فقط ، هي
فقط دون عن نساء كثيرات قابلهن ، وحدها من يرتج
لها خافقه ، يدافع عنها أمام ذرات عقله التي تشك
بها ، هي من يصرخ قلبه ببراءتها من تهم القوها

جزافا عليها تلك البريئة الضعيفة ، وحدها هنا ليس
لديها سند و لا أحد يدافع عنها ، فدق قلبه متطوعا
يقف في صف يتحول لجيش يحميها ضد أي أحد يفكر
بالمساس بها

أغلق جفنيه يحاول السيطرة على مشاعر اربكتها
بدموعهايقول بصوت شابه بعض الخشونة ،
يتحكم بذلك الغر النابض بين أضلعه : ".طب نامي
دلوقتي و ارتاحي ... و متحكيش لحد ، لحد ما نعرف
إيه اللي بيحصل ، و أنا هحاول أدور في الكتب القديمة
يمكن الاقي حاجة تنفع"

تستلقي على الفراش بتعب ، و قد خارت قواها من
بوحها بكل شئ : " طيب"
غلق الضوء يشيعيها بنظراته القلقة ، لم يستطع كبحها
: " نامي يا نور ، و بأذن الله خير "

يخرج عازما على إثبات براءتها أمام والده الذي منعه
بصعوبة من دخوله عليها و مواجهتها قبل قليل ، و
أقنعه بأنه هو من سيخرج منها أسرارها و يكشف
خبئته نواياها ، سيكتشف إن كانت بريئة أم مذنبه ،
يعلم أن والده يخاف على الواحة و سيحميها بروحه
إذا اقتضى الأمر ذلك ، لم ينسى كلماته التي كان
يشحنهم بها قبل معركتهم أمس ، كان قائد عظيم ،
رغم أنه يلتمس له العذر ، لكنه سيدافع عن نور
باستماتة سيسير خلف ذلك النابض حتى يعرف الحقيقة
، سيُسكت شكوك عقله ، و يصير محاميا في
محكمتهم التي نصبوها لها

ظلّ يتوارى خلف التلال يذهب و يجى ، اقترب هيثم
يزيحها صائحا : " سيف بتعمل إيه ؟ و إيه كل الكتب

دي ؟ "

انتفض يوقع كتاب من يديه ، يستغفر من مقالب

صديقه : " خضتني يا هيثم ، أنت مش هتبطل

الحركات دي ؟ "

ضحك على هيئته المرتعبة ، يزيح مقعد يقابل صديقه :

" بتعمل إيه ... ؟ "

أعاد بصره للكتاب يرد عليه بمنطقية : " هكون بعمل

إيه يعني ؟ بقرأ كتاب "

خطف منه الكتاب يقلب فيه : " سيف حسين يسيب

المستشفى في الوقت ده عشان شوية كتب تاريخ ؟

"

لم يكلف نفسه للاثفات إليه ، يجيبه : " عادي أنا

أجازة النهاردة "

ذام صاحبه يأرجح كرسيه مستمرا بمضايقته : " فسح

و إرشاد سياحي ، أجازات ، و سرحان مالك يا

صاحبي ؟ "

ألقى سيف نظرة سريعة عليه ، و أعاد عينيه يدسها

بين صفحات يتصنع القراءة ، يقول بنبرة خشنة تخفي

حرجه : " مالي ما أنا كويس أهو مفيش حاجة "

- "إيه أخبار نور ..خرجت من المستشفى و لا

لسه .. "

- "الحمد لله كويسة .. هتخرج النهاردة بأذن الله .. "

أوقف تآرجحه يحمق بسيف ، كأنه يريد الإبحار داخله

ليعرف أسرار ه : " هو إيه اللي دخلها المستشفى

أصلا ؟.. أقصد يعني إيه اللي حصلها ...؟ "

نبت حبات عرق على جبينه ، تتشتت مقلتاه بتهرب من

صديقه ، فلو رأها الآن لعلم خبيئته ، يبحث عن

الكلمات يوارى خلفها سر نور فخرجت متبعثرة : "

أصله... أصلها ... كانت تعبت ... شوية "

مال بجسده يسند ذقنه لراحة يده يدرس ملامح الآخر

كخبير ، يعلمه جيدا عندما يكذب : " أه .. قولتلي ...

أمال إيه اللي حصل إمبراح ؟ مين اللي خلص على

الصقر الأسود و القط و قتلهم بالطريقة دي ؟ "

قطرات عرقه أمطرت زخات على جبينه ، يشعر بأنه

حوصر بالزاوية و لن يستطع الفكك فاختبى بعبائة

الصمت....

ليشقتها هيثم بإصرار : " أنا شوفت كل اللي حصل
إمبارح يا صاحبي ... شوفتها و هي بطير ، هي دي
الساحرة هي دي اللي سرقت الكتاب صح يا
سيف ؟ "

عض الأخير شفتيه ، يدعو ربه بحدوث أي معجزة
تتقده من هذا الموقف

اقترب هيثم أكثر منه كمدقق ماهر ، أو شك على
استخراج معلومات من المجرم لكنه ليس متهما بل
صديقه الوحيد ، كيف يكذب عليه و يخبئ تلك الساحرة
اللعينة ، صاح به : "جوبني يا سيف ... مش صح
اللي أنا بقوله ؟ هي اللي أخذت الكتاب ؟ انطق ! "
اشتعلت عيناه يواجه ، يهز رأسه يؤكد بلسانه
مدافعا : " لا ... لا انت فاهم غلط .. هي مش
ساحرة .. "

- " امال ايه ؟ انطق "

- "هي اللي دفعت عنك و عني ... لولاها كنا متنا يا

هيثم .. هي اللي انقذت الكتاب ... اكيد هي مش من

العصابة اللي سرقت ... "

- " و ليه متقولش إنها حرامية تانية جية تسرق الكتاب

ده عشان تاخذ اللي اتين اللي اختفوا ... "

وقف سيف بثبات يواجهه في أرض محكمة التي

نصبها صديقه يعين نفسه قاضيا عليها يحكم

بأعدامها ، يدافع عنها بعبارات يروي قصتها العجيبة

منذ أن دخلت هنا إلى الآن يضيف جملا أخرى

لعلها تمس قلب صاحبه فيرأف بها و يكافئها

بالبراءة ...

لكن كل هذا لم يكفي هيثم لإصدار حكمه ، بل أدخله

لغرفة مداولة بين موازين العقل و القلب و بينهم

المنطق يشاورهم ، و هو بينهم وقع في بحر حيرة بين

شك يوخزه ، و ضميرا يحضه على العدل فقال له : "

أنا مش عارف أحكم دلوقتي ، و لحد ما اتأكد هتبقى

تحت عيني و عينك نرقبها كويس ..."

- "يعني مش هتقول للشيخ عبد العزيز ؟ "

- "لا مش هقول لجدي دلوقتي ، هأجل الموضوع لحد

ما اتأكد ، بس بردوا مش متأكد أن كانت صادقة أم

كذابة و بتكذب علينا خد بالك منها ... الله أعلم إيه اللي

هيحصل "

تنهد سيف بارتيج ، فصديقه طالما أعطاه كلمة فهو

قادر على الإيفاء بها ، نعم الرجل هو....

تفحص ملامحه بقلق ، يقرأ عليها علامات عاشق

مبتدأ على باب الحب يطرق فسأله

-: "إياك تكون حبيتها يا سيف !"

اهتزت مشاعره يتخبط بين عقله و قلبه الهائم بسحرها

ينفي سؤال صديقه : "لا ... لا طبعاً"

عاد يحذره : " أوعى تحبها .. لأن حبكم هيتحكم عليه

بالاعدام أنت عارف العادات اللي هنا مينفعلش

تتجوز من الأعراب لازم تكون من القبيلة "

أوما عدة مرات ، يكذب على قلبه قبل الأخير :

"متقلقش محبتهاش "

هل هو أحبها فعلاً ؟ أهذه النبضات المتسارعة تدق

لها ؟ أعقله الشارد بها يحبها ؟ هل ينكر ابتسامته

الهادئة التي يهديها لها عندما تطل بهيئتها

التائهة ؟ ...

هل هذا ما يسمى الحب ؟

كلمة صغيرة من حرفان ، لا تكفي لوصف رياح

مشاعره الهائجة

نفض رأسه يصيح بداخله إنه يتوهم فقط ، و كل هذا

لأنها وحيدة يريد الدفاع عنها ...متخذا من المروءة

حجة له ، فيستمر بالغوص في بحر عشقها و يشرب

حد الثمالة

أسئلة ليس لها إجابة تنقر رأسها نقرا ، تكاد تشق

عقلها من صداد أفتك بها ، جالت خطواتها بين

المكتبات ، توزع نظراتها على روايات و عقلها يفرز

المزيد

أين اختفت نور البارحة ؟ لماذا دخلت المشفى ؟ و

حينما عادت لشقتها لماذا بخل عليها حسين

بابتسامته البشوش و كلماته المرحة كعاداته ؟ فقط

اكتفى بكلمات مقتضبة كأنه يؤدي واجب مجبرا ؟

لم تتعجب من نظرات تفيدة الغاضبة بلا سبب ، فهي

امرأة خلق العبوس لها فقط

تأفتت تعيد تروس عقلها يفاضل بين عناوين الكتب

حتى وقعت عيناها عليها ...

"القصر الاسود" قفزت تطير فرحا تتناسى مشكلاتها

متعمدة ، تقلب بين صفحاته لتفرد شراعها ، تبحر

بسفينتها بين عباراتها ، تلك التي بحثت عنها كثيرا

بالأسواق و لم تجد ، عثرت عليها هنا متربعة وسط

الكثير من روايات الأخرى ...

مقلتها تطوفان بين الجمل تنهل من أرض الحكايات

تكاد تخرج من محجريها ، تودع عالمها المرير ، و

تلج بسفينتها بفقاعة متلألأة تحجب عنها الصور و

الأصوات ، كأن روحها انسلخت عن عالمنا ، حتى
إنها لم تشعر بدخوله و لا ندائه ... إنه طرق الطاولة
عدة مرات

فصاح : " أستاذة فرح "

انتفضت تغمض عيناها تبسمل و تحوقل ،
اعتذر يهديها ابتسامته الحرجة ، يدس أصابعه بين
خصلاته البنية : " أسف مكانش قصدي أخضك ...
بس أنا نديت عليكى كذا مرة ... بس مردتيش واضح
ان الرواية عجبك لدرجة انك محستيش اني دخلت
المكتبة "

شاب بشرتها حمرة خجل تجيبه : " معلى أصل ما
أخذتش بالي كنت مندمجة .. أهلا يا أستاذ هيثم "

رد لها السلام ، يجلس جوارها يسأل : " ايه الرواية

دي اللي خلتك تدمجي فيها كده "

اعطته إياها يقلبها بين يديه : " القصر الأسود للكاتبه

منى سلامة "

اومات برأسها ، فأعطاها لها يثني على

اختيارها : "اختيار موفق ... دي من أحسن الكاتبات

اللي بحب اقرأ لها ... "

ابتسمت له و حديثه يجر سؤال آخر تطرحه : " و

بتحب تقرأ لمين كمان ؟ "

أراح ظهره يسهب بكلامه كمن وجد شخص يشاطره ما

يحب ، يفك قيود حديثه يسترسل به بدون حد : "يووه

كتيبيير ... حنان لاشين ، و عمرو عبد الحميد ، احمد

خالد توفيق ... المهم تكون فانتازيا أو رعب "

عقدت جبينها تستفسر و قد احبت حوارهما : "اشمعنا

الفانتازيا و الرعب ؟ "

تتحنح يجيبها بلغة عربية فصحة :

" أنا لا يستهوني إلا تلك الروايات التي تثير الأدرنالين

بدماء ، تحبس الأنفاس ، تثبت حبات عرق على

الجبين ، تتسارع لها نبضات القلب ، تركض لاهثة

خلف الأحداث ، و تتسابق الأصابع لأخر ورقة لمعرفة

نهاية الرواية "

ضحكت تحجب بسمتها الخافتة بكفها : " غريبة مدرس

رياضيات و أرقام و معادلات .. يقرأ في الأدب و

الروايات "

استمر بلغته العربية يجيبها : " لا تتعجبي أنستي ، فلا

يجب على معلم الرياضيات الابتعاد عن الادب

فالرياضيات غذاء العقل ، و الأدب هوى الروح "

اطلقت ضحكة أخرى ، ليتأمل ملامحها المبتسمة كأنها
لم تمر عليها أي هم يعكر صفوها ...

توقفت تقول له : "بس إزاي عيشين حياتكوا هنا من
غير نت و لا أي حاجة كده و لا كتب البي دي اف "
ابتسم لها يشرح بفخر عن وطنه الصغير : "هو في
أجمل من إنك تفتحي الكتاب و تلمسي كلماته بأيدك و
تلمسي صفحه بأيدك و تحسبه إنه بيتتفس ، و هو في
أجمل من ريحة الكتاب الجديد لما تفتحيه ، أول رواية
ورقية تقرأيها و تحتفظي بيها تخطي بقلمك على
أجمل مقطع في الرواية ، و تحتفظي بيه في مكتبك ،
هنا في الواحة دفا اكثر في لمة اكثر ، هتلاقي الناس
أجمل لحظة في حياتهم لما يكونوا في بيتهم وسط
ولادهم أو وسط قرابهم مفيش حاجة بتفصلهم
عنهم ، و كلهم مندمجين و بييتكلمه مع بعض"

اعتدل في جلسته ، يقارن بين مدينتها وواحته ،
القاهرة الصاخبة ، و رغم ضوضاءها إلا أن الهاتف و
الإنترنت خلقا فقاعة جذابة يجذب بها الناس يحجب كل
شخص عن الآخر ، يخلق بينهم الحواجز و السدود ،
يفرق جماعتهم ، و يلوث العقول ... فتتهدم الأسرة و
من بعدها الوطن أجمع ...

أما الواحة ... لا يشغ سكانها عن أسرهم أي شئ ،
يعشقون السمر ليلا وسط حطب مشتعل ، يحاوطهم
بدفئ يتخلل القلوب يُقرب بينهم ، فيصبحون على قلب
رجلا واحد عند المصاعب ...

أوما ت برأسها تصدق كل كلمة قالها ، تعجب بحبه
لوطنه رغم تأخره عن الإنترنت ، و كل ما هو حديث ،
لكنه معه حق أن كانت تلك الأشياء لها فائدة .. لكنها

تفرقهم و تعيث في الأرض تلوث عقول الأطفال و

الشباب دون رادع ...

، لم ينتهي الحديث رغم شكوكه المتنامية اتجاه
صديقتها ، لكنه أحب الحديث مع شخص يقاسمه في

مجال لم يجد به صديق

بين كلمة و ابتسامة عُزلت خيوط مبهما

بينهم ... ترتفع بنسيج مميز ، فهل تستمر الخيوط في

التشابك ببعضها ، مكونة ثوب جميل أم تتقطع الحبال

بينهما

صراخ و نحيب أيدي تتشبث ببعضها كالغريق لكن

قبضته أقوى و أشد تجذبها تفرقهما عن بعضهما

قالت بين دموعها المتساقطة : " عملتي إيه

نورين ؟ ... إيه اللي حصل...؟ "

شهقت تعض شفيتها لا تعلم بما تجيبها ، أتحي لها

عن دماء تناثرت عليها تلوث وجهها و ثوبها ؟... "

مسحت ريم عبراتها المتهاففة : " طب هقول لعمي

المرمي في المستشفى

إيه ؟... انطقي عملتي إيه ؟ "

فك أصابعها القابضة لذراع نورين بعنف يقطب جبينه

يصرخ بها بصرامة : "سيبيها "

راقبت زملائه يقلبون كل الاثاث ، يسقطونه ، يفتشون

بينهم عن شئ لا تعلمه ، التفتت إليه و مازالت زخات

حزنها تمطر تسيل على وجنتيها : " طب قولي وخذنها

ليه ..؟ "

- "أختك متهمة في جريمة قتل "

كلمات وقعت عليها كدلو مليئ بثلج في برد شتاء ،

جحظت عينيها ، تصيح بصدمة تملكها : " قتل يا

نورين ... قتل ...

"

ركضت ريم خلفها تعقد حاجبيها ، تسأل : " عملتي إيه

انطقي ؟ "

هزت الأخرى رأسها بهسترية ، تقول : " و الله ما

عملت حاجة ... صدقيني يا ريم معملتش حاجة "

مسحت رأسها بتيه ، تهبط على درجات السلم تحاول

اللاحاق بهم ، كادت أن تقع لولا تشبثها بسور السلم :

" طب هقول أبوكي العيان إيه ؟ ... أقوله بنتك أخذها

البوليس ؟ ... "

تمسكت نورين بالحائط تحاول مجاراة خطواتهم
السريعة ، تقطع كلماتها ، تتوسلها بعينيها قبل لسانها
بأحرف استقتت من بكائها تكاد أن تختفي وسطه : "
أوعي يا ريم .. بالله عليكى ما تقولي له حاجة ..
هيروح فيها ..."

اشتدت قبضة العسكري على مرفقها يجبرها على
صعود سيارة الشرطة كسرا ، لتلجها متأوهة تشيع
الأخيرة بنظرات مستجدية ،

فتجيبها بأخرى تائهة

أمسكت ريم رأسها يزوغ بصرها بين صورة صديقها
التي تبتعد عنها تدريجيا ، و بيت جاد الله الذي باتت
فيه البارحة بعد أن أوصل والدها عمها للمشفى ...
ماذا ستفعل الآن ؟ كيف تتصرف تشعر بأن عقلها شل
و نسي كيف يفكر ، تنظر لأعين الناس حولها ، تكاد

تثقبها و ألسنتهم التي تغمغم بكلمات عليها ، ركضت
تقفز على السلم تحتمي بجدران المنزل منهم ...
تهرول للهاتف تضغط على الأزرار و بعد رنين أجابها
فتقول بين شهقاتها العالية : "أحقتي يا بابا ... نورين
"

كلماتها تخبطت بكائها و شهقاته فلم يفهم منها شئ ،
لكن قلبه انتفض يركض تاركا أخيه في غرفة
العمليات ، ليذهب إلى ابنته ريم

الفصل الثامن عشر

ومضات دافئة تتخلل فتحة صغيرة ، تتلاحق على
جسدها البارد الشاحب تحاول اختراقها لكن ثلج
وهي تعالی على بعضه يحيط بها يمنع ذلك ،
دماءها هجرتها ، تخافضت نبضاتها ، وها هي تُنقل
بسيارة الموتى تقاد إلى قبره ، لتسكن بين الظلام
مبتورة الأهل ، لولا تلك دمعة الشحيحة التي تسالت
من أجفانها تثبت بقاءها على قيد الحياة ، أو توديع
الحياة ، شهقت تسرق أكسجين من هواء بخل عليها ،

و عقلها يزيد من عذاباتها يسأل:

(ماذا سيفعل ان عرف بما حدث ؟ هل سيصدقهم ، بل

هل سيبقى حيا ان علم ، ان ابنته الوحيدة تقاد إلى

الحبس وسط المجرمات و القاتلات)

مسحت دمعها لتفيض مقلتها بأخرى ...

تسمع ضحكاتهم و همساتهم: " الآن

أدارت الدنيا وجهها القاسي لكى ، تحط عليك بمصائب

أكثر تحكم الخناق عليك ، تطئ بقدميها على قلبك

الرقيق تدهق روحه باستمتاع ،.. كل هذا لأنك لم

تنصتي إلينا..."

أطلقت زفرة حارقة ، تسد أذنيها عن همساتهم

السامة ، ألن تتخلص من وساوسها بعد

كادت تختنق ووقت مكانها تستجدي بعض

الأنفاس تنتزعها بصعوبة من نافذة سيارة

الشرطة

توقفت السيارة فجأة ، تهوى أرضا ،

يقبض على مرفقها يوقفها يجرها خلفه كالنعاج ... لم

تقاومه ، لم تصرخ ، استسلمت تساق لمصيرها ..

تدخل القسم ، و عيناها تدوران حولها بخوف ، تلمح

وجها تبارت عليه الطعنات و الجروح ،

تسارعت نبضاتها أكثر ، تشيح ببصرها ليحط على آخر

سكنته اللامباله ، مر جانبها تقهقرت مبتعدة عنه ،

تراقب ابتعاده عنها

أقبل عليها ثالث مكفهر الوجه ، قابض الجبين عابس

الفاه ، تنقبض له القلوب ..

ازداد قرع قلبها فزعا ، تحيط ذاتها بذراعها تنشد
الأمان ، كطفلة ضلت الطريق تسير بين قاتلين

ابتسم لها شاب يظهر أسنانه الصفراء ، يزكمها
بأنفاسه الكريهة يدنو منها هامسا : " ألااا القمورة
جاية في أيه ؟ "

انكشيت على ذاتها تبتعد عنه ... تراقبه يقترب أكثر ،
يتفحصها بعيناه بطريقة تبت بجسدها قشعريرة
باردة ...

على صوت عسكري جانبها يزجره :

" ما تقف عدل يا راجل أنت و ارجع مكانك لاحسن
احبسك مع أبوك "

اتبع عبارته بدفعه إلي الحائط ، جذبها العسكري تقف
جانبه ، لكن ساقاها استسلمت تنهار على الأرض

الباردة ، تطوق ذاتها بيدها ، تتلفت حولها بحدقتين
مرتعتين ، تبحث عن شرنقتها لتعود إليها مكتفية
بذاتها ، لم شقتها ؟ لم نزلت من بيتها و غادرت أمانه
تعمل ؟... لم تحملت زجر مديرها ؟ ياليتها ما فعلت
ياليتها قضت حياتها تحيط بها الوحدة و يوارىها الظلام
عن الجميع

يراقب لفاتاتها المرتعبة ، اختلاجاتها الخائفة ، أنين
بكائها الخافت ، حبات عرقها المتلألأة على جبينها ،
كل هذا يدفعه لاحتضانها و طمئنتها أن كل شئ بخير ،

...

هبط إليها يوءد رغبته بضمها ، يهمس بخفوت ،
يخشى ارعابها أكثر : " نورة .. متقلقيش...."
لم تفته تلك الانتفاضة و شهقة الخوف لما استدارت
له ، خطان دموعها تحولا لشلالات ...

شهقاتها احتالت لبكاء... تهمس : " و الله ما عملت
حاجة ... "

شهيق خاطف قاطعها ، تتم بكلمات تبعثرت وسط
بكائها : " والله ... ما ... قتلته صدقني ... يا حامد ...
خليهم يصدقوني

طب قولي إني بحلم "

تمسح دموعها كطفلة تتوسله بمقلتيها الخائفة ، كأنها
وجدت أمانها تستصرخه ، تتحنح يتهد لعله يهدأ
ذلك النابض بجنون الذي يريد الهرب من قفصه ليهفو
إليها ... اقترب منها أكثر يعيد تركيز عقله الذي شنته
بهيئتها الخائفة ، أنهما في وضع صعب وجب عليه
التفكير للخلاص منه ، لا ينكر رعبه مما سيحدث ، هو
لم يرتكب شئ مثلها ، لا يعلم من الذي وشى بهما ؟
لكن عليه التصرف ...

تتهد يلقي إليها بحبل أمل يعلم أنه متأكد ، لكنه متمسك

به : " نورين ركزي معايا لما تدخلني جوا قولي إنك

كنت معايا و إن إحنا سمعنا طلق النار ... بعد كده

دخلنا الأوضة لقيناه ميت ... و أنا هشهد بكده ...

نورين اجمدي كده .. أنا عارف الموضوع صعب و

كبير .. بس ربنا معانا ، و إن شاء الله هنخرج منها

على خير ... "

أومات تتمسك بحبله، رغم ضعفه ، تغمغم بالموافقة ،

تمسح عبراتها...

- " قتلته ياحامد ... تضحك عليا و تشتغل عنده .. و

تقتله .. "

عض شفته السفلى ، يغمض عيناه ، ما يخشى حدوثه

وقع لقد علمت بكل شئ ... انحنت تتشبث بتلابيبه ...

تهزه بعنف ، تقول بنبرة متحشجة ، توشك على

البكاء : " تقولي أنك اشتغلت في ورشة ميكانيكي ..

و أنت بتشتغل عنده في المطعم ...كنت عايز ايه ؟ ..

تتنقم منه "

امسك يدها يحاول ابعادها : " يا أمي والله ما قتلته..

صدقيني... "

حررت دمعاتها تنوح : " ضيعت نفسك و ضيعتنا معاك

.. مش كفاية أختك اللي اختفت .. رايح تقتله "

انحنت رأسها تغمغم بكلمات لم يتبينها ، أوقفها برفق

يستأذن من عسكري القاىض على مرفقه .. فتركه

ينئي بوالدته قليلا ...

تأملته يقف جانب السيدة ، يحرك يده بعشوائية ،
يحاول التربيت على كتفها فتدفعها ... تستمر
بنحيبها...

اقتربت بأذنها منهما تحاول التقاط أي شئ ، تفهم
منه ... ألغاز ألقته والدته عليها ...

لكن أوقفها العسكري يقول لها بجمود : " يلا وكيل
النيابة عايزك ... "

ولجت معه خائفة مما سيحدث

.....

يأرجح كرسيه على مهل ، ينسج شباكه الخفية
بتوعدة حول فريسته المرتعشة يراها تعصر أصابعها
عصرا كأنها ستكسرهما ، ليزيد ابتسامته انتشاء فنسج

المزيد يسألها : "رغم ان كل العمال إجازة اليوم ده ،

روحتي ليه .."

لم تجب فصاغ سؤاله بطريقة أخرى : "

كنت بتعملي إيه هناك وقت حدوث الجريمة ؟ "

تلعثت كلماتها تجيبه : "... كنت ... كنت بطلب سلفة

....عشان بابا احتاج يعمل عملية قلب ... اتصلت

بيه ... وروحت "

دنى منها ، كما تقترب العنكبوت من فريستها

، يزيد من التفاف خيوط اسئلته حولها ليقيد حركتها ،

لم يزح بنظره عنها يتفرس ملامحها يتوغل تأثير

كلماته عليها:

" امم يعني روحتي تطلبي منه فلوس فرفض ،

فاشتركتي مع حامد في قتل ذكريا "

عصرت قبضتيها أكثر ، تثبت قطرات كثيره على
جبينها تحرق بوكيل نيابة خوفا ، تهتف بكلمات
متقطعة : " لا ... و ليه نعمل كده .. إحنا كنا هناك
بنشتغل في صالة المطعم و سمعنا .. سمعنا صوت
.. ضرب نار ... جرينا أنا و حامد .. نشوف في إيه ...
فوجئنا بيه مقتول ... و ليه نعمل كده ؟ ... مفيش ..
مفيش دافع "

لم يرق قلبه لارتعاشها و لا دموعها الحبيسة بمسجنها
، فمثلها الكثير يجلس أمامه يدمع عيناه و يقسم بأنه
برئ ، و هو قاتل كبير ، تتحجج ، يعقد حاجبيه ، يراقب
عينها الزائغة ، يحاول لف حبال أكثر حولها : "
بتسألني على الدافع .. طيب أقولك .. حامد يبقى ابن أخو
القتيل ... ذكريا ملوش أولاد يعني هو و أخواته الورثة

الشرعين ليه (له) و أنتِ كمان عندك دافع المال

فاشتركته مع بعض و قتلته ... "

فرغ فاهها تجحظ عينها من هول ما سمعت ... تشعر

بأحدهم ألقاها في مسبح بارد ، تلجم الصدمة

لسانها ...

عمه .. كيف يكون عمه و هو يعمل عنده تحت

امرته ؟ ... كيف عمه و كان يعامله بجفاء كأنه عبد

عنده ؟ .. تلك القرابة ستودي بهما لحبل

المشنقة ،

دار حولها يقترب منها مشهرا أنيابه لتجفل ترتعد

أكثر ، ترجع للوراء بظهرها ، أحكم الرباط حول

رقبتها ، يخنقها بكلماته لعلها تلفظ باعترفها ، مثل

المرات السابقة يمارس لعبته المفضلة ، فيقتنص
معلوماته التي أراد بسهولة ، و يظفر بفريسته ، لذلك
أُطلق عليه العنكبوت ، قال لها : " دي جريمة قتل و
في دافع و ليها تخطيط ... استغلّيتوا عطل الكاميرات ،
و إجازة العمال .. و رحته تقتلوه .. بس فتكوا حاجة
بسيطة كاميرات المحل اللي جنبكوا جابت صورتكوا و
أنتوا بتهربوا .. ده غير بصامتكوا هناك ..."

ارتعشت كورقة تتقاذفها الرياح ، تسمع طنين علا
يغطي على صوته فجأة ... ثناقلت رأسها ... مثلما
ثناقلت كلماتها ودموعها تسيل بحسرة كأنها ترى حبل
المشئقة يتأرجح أمامها : " والله معملتش....

حاجة ... أنا مقتلتوش "

- : "لسه بتتكري كل حاجة ثابتة عليكوا ... اعترفي

أحسن و تبقي شاهد ملك "

لم تستطع اتهامه بشئ ، فخافها يدق هاتفا ببراءته و
مروؤته معها ، فضلت الصمت ، تتمزق حشرات
تواسيها عبراتها السائلة ...

كقاضي ظالم أطلق حكمه يقتلها برصاصته ... : " لسه
بردو مش عايزة تعترفي ؟ اكتب يا بني استمرت
المتهمة بالانكار و قررنا نحن حبسها على ذمة القضية
أربعة ايام ... "

سقط رأسها على مكتبه تحيط بها العتمة من كل صوب
، تختطفها من واقع أليم لم تتحمله.....

توالت الساعات تصير يوم يجر يوم آخر ، نورين و
حامد صاروا خلف القضبان الحديدية ، و نور مازالت
تدافع عن كتابها يساعدها سيف و هيثم الذي يراقبها
عن كئيب ، و يحفظا سرها عن عبد العزيز أما

فرح تزداد غضبها على صديقتها تشعر باخفائها لسر

كبير ، و كلما اقترحت عليها الهرب من حسين و

أولاده ، تجيبها بالرفض و إنها تشعر بأمان هنا

"اغبيا... مشغل معايا اغبيا مش عارفين يجيبوا حتة

كتاب "

يقفون أمامه كالتلاميذ منحني الرأس لا ينبسون بكلمة

واحدة ، الصمت يحاوطهم ، عدا صبي لم يتعدى

التاسعة عشر ، اقترب يعترض : " يا زعيم إحنا حولنا

كذا مرة ، بس هي كانت ..."

امسك تلايبه يرجّه بعنف ، يقربه من وجه المشتغل

بحمرة غضب : "هي ... حتة بنت غريبة ضعيفة تعمل

فيكوا كده ، تموت اتنين و ترجعلي الكل باصابات ليه ؟

"

صاح بكلمته الأخيرة يقذف به ، فيهوى الصبي متكورا

إلى الحائط

اعترض اخر يبلغه : " البنت دي يا زعيم ... "

زمجر امامه يستفهم : "مالها ؟"

روى له ما فعله تلك الفتاة كيف ترتفع بالهواء و

تصنع بيدها أسهم ضوئية ، كيف تتكور على ذاتها

فتحيطها هالة كهربية ، من اقترب منها صعق

التمعت عيناه ، تجحظ ، تلتقط أذنه كل كلمة... ، ينني

عنه صديد غضبه تعمل تروسه قائلا : " البنت دي لازم

تتجاب ، و أنا اللي هجبها بنفسي "

ترمي كتابها بعنف ، يجاور أخيه ، و كتاب آخر ، حتى
تعالى مرتفعة كالجبال تخفيها عن العالم ، ألقت بثقلها
على مقعد ، نعم هي تفرغ غضبها بهم ،

تعرف نور ككف يدها حينما يشغلها شئ ، أو يلم بها
حزن كبير ، تتفوق على ذاتها تشيد جمودا كحصن
يحميها تتوارى خلفه ، تعتق الهدوء مذهبها ، تحجم
ثرثراتها داخلها ، تنزوي لركن التائهين الساكنين
فتشتت عيناها مثلهم ، تطير روحها منفصلة عن العالم
كأنها في كون آخر و هي معك

شرعت صفحات الكتاب تكاد تمزقه ، تقلب صفحاته و
عيناها تطوف حول السطور و الأحرف ، تحاول أن
تبعد عقلها عن محور صديقتها ...

و في خضم صراعها مع الكتب ، تنأى لمسامعها
همهمات اقتربت من باب المكتبة تختفي خلف احد

الخرائن ، تراهم يتسللون حاملين معهم صندوق مطعم
بنقوش يغلقون عليهم أبوابها

توقفوا عند صورة متربعة وسط بهو المكتبة كالمك ،
انها كصور فرعونية نقش عليها رسم كبير لشخص
زي لحية طويلة و لكن اختلفت هيئته و ملابسه عن
ملاح فراعنة

دنت بخطوات خفيفة لا تُسمع ...

تتابع انشقاق الصورة نصفان ، تتزلزل الأرض تحتها
يفترق الجزءان يقسما الصورة نصفان مبتعدان عن
بعضهما ... فيتجلى أمامهم غرفة تضيئها نار بغثة دون
أن يمسها أحد ...

هموا بالدخول ... لكن صوت تكسر زجاج منعهم ...
الأرض تناثرت عليها شفراته الحادة اللامعه ، تحط
عليها أقدامهم فتفتفتها أكثر و يتضاعف عددها

صاح هيثم بهولاء الذين اقتحموا عليهم المكتبة
محظمين نوافذها : " أنتوا مين ؟ عايزين إيه منا ؟"
تقدم رجل منهم يبدو زعيمهم وقال : " إحنا عايزين
الكتاب اللي معاكوا فسلموه بالذوق أحسن ، إحنا مش
عايزين نأديكوا "

عقدت الفتاة القصيرة حاجبها تتقدم منهم بتحفز ، و
عيناها تشتعل حماسة : "مش هنسلمك الكتاب وورينا
هتعمل إيه ؟ "

ابتسم الرجل يفرقع يديه بتسلية : "افتكروا إن إحنا
حذرناكوا "

و أشار لرجالہ خارجا عن طوقا اصطفوا به ،
يضيقونه عليهم
.....

ارتعدت تسرع الخطى لأحد الخزائن تدلفها ، و تغلقها
عليها تكتم أنفاسها الهائلة ... تهتز أكتافها رعبا مع
كل زمجرة و زئير و مواء يطلقونه ... ازدادت
الأصوات ترتج لها الغرفة ، فيزيد من اختلاج فرائصها
، تقسم بأن قلبها يكاد يتوقف من فرط سرعة
نبضاته

عم صمت مخيف بالأرجاء ، ما عادت تسمع شئ ،
سحبت بعض الأكسجين ، تملئ به رئتيها تهدأ نبضات
خافقها ... تفتح فتحة صغيرة ...

رأت الشمس تودعها بأخر شعاعا لها ، و صقر بني
راقدا على كومة كتب كثيرة ... تصدر منه آناات خافته

كأنه يحتضر ، و قط أبيض يقف بتحفز أمامه ، يوزع
نظراته حوله مترقبا لخطى ثلاث قطط ...

و سيف و إياد يقفان وسط دائرة رسمها قطان
يبتسمون بمكر يقطر من بسمااتهم ، عيونهم تلتمع
بانتصار

سمعت القط الأبيض ، يقول بنبرة أنثوية لكنها
استأثرت بقوة عظيمة : "اصمد يا هيثم ... هخرجك
من هنا متقلقش"

أجابها الصقر الضخم ... : " اهربى أنتِ يا نيرة و
خدي معاكي الكتاب"

التفتت له تجيبه بعناد : " لا مش هسيبك هنخرج كلنا
مع بعض ... فاضل دقايق و سيف و إياد هيتحولوا ..
اجمد يا وحش ..."

ابتسم منقاره بضعف لكن اجفلوا لذلك الصقر ، الذي
ثقب سقف المكتبة الزجاجي ليتناثر حبيباته على
هيثم ، تخذشه بعضها فيأن بوجع

هبط ، يركض نحوه ...سريعا ما ربط نابضها ان
الصقر البني هو هيثم ، تتناسى ضعفها ، جسدها
الصغير الواهن ، فقط انتفض القابع بين اضلعها يضح
المزيد من الدماء ينشرها بكل مكان ، فاندفعت قدميها
تسبق الريح ، تتخلى عن مخبأها تقف أمامه تصرخ
بأسمه : " هيثم ... هيثمحاسب "

لا تعلم ماذا دهاها ، عقلها الآن مغيب ، فقط قلبها

يحركها

التمعت عينا الصقر الأسود أكثر ، يغير مسار نظراته
يترصد فريسته الجديدة ، يدنو منها يلتقطها بمنقاره

فتتلوى بين فكيه تصرخ : "سيبني ... بقولك

سيبني..."

أشار زعيمه له ، يركض نحوه يلقيها بين يديه ...

طوق فرح بذراع و أخرى حملت خنجر يشهره

نحوها...

نهض هيثم يتحامل على ألامه ، يقبض مستندا على

حفنة الكتب ، يحمل ثقله عليها ، يراها تصرخ بين

يدي هذا الوغد ، عيناها تستجد به هو ، كغزال رقيق

وقع بين يدي صائد محترف و هاه هو الآن سيذبحه

أمام عيناه عض شفتيه ، و داخله يشتعل يريد دفعه

عنها

صاح الزعيم : "أدوني الكتاب و إلا هقتلها "

ازدادت مقاومتها تنادي عليه ، يترقرق الدمع بمقلتيها

تراجع القطط يفسحون الطريق لزعيمهم يقترب من

الأخوان يعيد تهديده

دنى سيف منه ، يرفع يده باستسلام يهادنه : "سيبها و

انا هديهولك "

عقد الرجل حاجبيه يغرز خنجره أكثر ، يكاد يشق

وشاحها يثقب رقبتها ، فتزداد ابتسامته انتشاء و هو

يترقب خوف خصمه : "مش هسيبها إلا لما تجيب

الكتاب "

ازدردت ريقها و عيناها ترصد نصله ، فيتعالى الخوف

لعبا على أوتار قلبها ، يكاد يمزقه

أمسك سيف خصلات شعره بتوتر مستمرا برجاءه :

"سيبها هي ملهاش ذنب و انا هديك الكتاب "

- : "شكك عايزني اقتلها"

- اتبع جملته يثقب رقبتها ، فينبثق خط دامي يتسلل
بدفئ مؤلم لها ، يلوث بياض حجابها ... فتصرخ
متقهقرة برأسها للوراء ... تقفز عبراتها من محبسها
وقف هيثم يدنو من فرح بخطوات ثقيلة يحارب أوجاع
جسده ... يحاول طمئننتها : "متقلقيش يافرح"
التفت إليه يكمل متوسلا له : " سيبها الكتاب هناك ...
سيف هات الكتاب "

ركض إلى صندوق بجوار الغرفة السرية ... يفتحه ،
يحمل الكتاب ، يقترب من زعيمهم بحذر يردف :
"سيبها و اديهولك "

ازداد نصل قطع بلحمها ، فتدفق مزيد من القطرات و
تزداد صرخاتها مع كلماته : " بقولك هات الكتاب
حلا و إلا هتقرأ عليها الفتحة "

توزعت نظرات سيف على أصدقاءه بحيرة و خوف
فأومأوا له ...

اخترقت أذنها صراخ تألفه جيدا ، إنها صديقتها ...
انبثق الشيخ من العدم ، تتسابق كلماته : " اسرعي
نور ... صديقتك بورطة ... و زورستور بأيديهم"
ولج فقاعة ضوئية لتلحق به سريعا

دخلت المكتبة تنصت لصراخاتها فتركض اتجاهها تراها
مرتعدة بين يدي رجل يضحك بخبث ، يغرز نصل
برقبته يكاد يفرغ دماغها

صرخت باسمها تشتعل وشومها قبل عيناها بارجواني
مشع ، تقول بصوت قوي : " فرح سيب فرح
بقولك"

ازداد المكر يتلأأ بعينه ، يتمتم بخفوت سمعته

صديقتها : " أخيرا ظهرتي ... "

ارتفع صوت الزعيم يهدد : " لا مش هسيبها

ابعدى ... "

ازدادت توهج عيناها تطفو في الهواء ، تفصل بيدها

شئ وهمي ، لينبثق من الارض سدا عالي يفصل بينه

و بين حبيبتها ... تتقدم نحو فرح ، تضمها تربت

بيدها على كتفها ، الأخرى ترمقها بتعجب استحوذ

على عقلها ، لا تصدق ما حدث ؟ ...

ركض الزعيم يخطف زورستور الملقى على الأرض ،

فبسطت نور يدها في الهواء ليحيط به هالة ، قبضت

يدها تقربها من صدرها فيقترب زورستور ، تتشبث

به تقذفه نحو سيف .. فتحلفت حوله مزيدا من القطط ،

ترمقه بنظرات متحفزة ، تقترب بخطوات هادئة تحكم
الحصار عليه...

ترقب السماء من سقف المكتبة الزجاجي ... مازال
القمر عاصيا لم يصعد بعد عليه مماطلتهم قليلا ...
قذفه نحو أخيه الذي ركض محتما خلف نيرة -القطعة
البيضاء -فتزجر كأسد يدافع عنه بحماية تقول : " لو
حد قرب هنا هكله باسناني "

انضمت لها نور تحيط بيدها هالتين مشعان ، ترميهم
بنظرات محذرة ، لكنهم لم ييأسوا و قفز اثنان منهم ،
فتحولت هالتيها لدرعان تبعدهم عنها بجل قوتها ...

أما نيرة غرزت أنيابها بأحدهم ، نبشت الأخر بمخالبها
و لكن خصمها تفادها ، مخترقا سدهما المنيع يقفز
على إياد ، يشرف عليه وجهه قريب منه بل أنيابه
تلتمع تحت ضوء المكتبة تراجع بوجه ، يحتضن

الكتاب أكثر يدعي الله ، بأن يهدي ذلك العاصي ليزرع
متربعا على عرشه يبت قواه داخلهما ...

استجاب الله لدعائه ليعتلي البدر عرشه لم يتخلى عن
ثوبه الفضي ... فتعاضم جسده تحت وطأة عدوه لكنه لم
يتمكن من الخلاص منه

،تضخمت عضلات سيف... استطالت أسنانه ، يقفز
برشاقة على ذلك القط يخلص أخيه من ثقله ...

فيركض إيد خارج المكتبة قابض على الكتاب بأنيايه ،
تهرول خلفه القط يحيطون به في دائرة كبيرة ...

أطلق عواءه يستغيث بأخيه... فلبى نداءه يقفز يتقدم
منه لكنه لم يستطع اختراق حصارهمالتفت سيف

خلفه ... وجدها ترتفع بالهواء تطلق كفان كبيران
يدنوان من طوقهم المنيع تفرقهم كالدمى تحلق أمام

أخيه مهددة إياهم : " اللي هيقرب خطوة يقول على

نفسه يارحمن يا رحيم "

تراجعوا للوراء بحذر ، و ظلت مقلهم معلقة بها

تخشاها ...

أتت نيرة تأخذ الكتاب من إياد تهرب به ... لكن دفعها

جسد قط قوي ، يرتطم جسدها بالحائط ، تسقط مغمضة

العينان ...

فتلتقطه الذئبة الحمراء بأنيابها ... تجري نحو نور ،

التي أحدثت فرجة بكرتها الضوئية ، لتخرقها

عنود ... تسد الفتحة تشد وهجها من جديد

اقترب الزعيم يخرج كتاب آخر ... تتقلب صفحاته

وحدها ، يتلو عبارات تضيئ له ، فيخرج منه شعاع

يحاول اختراق حصنها ... تراجع قليلا للوراء لكنها

تشبثت بأرض وهمية تدفع كرتها و تزيد شعاع

عينها ...

لكن شعاعه أقوى تشققت هالتها و كثرت بها الأخاديد..

فصمدت أمامه ، رغم ذلك تحطمت كرتها متكسرة

تتلاشى بلهواء ، ليسقط جسدها ارضا...

دنا منها الزعيم ينحني : " إحنا الاتنين زي بعض ...

عايزين الكتاب ... اديهوني ... و هعلمك أصل

القوة ... معايا هتبقى أقوى و الكل تحت رجلكي

خيفين منك ... "

اختلفى شعاع عيناها لكن طاقة وشومها متوهجة أجابته

بقوة تعاند موقفها الآن : " لا أنا عمري ما هبقى

زيك ... و هفضل ادافع عن الكتاب ده ... "

قهقهه تصدح صوت ضحكاته عاليا : " أنت مش

زي... عمرك ما سألتني نفسك ليه اتحولتي لما

لمستي الكتاب ؟ ... أنتِ ساحرة من نسل

ساحرة... تعالوا يا ناس شوفوا الساحرة اللي سرقت

كتابكوا زورستور ، و هدمر الواحة "

استتدت نور بمرفقها ، تقف ترمقه باندهاش ماذا

يقصد ؟

ارتفع صوته ، ليحتشد أهل الواحة ، منهم ذئاب ، و

منهم لم يتحول لهيئته و بينهم أغراب ، يحيطون بها

يتبادلون نظارتهم بحيرة

فصاح الزعيم: أعرفكم ... نور جاد الله ... ساحرة

نادها الكتاب فاتحولت ... بصوا اداكوا وشووم و

خطوط ... سحر دمرت بيه مكتبكم كتاب ... زورستور

بأيديها "

ثقبها الجميع يتفحصونها بنظرات تكاد تقتلها...

وشوم مضيئة تتحدى عتمة جلبابها تتوهج ، كتاب
تتشبث به يدها ...

أكمل كشيطان يوسوس : " ساحرة شريرة ... خباها
عنده كبير القبيلة حسين و بيدافع عنها ولاد الكبار ...
دول كبار الواحة ... بيدفعوا عنها و يحموها
و هما اللي هيدمروكم ... "

أشعل بكلماته عود ثقاب لتشتعل واحتمهم و تحاصر
نور السنة غضبهم من كل جانب ، فتشتعل فتنة كبيرة
تلتهم اخضر و اليايس

خبث طاقة نور ، و خفتت الوشوم .. لتتخلى عنها
ساقياها و تهوى .. هل هي ساحرة فعلا ...؟

تقدمت تفيدة تزيح أجسادهم تحشر نفسها تصل إلى
مركز تجمعهم ، عقدت حاجبيها بمكر تسكب بنزين
تزيد نيرانهم : " ايوا هي ساحرة كافرة سحرت ابني و
ابوه ... هما ملهمش زنب ... اللعينة دي هي السبب
هي اللي سحرتهم و سيطرت عليهم "

اختلج قلب الفتاة المسكينة تتسارع نبضاته بآلم ...
ترى مقلهم كرصاصات تخترفها ، توقفت أنظارها على
فرح صديقة دربها .. إنها ترسل لها نظرات مبهمة أول
مرة لا تفهمها ... هل هي خوف أم تعجب ؟ هل
صدقتم ؟

ارتفعت طرقات قلبها تتشبث به ، توزع نظرات خائفة
عليهم تراهم يقتربون منها كأنها ، ضحية العيد كثر
جزاريها ، يجلدونها بهمهماتهم ، فتخفض هامتها تأن
وجعا و كسرة و خوف لمصير الموت ...

ترا سيف يقف أمامها يحوم حولها بهيئته الذئبية
يزمجر: " إياك حد يقرب منها ، نور دي هي اللي
انقذت اخر كتاب هي اللي انقذتني انا وهيتم "
لم تستمع لباقي حديثه بل اسلمت نفسها لخطر سلب
عقلها ينقذها من مصيرها

قفزت الذئاب تكاد تلتقطها ، و لكن أبناء كبار الواحة
وقفوا حولها ...

ليشق الجمع الغفير آبائهم ، وقف عبد العزيز يقول : "
كل واحد يرجع مكانه "

ثار واحد من أهل الواحة: " أنتوا عايزين تدمروا
بلدنا ... و بتحموا واحدة زي دي و تسمحو لها بتدمير
الواحة... "

تعالت الهمهمات خلفه معترضة و منها المتسألة ...

دق الشيخ مبروك الأرض بعصاه يقول بحزم : "

صمت ... "

أُجمت ألسنتهم فلم ينبس أحد بحرف ، فأكبر زعمائهم

يتحدث ...

وجه الشيخ حديثه لسيف : " مين دي ، يا سيف "

روى له كل شئ ، لم يترك زاوية واحدة ألا و أزاح له

الستار عنها ... وهو يسلم أذناه يستمع له

فقطعه عبد العزيز : " البت دي لازم تموت ... عشان

نمنع الأذى عن أهل الواحة "

أشار مبروك له فصمت اقترب من الفتاة ينحني لها

يتفحص وشومها ... انتصب معتدلا ، يصدر حكمه : "

البت دي لازم تتعالج .. سيف أشرف على علاجها و

ترقبها كويس "

تعالى الهممات و من بينهم عبد العزيز عاقد الجبين
يعترض ، لكن طرق مبروك الأرض ثانيةً : " قولى
البنى هتعالج لحد ما نفهم فى ايه ... و لحد كده
محدث يقرب منها ومفيش كلام بعد كلامى "

انكسوا رؤوسهم منحانى الهامة احتراماً له ، ليغادر
الحشد ، يصحب هيبته معه حيث تسير جواره أينما حل

...

حملت نيرة جسد نور الرقيق ، تنظر لذئاب أمامها التى
تجز على أسنانها ، تلجم غضبها بصعوبة تفسح لها
الطريق كسراً ... تبتم لهم بنصر و قوة ، و من
خلفها سار أصدقائها يحيطونها بحماية يتلفتون حولهم
بترقب متحفزين لأي حركة تصدر منهم

الفصل التاسع عشر

خطان عبرات انسابت على وجنتيها غير مصدقة ،

أنها ساحرة ... تلك القوى و البأس من السحر ، هل

يركض بعروقتها دماء ساحرات لعينات؟

دارت عيناها على خطوط يدها الخافتة ، هي لا تريدها

لن تكون منهملن تهدم واحتمهم ، ودت فقط أن

تعود تلك الفتاة العادية الواهنة ، وسط أبيها و أختها
تحتمي بدفئهم ، تبني حصنها من أحضانهم ، لا تكون
حصنا لأحد ، لا تود أن تصير فتاة خارقة تحميهم ،

ازدادت شهقاتها الباكية

- " اهدأي يا نور"

و كأن كلماته زادتها بكاء و نحيب ، ارتبكت وسطها
عباراتها : " انزع عني تلك القوة لا أريد شئ
لن اكون مثلهم"

ردد قوله بصوت أعلى : " اهدأي نور "

ثقبته بعيناها تقول : " لمَ لم تخبرني أن هذه الدماء
للساحرات ؟... لمَ لم تقل لي أن الكتاب كتاب سحر...؟.
اجبني ! "

صاح بها الشيخ لأول مرة : " اهدأي و اسمعني جيدا "

ثبتت مقلتيها عليه صامته ، تنتظر ما سيقول ليستطرد

قوله : " أنتِ لستِ مثلهم ... لكن "

قطعته تمسح دموعها : " لكن أنا ماذا ؟ ... اجبني

الآن ؟ "

- "دماء توليارا تجري بعروقتك ... لست منهم ... "

- " دماء توليارا ! "

- " نعم توليارا بلد زورستور و أحجاره ... "

تاقت عيناها في بحار الغازه ، أنه لا يتوانى عن
القاءها أمامها لتطيح بتعقلها و تهمّ بسؤاله ، ...

لكنه لم يصبر عليها بل أكمل : " في ماضي أملاك

الانسان قوى كامنة داخله ليستخدمها و يعمر بها

الأرض ، و يعبد الواحد القهار ، لكنه تجبر و بغى ،

فسد عبثا بالكون و الطبيعة ، فغضبت عليه ، و سُلبت

منه قواه لكن تلك البلدة ظلت القوى تسري
بدماءها مشتعلة ... و عند وصولنا لعام الثلاثين
نصاب بضعف القلب ، منهم من يموت و منهم من
ينتظر أجله "

صمت يلتقط أنفاسه يدنو منها ، يأخذها في متاهات
شردت بها أكثر متعجبة " احترار أطباؤها في هذا
المرض حتى توصلوا لأحجار ، و كان أول من اكتشفها
جدهم زورستور ... هو من اكتشف احجار الكريمة ...
بأنواعها فتجذب الاحجار للانسان ، طبقا لشخصيته و
قواه الكامنة ، و عندما يتلمس حجره ينير و يطلق
العنان لقواه المقيدة به ... كانوا يستخدموها في
الزراعة و الصيد و باقي أعمالهم يعمرن و يبنون و
يشيدون ، فكونوا أعظم الحضارات و سرجون
كان من توليها ، لكن جذبه السحر كمغناطيس كجده

زورستور ، سار خلف كتاب ألفه جده ، ليعتق مذهبه

، و يمارس أقوى أنواع السحر ، سحر جده

زورستور ... و مع الوقت تجبر سرجون ، فاراد

زعماء البلدة إجماعه عن هذا بالنصح و العنف و

القوى ، لكنه كان أقوى تملص من بين أيديهم هاربا

لمصر ... و مع الوقت ازدادت تعاويذه فسادا أصبح

أقوى من جده ، لكن نهايته كانت مثل زورستور"

توقف يراقب تأثير قوله عليها ، فاهها مشدوه ، عيناها

تحملق به لم ترمش مرة واحدة ... فتابع : " أسود

حجره من شره و أحرقه بنيران ، فمات محترق

القلب ، متلاشي الجسد لم يبقى من جثته سوى هذا

الحجر "

أشار إلى قلبها لتذهب أنظارها له : " هذا هو حجره

الجمشت ... شابي هو من ألصقه بكتابه .. و حماه

لأحفاده التي تناسلت منه ، شابي هو من حرر ابنته و
زوجته من براثن ملك مصر ، فتحررت و تناسل منها
الكثير ، منهم من مات بضعف القلب لابتعاده عن
الحجر إلا أنتِ نور ، أنتِ المختارة لردع هذا الدمار ،
لهذا سافتكى الأقدار لها ، و وضعت رسالتك بين يديك
فهل ستؤديها أم تتخلي عنها ..."

نشئت عيناها بتيه أكبر تسأل : " يعني ان قواي ليست
سحر بل من هذا الحجر الذي تلمسته من كتاب
زورستور "

أوما لها بهدوء ، فأكملت : " تقصد أنني لست بساحرة
... و لا يركض بدمائي سحر "

- " نعم أنتِ لست بساحرة ، و لكن ابنة سرجون
الساحر ، وزوجته الساحرة "

تتهد قليلا ... يبتعد مستندا على عصاه ... يسهب
بشرحه أكثر : " قواى السحر لا تورث بل تُكتسب و
تُعلم ، لكن قوى الأحجار تورث ، السحر يهدم ، يبت
الفتن بالأوطان ، يفرق بين المرء و زوجته ... خيره
قليل ، و شره أكبر لهذا حُرْم على قرية (توليارا) ، و
أنت بريئة من تهمة ذلك الساحر ... أنتِ القريبة
الغريبة من نسل تلك الواحة فجدتك منها ... أنتِ
القوى و الضوء ، قوى جمشت النقية تمنحك سحر
تشكيل الضوء ... انتِ الجوهرة المفقودة ... جوهرة
جمشت اخترقت قلبك تنقذه من ضعفه ... و وُشمت به
فلا تتخلى عن قواكي لكي لا يفقد جمشت قواه و ينتهي
... حافظي على نسل توليارا وورثيه لأولادك فأنتِ من
الجيل توليارا الأخير "

تلاشت هيئته مخلفة عنها أضواء بيضاء تطير
كفراشات ، تخرق حجر جمشت القابع بين أضلعها ،
فيضئ الجوهر ، يتوهج بلون أرجواني بديع ، تتسرب
إليها كلماته الأخيرة بعروقتها : "ها هي رسالتك
وضحت أمامك ، و أنتِ عليك الاختيار ، هل تتركها و
تتخلي عنها أم تكلمي ما بدأتي و تنقذي الواحة و
أهلها من هذا الساحر ؟ .. اختاري نور "

طرق حذاء زميلته نبهه بخروجها ، تنهد يعيد نظراته
إلى جسدها الواهن ، يحتضنه ملأه بيضاء تتوجها
كملاك برئ ينام بوداعة ، مستسلم لكل شئ ، إلى أين
ذهبت تائهته ؟ لا يعلم أن كانت روحها تطوف بغرفة أم
تهفو بعوالم أخرى ...؟

تسللت أصابعه تسلك الدرب لكفها البارد ، لكنه أجهض
محاولتها يقبض عليها بالجرم المشهود ، ينهارها ،
يقاوم رغبته في اختطافها و حمايتها بين أضلعه بعيدا
عن طلقات أعينهم القاتلة ، و طعنات كلماتهم ...
يقولون عنها ساحرة نعم هي ساحرة سحرت قلبه
بدمعائها الحزينة ، بعيناها التائهة ، برفرفات أجنحتها
تطير بهما كفراشة بريئة ،

بل هي محاربة لا بل فتاة خارقة اخترقت عالمهم تدافع
عنهم ، ترشق أعدائها بأسهم مقاتلة قوية ، فيرتدون
موتى في الحال كما ارتد قتيلا لعشقتها

.....

عشق أيجبها لا هو واهم ...

فتجيبه دمة عزيزة انسلت بين جفنيه ، تسيل على
وجنته تهبط بأمان تتخلل يدها ... تصرخ بحبه لها

تفضح خوفه عليها ... يتذكر نبضاته التي تسارعت مع

كل ضربة توجهت لها ... كيف نسي قلبه خفقاته و

توقفت ، لما أغلقت أهدابها مستسلمة للظلام

نعم تسرب حبها يتخلل بين ثناياه يجري بدمائه ،

يخترق خافقه و يدق لها عشقا ، لها فقط ...

نعم يحبها ، لكن هل يحكم على قلبه بالموت ، هل

عشقه لها سام يخدر أطرافه باستكائة ، حتى تتفصل

روحه ، تسرقها منه ، و يكون مصيره مع زوجة لا

يحبها كأبيه الذي أحب غريبة تركها مذعنا للعادات

....

عقد حاجبيه عازما يقسم بأن لا يكون محارب مهزوما

في أرض عشقها بل سيقاقل لأخر دقة ، لأخر شهقة

تستجدي الهواء ، لأخر ذرة أكسجين تلج رئتيه تحارب

للحياة ...

سيظل سيفه مشهرا أمام التقاليد ... لن ينسحب مطأطأ
الرأس خاضعا لهم ... لن يغمد سيفه كوالده ، الذي
تحولت حياته لجحيم يتفشى بها العراكات بينه هو و
زوجته تنغص حياة أولاده ... حتى بات يكره البيت و
المكوث به ...

سيقاتل بسلاحه للنهاية ... لكن هل هي تحبه
مثله ؟ ... هل يدق نابضها بجنون له ... أم ... ؟
التفت إليها يحملق بها ، يريد التغلغل داخلها يلج
لنابضها يكشف عن ذاك المتربع في قلعتها
قبض يديه بأصرار أبيضت له مفاصله ، يعزم أن
يحارب قلبها أن احتكم الامر ، ليخترق أسواره ،
فتعلمه ملك على عرشها ، فهو سيف لا يترك معاركه
أبدا ، و هي معركة حياته

دنى من رأسها يتمم : " بحبك و هتحبيني بخاطرك أو
غصب عنك ... "

نهض مقاوما أمواج مشاعره الهائجة المتلاطمة على
شاطئها يدعي الله أن يسدد خطاه فيما نواى

.....

صدحت تمتماته تتردد بأركانها ، يتصاعد صداها و
يعلو متكررا ، كأنه يلتفتها عشقه يقحمه بداخلها ..
تعجبت من كلمات ، أنه صوت تألفه جيدا ، صاحت : "
مين مين اللي بيكلم "

أجابها الشيخ : " انه سيف ... "

غمغت بلهجة مصرية سهوى لسانها عنها : " لكن ليه
بيقول كده ؟ "

- "لانه يحبك فهل أنتِ تحبيه ؟"

سألته بهير غليفية متقنة : " لكن ... م... "

- " معاذ أليس كذلك ...؟ "

شابها القلق تسأله : " أين هو ؟ هل هو حي أم ميت ؟

"

ركن للصمت فترجته الإجابة : " اجبني أرجوك "

- " تعالي معي لكي تعرفي مكانه ؟ "

.....

ماسات تناثرت على سجاد معتم ، أناره لؤلؤة ضخمة

نافستهم ضي و اشراقا ...

قاطع تأمله يدا امتدت له تقول صاحبتها : " الشاي "

تناوله منها ، تجلس جواره ، تتحنث تسأله : "ممكن

اسألك سؤال "

ارتشف رشفة يستدير لها يهديها ابتسامته التي يقرع
قلبها أجراس عشقه لها ، فسألت : " مين نور دي
اللي كنت بتخترف بأسمها لما... ؟ "

أعاد بصره للقمر يتذكر كيف كانت أنفاسه تحتضر ...
هلاوس جوعه و عطشه التي عبثت في عقله ، ليرى
كلبهم ذئب يتشممه ، ظن انه سيموت بين أنيابه و هذه
ستكون نهايته ، لكنه أفاق بعد فترة لا يعرف مدتها ...
رأها تقف جوار أبيها ترتدي جلباب واسع مزركش ،
تمد يدها بحليب ، يتناوله والدها منه ، يبلى شفثيه ...

ابتسم للذكرى

- " معاذ أنت روحت فين ؟ "

سألته بلكنتها المصرية المتقطعة التي يعشقها ،
فأجابها : " نور دي زميلتي في البعثة ... كنت بنادي

عليها عشان كانت معايا و ابتلعتها الرمال .. شايل
ذنبها لحد دلوقتي مش عارف هي ماتت و لا لا ... "

نكس رأسه بحزن لتربت على قلبه ، لكن غلبتها غيرة
أنثى تتأكد من حب عشيقها : " يعني زميلة بس... "

التفت إليها يبتسم لشرارة غيرتها التي تلالأت
بمقلتها : " أيوا زميلة بس كنت بعاملها زي اختي "

اتسعت ابتسامته يغير موضوع : " فاكرة لما كنت
بنادي عليكى ... بحاول أكلمك "

ضحكت بخفوت تداري أسنانها البيضاء ، تومئ
له : " اخوي جري وراك بسلاحه و كنت هتموت
فيها ... مسبكش (لم يتركك) غير لما قولت
هتجوزها "

تمتم يشكسها : " و اتورطت ... "

لتمسك تلابيبه ، تدير رأسه لها : " نعم أنا ورطة "

تلاعب حاجبيه ، يهمس مستمتعا بمشاكستها : "و

أحلى ورطة حصلت في حياتي"

ابتسمت تتذكر كيف طلبها للزواج ، تحت تهديد السلاح

... و أول حروف عشق تمتت بها شفتاه بعد زواجهم

، وهي التي توهمت أنه تزوجها جبرا ، لكنه وقع

صريع عشقها

نكست رأسها ... اخته ... اخته فقط

تحسست وجيب قلبها الهادئ ، تسأله أين تلك النبضات

المتسارعة للقاءه ؟ أين نيران التي تنهش القلوب .. و

تسمى غيرة ؟ ... لماذا تشعر بخواء ؟ ... كتلة من ثلج

احتلت مكان نابضها ... ؟

أين بيت أحلامها التي شيدته حجرا حجرا ؟ ... هل كان

قشا أطارته رياح خفيفة ليتبدد في الهواء.... ؟

أشار الشيخ بسبابته يوضح مصيره أكثر : " أنه لم

يخترق الواحة ، بل تزوج من إحدى القبائل البدوية

التي انقذته "

لم تهتم بقوله ، فمازالت غارقة في حيرتها ،

اختطفها الشيخ يعيدها لحجرتها المظلمة ، ينتشلها من

بحر حيرتها : " لم يكن حبا ... و بيت أحلامك تهدم

مع هبوب الرياح ... كل ما برأسك كان وهما ركضتي

خلفه .. لكي تحققي أمنية الفارس الأبيض "

اغرورقت عيناها بدمع ، تطأ رأسها لمداراة ضعفها

عنه ، تبكي ذاتها التي فلتت لجامها كمهر يهرول

يسبق الريح للوصول إلي أحلامه ، غير مدركة أنها

سراب ، و ما هي إلا رمال تسحبها و تبتلعها بين

طياتها ...

ربت على كتفها يقول : " لا تبكي يا نور و أعديه

درسا ، تتعلمي منه أن تلجمي أحلامك ، أن توصدي

قلعة قلبك إلى حين ، ألا تشيدي أحلامك على أساس

هش ، و مع أي هزة أو رياح يُهدم ، و أن لا تعطي

مقاليد قلعتك إلا لمن يستحق "

رفعت رأسها ترمقه و دمعها يترقرق بجفنيها يكاد

يسيل ، فأردف : " سيف هذا الذي يعترف بحبه لكي ،

لا تمنحي مقاليد قلبك له ، إلا عندما يثبت حبه المزعوم

، أعلم أن القلب ليس بيدنا ، لكن ضعي الحدود بينكما

حتى ينتصر في حروبه و يعلن للجميع عن حبه لك ، و

يأتون مباركين لكي عن زواجكما ، وقتها يقتحم

حصون قلبك كمحارب قوي لا عاشق سري ...ضعي

حدود فاصلة ، تقهقري قليلا... حتى يقول القدر كلمته

"

خطوات متلصصة خائفة ، لفتات حذرة مترقبة ، و
عرق يتصبب على جبين مرتعب لما سيفعل أصحابه ،
تسللوا يتوغلون أكثر بالمبنى حتى وصلوا للحجرة
المنشودة ،

دخلها إثنان و وقف أحدهم على بابها حارسا لهم
يترصد حركات المارين ، بترقب

دلفا بحذر ، يتقدم واحد منهما يفصل الأجهزة عن
جسدها ، يزيح ذلك الخرطوم عنها ، فيجذب فراشها

الأخر متوجها للباب ، يعيد قناعه يتأكد من إحكام

معطف الأطباء حوله يوارى بها خبيثته ...

فيفتح صديقه الباب يفسح له الطريق ...

و يتعاونان على سحبها للخارج ...

جذب أنظاره غرفتها يشتاق الوقوف على بابها ،

ينتظرها ترفرف أجفانها و تعود لعيناها لمعة

الحياة ... و كأنها اخترقت الباب تتجلى بفراشها

أمامه ... ازدادت دهشته يراقب ثلاثة رجال مقناعين

مختبئين بمعطفهم البيضاء يجروها للخارج ...

دنى منهم يسألهم : " أنتوا وخذنها فين ؟ "

ألقى الصمت رداءه عليهم ... فألجم لسانهم

كرر سؤاله فداهمه أحدهم يدفع الفراش يوقع سيف

أرضا و يركضوا بالسرير باتجاه آخر ...

ركض خلفهم فتبادلوا النظرات يتمتمون بشئ ، تتوقف

خطواتهم ينظرون له بتحفز ...

هم سيف بالقفز على أحدهم ، لكن ناوره بمهارة يطرق

رأسه بسلاحه ، فيسقط سيف تسيل منه الدماء ، حمله

على كتفه ، لحق بصاحبيه يركض خلفهما إلى الخارج

.....

.....

ضجة و عراك و سباب يتقاذف هنا و هناك ، و أيدي

تتشابك متنازعة ...

أطلت من نافذتها ترى ما يحدث ، تشهق بارتعاب ،

تقفز على درجات السلم ، إنها رأت شقيقها الصغير

وسط العراق ، وقفت أمامهم ، تهم بتلبس هيئتها
القطية ، لكن باغتها أحدهم بضربة على رأسها ، تقع
نيرة مدرجة بالدماء

.....

سار بتوعدة يركل أحجار ، تتابع متخبطة ببعضها ،
لم ينتبه دخوله لممر ضيق خلا من الناس قفز أمامه
أحدهم ، يتمسك بخنجر يأرجحه بين يديه ...
هو يعرفه جيدا إنه من الغرباء ، دار هيثم حوله و
تخلى عن فكرة تحوله ، ليكبله شخصا آخر من الخلف
فيتلوى مقاوما ، بضع ثواني و انتشرت ذرات مخدر
تسرب من محرمة سدت أنفه ، تسري بجميع أجزاء
جسده ليصيبها بأرتخاء معلنة الاستسلام ...

فيهوى هيثم بين ذراعي خاطفه ، تثاقل جسده عليه ،

يجرجه الشاب ، يحتك ساقى هيثم يرسم بهما خطان

طوليان

.....

جذبه يكتم أنفاسه بمخدر ، يتماسك أمام اختلاج

جسده .. حتى تسرب الخدر بعروقه يقيد أطرافه ،

فيسحبه الظلام لعالمه

، و يسقط إِياد بين أيديهم

لقد اختارت و انتهى الأمر ، حسمت امرها

فمهما كان ما ستواجه قويا ، ستستعين بالله ، و

ستخوض غمار رحلتها للنهاية ،

أصوات و همهمات علت حولها تجذب أذنها لعالم

الواقع ، ضوء قوي أزعج عيناها التي لم تعد

الضوء

شرعت مقلتها تطوف بينهم بهلع ... خناجر كثيرة

تحاوطها كأنهم سيجهزون عليها و يقتلونها...

فازدادت وتيرة أنفاسها ، يقفز قلبها هلعا ، يريد كأنه

سيتحرر من قفصها الصدري و يهرب متخليا عنها

.....

الفصل العشرون

ضوء قمر شاحب تسلل يخترق فرجة صغيرة ، يلج

بخطوات خفيفة ، يسقط على أنصالهم ، يتمايل كراقص

يترنح يشرب حد الثمالة ، ارتد إليها يتأرجح على

وجهها يجذبها للواقع ، تضغط أجفانها تقاومه
باستماتة ، علت الهمسات من حولها ، تتضافر معه
على إيقاظها حتى اخرجوها من غفوتها،
تدور مقلتيها بالمكان سيوف و خناجر ، التفت حولها
تحاصرها تضيق تنفسها ، صدرها يعلو و يهبط ،
رئتاها تستجديان الهواء ، و قلب يختض خائفا يريد
التخلص من محبسه يهرب منها

انتزعت شهيقا تحاول يائسة السيطرة على أنفاسها
الهاربة ، تزفر على مهل تتنبه أنهم لم يعوا لأفاقتها ،
بل جل تركيزهم ذهب مع شخص آخر ... تنقل
بصرها ترى هاماتهم مطأطأة بوهن ، مقيدي الأيدي و
الأقدام يصدرون أنات خافتة بالكاد تسمعها
أبناء زعماء الواحة من سلسلهم بهذه الطريقة

اشاحت وجهها لجانب آخر ، أناس يلتفون حول شئ ما
، أسنتهم تردد معا كلمات تقسم أنها فرعونية لكن لم
تفقه منها شئ ، ضيقت عينها تحاول معرفة ما
هايته ، لتتسع حدقتهاها بذهول تلك البئر القديمة ،
لكنها مشيدة تضيء نقوشها بتوهج ، يثير الرعب
بقلبها أكثر ،

من أصلح البئر ؟ هل عادت للماضي أم ماذا؟

لا أنهم يرتدون عبائتهم و ملابس الواحة ، لا أقمشة

كتان بيضاء ، إذن ماذا حدث ؟

صدح صوت أحدهم يجلجل بلغة فرعونية

- "يجب أن تراق الدماء ، لكي تعمل

التعويذة ... استولوا على جمشت شقوا جيدها ،

اخرجوا جوهرة الجمشت هيا"

عبارات ضاعفت دقات قلبها ، ليس رعبا بل طاقة
صار يضخها بدمائها ، تسري بين خلاياها تتخللها
تُشربها قوتها انتفض جسدها يرتج كمن مسه تيار
كهربائي ، ترتسم به وشومها تتشابك و تفترق ترتفع
متحدة معا تتوهج ، اقتربوا منها ، ينتبهون ليقظتها ،
يقيدون أطرافها ، لكن انتفاضة أخرى منها ، تُكور كرة
صغيرة تطفو عند نابضها تنمو بغمضة عين ، تبتلعها
داخلها تقدفهم مبتعدين عنها

اعتلت الهواء ، تحيط بها هالتها الأرجوانية عيناها
تشع ضي متلألاً ، تصبغ نبرتها بقوة تنفض بها
وهنها ، تهددهم بذات اللهجة التي سمعتها : " لن
يقدر أحد على الاقتراب مني أو المساس بحجر

الجمشت"

أجسامهم ملقى حولها يتأوهون بتعب ...

سار يجتازهم بقدميه يقترب منها

ترفع بصرها تضيق حدقتها ، تشهق تستعيد

ذكراه ، إنه هو الرجل الأربيعي الذي أشعل الفتنة بين

أهل الواحة و فر هاربا مستغلا نظراتهم لها

لكنه حليق الشعر تطوقه تمائم كثيرة ، و جلبابه تبدل

بأخر كأن سرجون يقف أمامها بجبروته ، يعيد تحولهم

ثانية

ترتفع زاوية فمه بسخرية ، يهمس و مازال يعتقد

الهيرغليفية لهجتا : " أخيرا عدت للحياة أيتها الساحرة

، نحن هنا في انتظارك"

- "لست بساحرة بل أنت الساحر اللعين الذي يدمر

الواحة "

اتسعت ابتسامته ، يشير لأهل الواحة الذين يقفون
قبالته ، يردف بمصرية : " أهى الساحرة اللي هدمر
بلدكم ، صحيت ... و أنتوا في أيديكم الحكم ... و أنا
عليا التنفيذ ... تحكموا عليها بأيه ؟ "

تلاحمت أصواتهم تعلو : " نقتلها نقتلها "
حلقت تدنو منهم ، أجسادهم شاحبة مترنحة ، مقل
جاحظة ، و ملامح نسيت تعابير كلها ، عدا الجمود
تتخذ منه قناع يقفون به كالتماثيل ...

حط ببصره عليها : " هاه يا نور هتستلمي و
تسلمي نفسك و تديني الجمشت و لا لا "

قطبت حاجبيها بعناد : " لا مش هتلمس الحجر ده إلا
على جثتي "

أطلق ضحكات المجلجلة : " يبقي أنتِ اللي

اختارتي "

همس بألفاظ عجيبة ، ينبثق كتابان من العدم ، كل

واحد يدنو من الآخر تتعانق الأغلفة، تلتصق أطرافها

محدثة ومضة مشعة أعمت الأبصار

صاح : ""كتاب زورستور التأم ببعضه ... لم يبقي إلا

الحجر لأكمل ما بدأت "

بكلمات قالها اقتربت منها ذئاب تحوم حولها تطوقها

بمدار وهمي يقفزون يحاولون اسقاطها ، إلا أنها

تملصت منهم بمهارة ترتقي أكثر و مازالت تحيطها

هالتها

قبضت يدها على شئ وهمي ، تنتطلق كفوف كثيرة من

كفاها تحلق بسرعة صاروخ ، تحيط بذئاب تحكم

قبضاتها عليهم ، تقيد حركاتهم

لم يستسلم الساحر ، تقلبت صفحات زورستور تحلق

بالهواء تشع عبارات ، لم يتوانى عن ترديدها ...

فداهمها صقور يهجمون عليها يدكون فقاعتها

بمناقيرهم ، ينشأون شقوق و أخاديد تكاد تتهشم

صاحت ترفع يدها عاليا تهبطها للأسفل ، تهوى مع

كرتها تدحرج بأرض المعبد...

أشار لقطه تثب أمامها تلتمع عيناها بتحدي

اشتدت معركتها و هي تسد هجماتهم ، بقواها هي

وحدها بساحة القتال ، تتبادل بذلات الفرسان تصطف

بجميع الجبهات تقف بميمنة جيشها تناورهم و

تتفاداهم ، تذهب للميسرة تدافع و تهاجم ، تثبت بقلب

المعركة تتصدى لهجماتهم تكون جيش بمفردها

فقط ...

إلى أن وقعت خائرة القوى ، لاهثة الأنفاس ، تطرق

مسامعها ضحكاته الشامتة ، يسأل : " هاه

استسلمتي ... ؟ "

لم تعد في حياتها على الانهزام ، و رفع الراية

البيضاء ، لن تتقهقر للوراء لن تتنازل عن إرثها و

تسلمه له على طبق من فضة ، ليعيث في الواحة

فسادا و من بعدها مصر

همست بنبرة اصبغتها قوة : " لا مش هستسلم ، مش

هديك ورثي ورث اجدادي...."

- " طيب دخلها يبني يمكن تغير رأيها ... "

ظهر هيثم و نيرة ... التفتت تنظر إلى مكان تقيدهم

فلم تجد سوى ماساتهم بين يدي رجل من أتباع

الساحر

قبضوا على ذراعي فتاة ترتعش خوفا ... دنوا من

نور أكثر ، انها صديقة عمرها فرح ، تكتم شهقاتها

بكفيها و دموعها تسيل كسيول تغرق وجنتيها ، ترسل

لها نظرات تستصرخها ، ترجوها الخلاص مما هي فيه

....

تراهم مثل أهل الواحة ، سحر أعينهم ، يحركهم

كعرائس الميرونيت بين أصابعه ...

"خلصوا عليها "

تضاعفت نبضات بين أضلعها رعبا على رفيقة دربها ،

عواء تنأهى لمسامعها ، يثب قبالتها تراقبه بفراءه

الأبيض ، يلحق شفثيه يستعد لوجبته ...

صرخت به : " لا متقتلهاش يا سيف ... "

قفز يشرف على فرح بجسده ، ينهش ذراعها يخترق

لحمها فتخور منه الدماء ،

طارت بالهواء تصيح بأعلى صوتها : " ابعء عنها "

تتشكل بين يديها صخر ، تتعازم تتطلق كنيزك مشتعل

متجه لجسده

يندفع سيف مصطدما باءء الجءران

ارتءت نيرة هيئة قطة البيضاء ، ترمجر بغضب ،

فتزداء فرح ارتعاءا ، انحسرت دماءها ، تغمض

عيناها باستسلام ، لكنها شعرت بأنها تحولت لريشة

تحملها الرياح ، شرعت أءءابها ترى نفسها تطفو

بالهواء تحيظها فقاعة ، تراقب جسد رفيقتها المسجى
على الأرض و يدها المبسوطة في الهواء

أحست فرح باصطدام شئ بها فتخبطت داخلها ، ترى
هيثم يحط على كرتها بمخالب أقدامه يود تكسيرها لكن
تقاظرت شحنات كهربية بالفقاعة ، أوقعته منتفضا
يختض من الألم

اختفت الهالة التي تطوقها ، تهوى بلاط المعبد بجوار
هيثم ، اعتدلت تستند على مرفقيها تراقب تتأقل أجفان
صديقتها ، و يدها الملتصقة برأسها ، و الثانية
تحتضن وجيبها ...

اختنقت نور تشعر بذراع قوي تعتصر عنقها ، تكاد
تزهق روحها ، بالكاد ترى الساحر قريب منها يهمس
بفحيح أفعى : "لسه مش عايزة تستسلمي ، أهم
اصحابك بعوكي ، و كانوا هيقتلوا صديقتك الوحيدة

لسه بردوا عايضة تدافعي عن أهل الواحة اللي عايزين

يقتلوكي ؟ "

افترش جسدها الأرض بوهن ، هي من تحارب وحيدة

على جبتها لا أحد جانبها ، لقد سلب عقولهم جميعا ...

أما هي فسينتهي الأمر بها تحت الثرى

كأنه قرأ ما يجول بخاطرها ، يستطرد : "استسلمي و

اديني الحجر أخرجك من الواحة أنتِ و فرح ترجعوا

لأهلكوا"

حسنا فلتتوقف الآن ، تمنحه إرثها مقابل العودة

لحياتها الطبيعية

وهنت خفقاتها ، تتناقل الأحرف بين شفتاها : "أنا

استسلمت ... "

اصدر خافقها انتفاضات مؤلمة يدق قفصها الصدري
كأنه سيشقه ، فاشتدت قبضتها عليه...

اقترب الساحر منها أكثر ، يربع ساقاه ، يرتل عبارات
من زورستور ، فيختض جسدها يرتعد برعشات
متتالية ، تصرخ بألم يقطع نياط القلوب ، و مازالت
يدها تتشبث بنابضها المرتعد ..

خف وزن الرجل يطفو بالهواء ، و كأنه يجلس على
بساط خفي ، فيتخفف جسدها يحلق عاليا معه ، و
تنبثق يد من العدم تخترق قفصها ، تشهق كمن
يحتضر و يلفظ أنفاسه الأخيرة ... تنتزع الكف
جوهرة الجمشت منها تمنحها لرجل ، يضعها بسلساله
يضحك بانتصار تهوى هي مسلوبة القوى ...

تصرخ صديقتها تضمها لصدرها ، تصيح بأسمها ، و
عيناها تسكب زخات من الدمع ، فتربت نور على يدها
بوهن تحاول طمئنتها

تشوش عقله يصدح به صياح بأسمها (نور) ترفرف
أجفانه و صداع شديد يجتاح رأسه ، دارت عينه حوله
يرى جسدها شاحب كالأموات ، تُسرق أنفاسها و
كأنها في النزع الأخير ، تحيطها صديقتها تتحب
لأجلهااندفع نحوها مقاوما دوار يلفه ، تسبقه

نبضاته للوصول إليها

اقترب منها يجثو جوارها بهيئته الذئبية ، يناديها بقلق
لعب على أوتار نبضه حتى قطعها ، يغرق في بحر من
تساؤلاته أكثر : " نور ... يا نور ايه اللي حصل ...

نور "

تخرج صوتها يقاتل ضعفها : " القلادة

القلادة .. "

تلمس قلادته ، لم يجدها بحث عنها ، ليعثر عليها
وسط أخواتها بين قبضتي أحدهم ركض يدفعه
بقائمه ... يختطفهم من بين يديه يعطيها لهيثم و نيرة
و أخيه ... يطوق السلسال رقبتة مدفوعا بقوى خفية ،
عاد لها فهمست بوهن : "با....با يا...

سيف... قوله ... "

هل هي تملي وصيتها و ستموت و تتركه ؟ انه لا
يشعر بدقات خافقه ، يشعر انها هربت مع انفاسها
الهاربة ، يخشى فقدتها ، اقترب أكثر منها يريد
انقاذها ، ادخالها بين أضلعه لكي يحميها من هذا العالم
، لكنه لم يقدر على فعل شئ ، تأوهت بخفوت تقطع
عبارتها : "قوله اني بحبه...بحبه أوي ... و خلي بالك

منه هو و نورين يا سيف حاول ترجع فرح

ل....لاهلها ...احمي الواحةاحمي "

قاطعها صوت الساحر يأمرهم : " -اقتلوها "

تفوقعت على ذاتها كالقرفصاء ، يضم ذراعيها ذاتها ،

تحاول بث أمان وهمي لنفسها ، تشيد حولها حاجز

وهي تنني به عن مضايقتهن ، مسافة صغيرة سمحن

لها بأخذها لكن بمقابل ، إنها لم تنسى أول يوم وطئت

قدمها المكان ...

فتاة ترتجف تتكمش على ذاتها ، تتلفت حولها بأعياء ،

تنتفض عند لمسة أحدهن لها ، تذكرت كيف تكاثرن

عليها ليحتفلن باستقبالها (كأي مستجدة تدخل

(السجن)

كادوا يعتدين عليها بالضرب ، فمُنحتهن سلسالها
الذهبي و ساعتها الغالية ...

أكرموها بأربعة أيام يبتعدن عنها فيها بعد ذلك ، سيقم
حفلة من الضرب و الركل و اللكم ، يحتفين بها حق
الاحتفاء ...

دعت ربها أن تستيقظ من هذا الكابوس ، و أن يرحمها
فيما هي فيه ، مازالت تردد دعاء يونس "لا إله إلا
أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"

لا يجف لسانها منه و عن الدعاء لوالدها
جفت عبراتها ، و مازال نابضها يبكي من هم ألم به ،
لكن ربها أكبر ، و أعظم ، تثق بأنه سيزيله ، و
يعوضها خيرا ...

تحمد ربها أن ريم طمئنتها عليه في آخر زيارة لها ،
أخبرتها أنه خرج من غرفة العمليات ، و هو بألف خير
، صرحت لها أنها أخفت الحقيقة عن ابيها ، و
تحجبت بمرض أصابها لكنه لم يقتنع و ظل يسأل
عنها

- "نورين جاد الله "

ردت على العسكري الذي نادها تنهض قبالتة
يطوق يدها بأصفاذ ، يسير جوارها لغرفة وكيل
النيابة ، تلج يخلصها من قيودها ، تقف بجانب شريكها
في تهمة لم يرتكبها هي متأكدة من ذلك ، أنه صامت
يلفه حزن و غموض ، وجهه شاحب يبدو عليه
الأعياء

- "انتوا الاتنين انكرتوا جريمة القتل اللي حصلت يوم

الخميس الساعة ١٠ "

انتبها له يومأن بصمت

دار بمقعده يشبك كفوفه ، يقول لهما : " النهاردة
ظهرت أدلة جديدة في القضية ، و شهود كمان"
ضغط على جرس ما ، ليدخل عسكري يصطحب شاب
في أول العشرينات ، يتقدم من مكتبه ، يجلس
قبالته

- "فريد سليم ... شاهد جديد عندنا في القضية ...

اتفضل يا فريد قول اللي عندك ..."

هز رأسه موافقا يتلو بشهادته ، و أعينها معلقة به ،
منتبه لما يلقيه من كلمات : " أنا بشتغل في محل
موبيلات بس ده في الشارع اللي ورا المطعم ... يعني
شباك المكتب بتاع المطعم ... جنب المحل ... المهم
كنت قاعد برا ... لمحت حد بيجري حاطت كامامة على

وشه اتخبط فيا وقع منه مسدس ارتبك و اخدوا

بسرعة و مشي "

اشار وكيل النيابة لحامد يقوله : " هو ده ... "

- "لا يا باشا الثاني أطول منه ... و أضخم ... و عنده

وحمة سودة على جبينه"

شكره الضابط بإيماء له ، يسمح له بالانصراف ، ضغط

على زر آخر ، ليدخل طفل لا يتعدى الخامسة عشر

عاما ، يقترب من المحقق بوجل

- " متخفش يا فادي قول اللي عندك ... متخفش إحنا

هنحميك "

لم يتحدث بل عبث بجيوب بنطاله يخرج الهاتف يريه

للمحقق

وجه الهاتف لهما ، لتتسع اعينهم على (شخص يوجه
مسدسه على نافذة مكتب ذكريا و يطلق النار ، و يفر
هاربا لكنه يقع و يسقط منه سلاحه ، فيستدرك أمره
سريعا يلتقطه ، و يطلق لقدميه الريح)

أعاد الفيديو ، ليشاهدا تلك العلامة التي تحدث عنها
الشاهد الأول

انفرجت اساريهما ، يستوضحان بصوت واحد : "
يعني إحنا كده براءة ؟ "

أهداهما المحقق ابتسامة هادئة ، يؤكد فرحتهما : "
ايوا براءة "

تأرجحت دمعات الفرحة على وجنتاها ، تسجد شكرا
لله ،

أملا كلماته على الكاتب و وقعا على الورق ، يركضان
من الغرفة ، بل من القسم كله داعيان الله بأن لا تتكرر
تلك التجربة

همس يستنشقه هواء الحرية ، يستقبل نسماته فاتحا
له ذراعاها : " الحمد لله "

تمت خلفه ترى ريم و عمها ينتظرانها ، يراقبها
تركض كطفل باكي تاه عن أمه ، بكت بين
أحضانها تحمد الله أن خلصها من هذه المحنة

عاد بنظراته إليها ، ابتسم يهرول لأحضانها يقبل
رأسها مطمئنا : " صدقتيني بقى يا أمي ، صدقتي اني
برئ ؟ "

عاتبته بدمعتان سالا على وجنتها ، فمسحهما بأصبع
يعتذر عن أخفائه أمر عمله مع عمه ذكريا ، أنه
اضطر لذلك

قبلت رأسه تشكر ربها على سلامة ابنها ...

سار خلف والدته ، تتعلق عيناه بها تختفي في سيارة
أجرة ، يضيع أثر فتاة القطار بفرار السيارة من هذا
المكان ، نعم هي محنة و مصيبة وقعا بها ، لكنها أحب
بلاء على قلبه ، فهو قريبا اكثر من بعضهما ... تتم
أن يرزقه الله ، ليستطع الزواج بها و الصرف على
إخوته و والدته ، و أن يجمعهما الله ، و يتوج حبه
لها في الحلال

قاطعها صوت الساحر يأمرهم ، يتصل من عهده

لها ، فليس لدجال مثله عهود : " اقتلواها "

اشتعل غضبا بمقتلاه يحوم حولها يعين نفسه حصنا
منيع يهدد : " اللي هيقرب منها هكله بأسناني ..."
زمر كوحش يدافع عن حبيته لأخر رمق ، يستعد
لأكل اعداءه كلهم ، فانضم إليه أصحابه يحاربونهم
جواره بجل قوتهم ، ينخرطون في معركة طاحنة غير

عائلة

، نفدت طاقتهم يحيطهم أهلهم ، يضيقون الخناق
عليهم ، أقربائهم تحولوا إلى اعداء ، ذلك اللعين يتقن
دوره جيدا ، يسيطر على عقولهم يسحر أعينهم ،
يفرق صفوفهم ، يجب قتله ، لكن كيف ؟

أشار المشعوذ لرجاله : " اقتلوهم لكي تعمل التعويذة
أريد دماء ابنائهم لنسيطر على واحتمهم للابد ، و من

بعدها مصر هيا "

تجاوزهم يتجه لنور ، يهمس لها بفرعونية

اخافتها : " يجب ان تراق الدماء لتعمل

التعويذة أعطيني دمايك الآن . "

لم تفهم فرح كلماته لكنها تقهقرت ، تجر جر جسد

صديقتها لعلها تنقذها منه

قال ألفاظ غريبة ، تُخدر جسدها تسحب رأسها في

غياهب الأحلام ، تاركة خلفها نور مرغمة ، تراقبه

الأخيرة بنظرات مرتعدة مترقبة

- "نور "

صياح أطلقه سيف يحاول التخلص من حصارهم لكن لا

فائدة ، كفوفهم تجذبه للأسفل ، تريد وءدهم ...

ابتسمت له و كأنها تودعه تغلق أجفانها بخنوع

لمصيرها

دنى منها الساحر يهم بنحرها بذلك الخنجر

لكن شعاع أزرق يشتعل يظهر قبالتها ، يرسم حلقة

حولها ، يضمها كحصن ناري

تضخم حجمه يدوي صياح قوي من بين طياته ، يرتج

بين جنبات جدران المعبد الشاهقة تبت الرعب أكثر

في قلبه : " مهما فعلتم لتسرقوا تراثنا و تقضون

علينا نحن باقون ، و نحمي إرثنا لئلا يد مهما فعلت أنت

و بني جنسك من السحرة الكفرة ، لن تستطيعون

الوصول لسحر زورستور ، هل تفهم ذلك ...؟ " "

نكتة سوداء نكتت الحجر تلوته ، يتفشى لونه ، حتى

يسود بأكمله مصدرا شحنات كهربية

أردف الصوت يقول : " سيقضي عليك

الجمشت سيقضي عليك " "

ازدادت شحناته تتناحر تصعق الساحر ، يسقط منتفضا

بتألم ، تشتعل نار سوداء بقلبه ، تنتشر كنار في

الهشيم ، تلتهم جثته كاملة

تتلاشى بقاياها متبددة بالهواء

وقع أهل الواحة فاقدى الوعي عدا أبناء الزعماء

دنى سيف يلتقط الحجر الأسود يقربه من نور ، يضعه

بين يديها ، يراقب وجهها الشاحب ، تنقلت منه دمعة

تنزلق على وجنته تهبط على سطحها البارد

يرتعد الحجر يعيد لونه الأرجواني ، يكسب وشومها

توهجا ، تتشابك خيوطها أكثر فأكثر حتى تترايط بقلبها

فيطفو الحجر يثقب جيدها ، يستقر بفؤادها ... ، يعيد

نبضاتها للحياة

جحظت مقلته يراقب ارتعاشة جفنايها..... يراقبها
تشرق بنورها في دنياه تنشر الدفئ و الأمان بعمة
قلبه ، تغذي نباتات امله ، فيتمسك بقراره اكثر
و يهمس بأحرف استقت من دفئ عيناها عشق ،
يفصح عنه : " بحبك"

ادركت ما نطق به بل استشعرت دفئ كلماته ، لا تنكر
تلك الرجفة التي أصابت قلبها ، لكنها لا تعلم إن كانت
حقيقة أم خيال ، فما زال عقلها يسحبه السراب يثقله ،
يخدره ليأتي به في عالمه ، و هو يقاومه يريد الفرار
للواقع ...

و في ظل صراعها بين الوعي و الغفوة ،

شاهدت شيخ أحلامها يقترب منها يهمس : "ما زال
عليك مهام كثيرة ، و أشياء كثيرة عليك تعلمها ، و
أسرار أكثر ستكتشفينها ، و الآن بعد أن اخترتي

طريقك يا نور لا تتخلي عنه ، لا تمنحي إرثك إلا
لأبنائك و بني عشيرتك ... احمي الواحة ، و حافظي
على إرثك ، و حاولي التخلص من كتاب
زورستور و تذكرني دائما اني بجانبك احميكي دائما

"

لوح لها يتلاشى يطمس بين الظلام

استشعرت ذراع يحيط كتفها بل يضمها بالكامل ،
تخبط عبارات فرح بين شهقات بكاء في أذنها : " نور
الحمد لله انك لسه عايشة ... الحمد لله "

ربتت عليها تتطلع خلفها إلي نيرة و هيثم و إياد ، و
ملامح القلق تختلط بفرحة ارتسمت على محياهم

أما هو فكأن الكلمات حبست بفمه ، لا يستطيع

الإفصاح عنها....

تركت فرح تسندها و تحاول مساعدتها على الوقوف ،

ينهض بالمثل ، يتحنح يصرح بهمس : " تتجوزيني

يا نور ...؟ "

قطبت جبينها دون فهم

، داعب خصلات شعره بحرج يكرر طلبه : "

تتجوزيني يا نور ؟ "

رجفة سرت بقلبها ، حاولت السيطرة عليها ، ترد

بارتباك : "أنا ... أنا "

تعلقت عينا سيف عليها ينتظر إجابتها ... مقلهم

المترقبة بفمها ، زادت من اضطراب نبضاتها ، زفرت

تصبغ نبرتها ببعض القوى تأخذ بنصيحة شيخ

أحلامها: " أنا مش موفقة "

انحنى جبينه و حزن خيم عليه ،

استدركت حديثها: " اقصد ، أنى مش هوافق إلا لما

تجيب عم حسين و مراته معاك ، يطلبوا أيدي وكل

الواحة توافق ... "

رفع هامته يتمسك بأمل ، و إن كان الوصول إليها

صعبا ... إلا أنه سيصل إليها ... مستعينا بالله ... فهي

تستحق أكثر من هذا

هزات مضطربة كررتها عدة مرات ، فإذا تعبت يبدلها

بقدمه الأخرى تتناوب عنها ، يأرجحها بتوتر ... يعلم

أن طلبه سيقبل بالرفض ، لكنه سيحاول و يجرب و لن
ييأس.....

- " ما كفاية بقى يا سيف وترتتي "

أوقف اضطراب أقدامه مرغما ، يرتب عبارات منمقة :

" بابا أنا عايز اتجوز"

تهلل وجهه يسأله : " أخيرا قولتها .. أنا هخلي أمك

تكلم والدتها حالا "

هم والده بالنهوض ، فأوقفه مستفسرا : " يا بابا انت

بتتكلم عن مين ؟ "

تجهم محياه ، يخشى من شئ يستشعره في نظراته

التي تشي به : " بتكلم عن بنت عمك ... سهى "

اعتدل سيف بجلسته متحفزا ، يسمي الله قبل أن يلقي

بطلبه : " لا انا عايز اتجوز نور جاد الله "

عقد حاجبيه بغضب : " قصدك الغريبة عن الواحة ،
مش هينفع يا سيف أنت لازم تتجوز بنت عمك ، أو
أي بنت من الواحة "

- " لا يا بابا أنا عايز اتجوز نور ، هي دي اللي بحبها
و مش ممكن اتجوز غيرها "

- " مش بمزاجك ... إحنا بنفذ عادات و تقاليد ... لازم
تتجوز من أهل الواحة ... "

- " بس انا مش هتجوز حد غيرها "

- " ذنبها ايه سهى استنتت عليك كتير خلصت جامعة و
تكون نفسك و كل شوية تطلع بحجة شكل ... "

- " أنا مش بحب سهى ، لو اتجوزتها هظلمها

معايا و أنا مش عايز ابقى نسخة منك يا بابا "

ارتعد صدغه غضبا يقف يشيح بوجهه عنه ، يهرب
بعينيه التي تفضح حنينه لحبه الأول ، صاح به غاضبا
يحاول اخفاء ارتعاش مشاعره : " زي ما قولتلك
جواز من الأعراب لا و أنت هتتجوز سهى برضاك
أو غصب عنك "

غادر يصفق الباب خلفه ، ليسقط سيف يفكر كيف يحل
مشكلته ، و يظفر بنور ، زفر بعزم يتعهد بعدم
الاستسلام للعادات التي تكبله ، سيكمل بحثه عن الحل
و يتزوج رغم عن أنف العادات

الفصل الواحد و العشرون

اعتلى السماءيصعدها على سلالم خفية توقف
يضم يديه إلى صدره مغمض العينان ، يعود يفصلهما
من جديد ، لتخلق بينهما حاجز ضوئي يزداد حجمه ،
ويتضخم يصنع فقاعة كبيرة تموج بين لونين
الأرجواني و البنفسجي ، حوت جبال تحرس وادي
يضم بحيرة كبيرة يشرب منها الكائنات ، تعملت
الفقاعة ، لتضم قطط و ذئاب أخرى ضخام الحجم ،
طوال القامة أقل ما يقال عنهم عمالقة ، ينهشون
بأسنانهم ، جثت حيوانات كثيرة وفرها لهم جيش الملك
الفرعوني لتكون صيد ثمين لهم ،.....

ازداد الحاجز يضم صقورا السماء التي تهبط تأكل من

لحم البقر الشهي

فتح جفنيه ، تتوهج عينيه بقوة ، يعض شفتيه بوهن ،

يخفت شعاع عيناه ، يهبط قابضا على قلبه الذي

ازدادت ضربات نبضاته إيلا ما له

أغمض عيناه يهوى على الثرى ...

يقترب منه الملك و ثلاث رجال خلفه يسألون بقلق

تجلى على ملامحهم المتعبة : " هل أنت بخير ، يا

شابي ؟ "

ارتكن إلى ساعده يستند يجلس معتدلا : " أنا بخير

اطمننوا "

صمت يرتب كلماته ، يحاول اجبار لسانه على قولها :

" مولاي الملك ، يؤسفني اخبارك بأن لا أمل في

شفاءهم إلا "

تعجبه الملك : " ألا ماذا شابي ... اخبرني ... يجب أن

نتصرف ... هؤلاء خطر على أنفسهم و علينا ، إن

تركناهم هكذا سيخترقون الحاجز الذي شيدت ، و

ينطلقون لأكلنا جميعا ليست مصر وحدها ، أرجوك

شابي ... قل لي ما هو الحل "

- "لا يوجد حل سوى استخدام سحر زورستور ،

التعويذة المضادة لها... "

لف الجميع صمت مطبق ، لم يقطعه سوى أحد الرجال

معترضا : " هل تريد أكمل ما فعله الساحر بنا و تعيث

بنا فسادا بحجة أن هذا هو الحل ، و تستولى على

مصر و عرشها أنت مثلك مثل سرجون

اللعين"

علت أصوات الرجال خلفه بين مدافعا له و مهاجم

ضده

و هو لجا للخرس لا يملك ما يقوله ، فأخيه ارتكب

خطيئته و مات ، هو لم يخبرهم أن سرجون من

عشيرته ، أو أنه أخيه ...فقد أخبرهم أنه يبحث عن

سرجون لقتله و سيساعدهم بقوته للقضاء على سحر

زورستور ، لكن لم يتخيل أن سحر سرجون ازداد قوة

ممتزجا بحجره الجمشت ، فأصبحت التعويذة أقوى من

سابقتها لم يستطع كسرها بقوته ، يجب عكس

تعويذته.....

رفع الملك يده فصمتوا جميعا مطأطي الرؤوس ،

يستمعون لأوامره : " شابي ، هو من ساعدنا على

حبس هذه الكائنات هنا في أقصى أراضي مصر ، و
انقذ ما تبقى من المدن يجب أن نثق به قليلا ... و أنا
أعطيته ثقتي ، أفعل ما تراه صوابا "

انحنى باحترام أمامه يقول : " أنا اشكرك مولاي على
هذه الثقة ، سأتي بأحد السحرة من يستخدم ذاك النوع
من السحر لعكس التعويذة لا تقلق ، سنعيدهم لهيئتهم
البشرية "

رفع كفه لتتفرج كرة مشعة يتخلل ثناياها ، تغلق
مبتلعة إياه

اختفى يومان ، حتى حاول بعض رجال الملك التشكيك
به ، الحاجز ضعف كثيرا صار هشاً و كادت الكائنات
العملاقة أن تخرقه ،

و كما ظهر بمصر فجأة ، عاد فجأة ، و جاء معه
شيخان كبيران من أهل توليارا ، كانا من تلاميذ
زورستور تعلمتا السحر على يديه و لكن كفا عنه ،
قرارا العيش دونه معتمدان على طاقة الحجر الكريم ..
شرح لملك مصر انه بحث عنهم طوال اليومان بمملكته
، هما أيضا يستخدمون سحره في الخير كسحرة
مصر ، و أنهم يفتشون على سرجون لقتله ، و عندما
أخبرهم بأن ملك مصر تخلص من سرجون ، وافقوا
على مساعدته ليعم الأمان على كل البلاد ،

اتجهوا جميعا للواحة ،

وقف شابي يضم كفيه لنابضه مغمض العينان لتظهر
كرة تتعلمق و تبتلعهم بجوفها ، تدرجت الكرة تخترق

حاجز الواحة ... تقترب من البحيرة بأمان ، تثبت
ليُخرج أحد الشيخان تراب سحري ، يتلو تراتيله
العجيبه عليه تلمع عيناه بحمرة ، فيتوهج الثرى بين
يديه بحمرة ذاتها ، ينثرها على ماءه ، يفعل الآخر
المثل يشقا جدهما يضيفون قطرات دماءهم فتقلب
الماء محتوياتها وحدها ... تخلطهما ، تمزجها
معا و ما أن انتهيا حتي أشارا لشابي فرفع كرته
في الهواء ،

يراقبونهم يشربون منها.....

مر يومان يجرا أسبوع ، حتى ارتدا الجميع هيئة
بشرية ، و كل واحدا منهم لا يذكر شئ
فاطمئن شابي يتنهد براحة ، و كأن حجر ثقيل جاسما
على صدره تخلص منه الآن ، و كفر عن خطأ أخيه ...

لكن ركضت الأيام سريعا توظف البدر المكتمل من
ثباته....توظف أرواح حيواناته المعذبة التي سكنته
يطلقها على أرض مصر ، فتتلبس أجساد أهل الواحة
يتحولون ذئابها فقط ..يزمجرون بغضب و يهيجون
على أهلها ينهشون لحمهم ...

اندفع شابي و الشيخان يلقون تعاويذ عجيبة ، أرخت
جفونهم ، تلقيهم بهوة ظلام ، فيسقطون منومين تماما

.....

تعاون الجميع على فصل الذئب عن باقي أهل الواحة ،
و أحاطوهم بحاجز وهمي في جنوب الواحة ...

حاول شابي و من معه البحث عن تعويذة أخرى
لتحويلهم ثانية لكن لم يجدوا ، فقرر الملك إعدامهم في
اليوم الثالث ... آخر أيام القمر ...

لكن بعد أن هرب القمر يختطف أرواحه المعذبة لتعتلي
الشمس سماء الواحة ، تمد أشعتها على أجسادهم ،
كأنها تعيد إليهم هيئتهم الأولى ... تعجبوا لذلك ...
فقرر أهل تولىارا أن يعيشوا في الواحة لمراقبتهم عن
كثب

و في أحد الأيام سمعوا مواء قط عالي ، ذهبوا لمعرفة
مصدره ، رأوا قطان عملاقان يتناطحان بروؤس و
عندما سيطروا عليهما ، وحققوا وراء السبب
فهموا أن تشاجر رجلان وتحولا فجأة لهذه الهيئة ،
تكرر الأمر مع الصقور و القطط

و بعد مناقشات كثيرة أثمرت على قرار واحد أن
يفصلوا الواحة عن العالم أجمع ، تعاون شابي مع
الشيخان ، وصعدوا لسماء الواحة يطوقونها بحاجز

يرتلون كلمات حفظوها عن ظهر قلب من كتاب
زورستور ..

فيموج الحاجز أكثر يتبادل ألوانه بين أزرق و
أرجواني و أحمر ناري

.....

بعد أن انتهوا اختفت الواحة عن ظهر الأرض ، و
كانها انشقت و ابتلعها بكائناتها ،

و بدأوا يتبادلوا الآراء و يتجادبون زوايا الحوار ، و
امتدت المناقشات و مراقبتهم

ملاحظاتهم ، إلى أن توصلوا إلى فكرة واحدة و هي
التكيف مع وضعهم الجديد و السيطرة على انفعالاتهم
فالدئاب يتحولون في ليالي البدر المكتمل ، و القطط و
الصقور يبدلون هيئتهم عندما يطلقون العنان

لغضبهم ، و مفتاح اللغز يكمن في التحكم بغضبهم و

جوعهم ،

أخذوا يتضافرون فيما بينهم ليكيفوا اهل الواحة على
تحولاتهم ، و كيفية التحكم بقواهم ، و تقييد غضبهم ،
حتى قطفوا ثمار تدريباتهم و صارت الأمور كما هو

الآن

.....

أغلق أبواب الكتاب الذي عثر عليه هو والشيخ مبروك

في الباب السري وراء الصورة بمكتبة الواحة ،

نظر إلى اللوحة المنشقة نصفان بفخر ، فأهل الواحة

أحبوا شابي ، رسموا صورته على جدار مكتبته

العتيقة ، و سطروا كتاب يحوي تاريخه و أهل الواحة

القديم ، هذا التاريخ الذي طمسته الأيام و الليالي و
نسوه أهلها مع الوقت ، ظل زورستور المنقسم إلى
ثلاث أجزاء كميرات لعين يحرسه زعماء القبائل

شابي له الفضل في ذلك أيضا....

غادر يضم الكتاب لصدرة ينضم لشيخ مبروك ، ألقى
ببصره له يتأمله كم هو يحمل من الحنكة و الهيبة
تحطّان معه أينما ذهب ...

رأسه تحوي على خفايا و دهاليز الواحة بأكملها ، تعج
بمعلومات و تاريخ لا يتحمّله بشر كم يعجب لتحمله
لهذه الرأس العبقري ...

قطع تأمله صوت الشيخ يصيح بهم : " يا أهل
الواحة كلكم شكيتة بنور و صدقته تهمة الساحر
سعفان اللي كان شغال عند عبد العزيز و سرق منه
الكتاب و من بعدها كتابي و كتاب حسين ..."

صمت يتناول كتاب من بين يدي سيف ، يرفعه أمام
أهل الواحة الملتفون حول المكتبة ، يستأنف حديثه :
"النهاردة ببرأ نور جاد الله ... لأنها من أهل تولىارا و
دمها من دم الحكيم شابي اللي انقذ الواحة و أهلها و
كل العالم من دمار الساحر سرجون و أعوانه ...
النهاردة ... أنا بقولك يا نور أنا اسف وكل اهل الواحة
بيتأسفوا ليكي يا بنت الحكيم شابي اتفضلي يا
بنتي ..."

قبلت خديها حمرة خجل .. تتقدم منه بخطوات وجلة ..
تخفض بصرها عن مقلهم المشدوهة غير مصدقين تلك
الحقيقة ...

اعتلت درجتان ، تسير باتجاه الشيخ تثبت قدمها
الهولمية بالأرض تخطف أنظارها الخجلة نحو عيونهم
المصدومة ، أفواهم تزداد اتساعا ، مع كلمات مبروك

الذي يروي لهم تفاصيل انقاذ شابي لواحدهم ، تدريبه

لهم ، محاولاته التي فشلت في حرق الكتاب أو

التخلص منه ، لم يستطع فعل شئ إلا شقه لثلاث

أجزاء ، يمنح نسخه لزعماء ثلاث قبائل ، و كل قبيلة

تتخذ جهة خاصة بها تخفي الكتاب عن الأنظار ..

تحميها بروحها

سجل لهم بعض قوانين منها تحريم لحم البشر ، و

أعطى زعماء الواحة ماسات تحمي حاملها من سحر و

قوة الأحجار ، يقدرون بها الخروج من الفجوة إلى

مصر

دنى مبروك منها يمنحها كتاب زورستور يقول لها : "

حاولي عملي اللي مقدرش يعمله جدك شابي دمري

الكتاب ... "

تردد كفاها في أخذه فشجعها بهزة رأسه ...

تتلمس الكتاب بأناملها ، تستشعر تلك الطاقة الهائلة به

....

أغلقت عيناها ووشومها ترسم بكفيها ترتفع متشابكة
ببعضها ، تتصل بنابضها ليمدها بوميضها المميز
تحلق عاليا يقابلها زورستور ، جاور كفها أخيه ينطلق
شعاعه قوى نحو الكتاب ، لكنه عنيد لم يחדش حتى ،
زاد شعاعها اتساعا تدفعه ليدمره ، و بعد محاولات
هبطت إلى أرضها تجلس خائرة القوى ، متقطعة
الأنفاس تخفت نبضاتها قليلا...

دنى منها سيف يطمئن بقلق عليها : " أنتِ كويسة يا

نور ... "

لم تمنحه سوى إيماءة بسيطة تطمئنه عليها

فطلب الشيخ منها : " اقسّميه زي جدك يا نور و إحنا
هنتولى حراسته .. دي رسالة الزعماء اللي بيتولها
أبنائهم جيل بعد جيل ... "

أذعنت لرأيه ، ترتقي ثانية تطير بين الغيمات
و تعود خطوطها تتشابك و تنفصل ... ينير نابضها
بتوهج جميل تدفع شعاع يديها نحو الكتاب لكنها
فشلت ...

انتفض خافقها يضخ بقواه بين دماغها تنشرها
لأطرافها تزيدها طاقة ، لتزيد خطوط يديها كعنكبوت
يحيك خيوط أكثر ، يغزل غزله يفترش جسدها
بأكمله ، يكاد يطمس على بياض بشرتها و تمتزج
ببعضها فيحيل لون جسدها إلى أرجواني مشع بالكامل

ينقسم الكتاب لأثنان ، فتدفع بأخر ذرات قوى تتمسك
بها ، ينشق نسخة ثالثة يهبط جسدها كنيزك يهم
بارتظام شديد للواحة ،

لكن تلقفتها يدي فرح و عنود ، خفت وهج جسدها
يتراجع لونها ، يتقهقر ليصير خطوط تشع بخفوت ،
استجمعت قوتها تعادل جالسة تراقب هبوطه سلاالم
المكتبة ، دنوه منها ، انحناءه نحوها ، يعيد سؤاله
فتجيبه ذات الإيماء، فيهدئها بسمته الهادئة ، يكرر
مطلبه : " اليوم و أدام كل أهل الواحة ... و أدام أبويا
و أمي.... "

التفتت نور لوالديه ترى بأعين أمه الكره ... والده
تراه صامت يلفه غموض لا تفهمه

، تابع سيف : " تقبلي تتجوزيني يا نور ... تقبلي

تتجوزيني يا حفيدة الحكيم شابي ... "

راقبت أنظارهم مازالت يسكنها صدمة ، وخرس
أصابهم ، لا تعلم هل يقبلون بها وسطهم أم ماذا ؟
كلهم مصدومون عدا والديه منه من يحمل الغموض
بين نظراته ، و منهم من يضرر الغيظ و الكره
بمقلته ، يهم برفض صريح ، لولا اقتراب الشيخ
مبروك يربت على كتف سيف : " و احنا يشرفنا
تناسب بنت الحكيم اللي هو سبب في وجود الواحة بعد
ربنا ... يلا يا بنتي جوبي خلينا نفرح كلنا ... "
ارتحلت عيناها لحسين تراقبه تنفرج ملامحه ، يشرق
وجهه بابتسامة ، يهز رأسه ، فالآن زال هم قبول أهل
الواحة بتلك الزيجة ، فإذا قبل كبيرهم مبروك لن يقدر
أحد على الاعتراض تعجل حسين إجابتها : " يلا يا
بنتي بقى قوليله موفقة ... "

طأطأت رأسها بخجل تهزها ، و على شفاهها ابتسامة
جميلة ...

اطلقت عنود زغاريد متتالية تنافس نيرة ، و انطلقتنا
تضمان نور بفرح ، أما صديقتها فدنت تضمها ، و
تراجعت سريعا ، تنظر نحوها بوجوم تعجبت له
نور.....

"بارك الله لكما و بارك عليكما...."

عبارة اتحدت الألسنة على ترتيلها ، و عيون تعانقت
بسعادة قبل الأذرع ... و أحضان دافئة اغدقوهما بها
فاليوم استطاع الظفر بحبيبه ، فتاة القطار ، اليوم
سيرتل لها كل ترانيم العشق ، سيفصح لها عن مكنون
الذي ينتفض بين أضلعه ، سيبيثها شوقه

اليوم فقط بعد استلامه إرث عمه الذي انقطع عنه نسله
و افترقت عنه زوجاته ، يرث جل أمواله لأبناء أخيه ،
فاستلم حامد و اخوته المطعم بالكامل ، و الباقي كان
من نصيب إخوته من أبيه ، أدار المطعم اشترى شقتان
واحدة لأمه و إخوته ، و الأخرى له و لزوجته
نورين ، عشيقته التي لم يتوانى عن الذهاب لأبيها
الذي عاد من المشفى ينير بيته ، و طلب يدها ، و الآن
أتم كتب كتابه عليها ...

أخفضت بصرها عن نظراته التي يفيض بها عليها ،
حتى يصل إليها بين زحم المهنيين

وقفت بعيدا بطيفها يخترقه البعض ، لا يستشعرون
وجودها غيره ، وحده من خفق قلبه شاعرا بها
يتحسس طيفها حتى ترك ابنته ، ينئي بنفسه عن

الزحم ، يدنو منها بخطوات عجولة ، و خفقات
متسرعة ، و أذرع تتمنى ضمها فلذة كبده الأخرى
تقف أمامه طيف تتوارى خلف عمود ، تتمم بشفاه
مشتاقه لاسمه : "نور "

أطلقت سيول دمعاتها ، تسكبها دون رادع : "بابا ،
وحشتني أوي يا بابا ..."

حاول ضمها إلى قلبه لكن اخترق جسدها وسط شهقته
الغير مصدقة: " أنتِ خيال و لا حقيقة "

سكبت المزيد تجيب : " مش مهم يا بابا المهم أنك أنت

و نورين بخير ... خد بالك من نفسك يا بابا ... أنا
بحبك اوي ... و افكر إني هبقى معاك .. و هنشوف
بعض تاني لو كتبنا الله اللقاء "

- "هشوفك إزاي ...نور أنتِ ميتة و أنا بخرف ، و لا

حية ...نور جوبيني...."

خفت شبحها ، يتطاير مع نسمات رياح كفراشات رقيقة

...

لا يصدق مرأها ، تقدم بخطوات مترنحة يتمسك بقلبه

وسط الجمع ، حتى تفرق الكل ، و رحل كلا إلى

بيته لكن هو استند على يد أخيه يعاونه للوصول

لمضجعه ، فكتب كتاب أقيم ببيته هو رغم ضيق

شفته

غادره أخيه معتقدا أنه حزين لفراق نورين لكنه

مصدوم و حزين على أختها الكبرى نور عينه ، لا

يعرف أن كانت تتنفس تحت سماء الدنيا ، أم ارتقت

روحها لخالقها ، لقد ملت الحكومة من البحث ، تعتبر

المفقودون في عداد الموتى أما خافقه يؤمن

بوجودها ،

ساعتان مضت ، باتت جدارن شقتهما الجديدة تضمهما

... تركته تغلق باب غرفتها جيدا بالمفتاح تتناول

دفترها و صديقها ، تبث بين سطورها عن خباياها و

تفصح عن أسرارها ، تسكب فيه كل شئ دون ان

تسمع اعتراض منه ، فهو حنون و مستمع جيد

لثرائها ...

(سنة أشهر خضت بها معارك كثير ، شققت حاجزي

الزجاجي ، لأنال حرיתי بيدي ، و أشق طريقي بمجال

العمل ...

سنة اشهر أقطع صفحات أشخاص من دفتر حياتي ،

أشخاص لم يستحقوا الدخول بها ، فمن يرافئك

للمصلحة لا يستحق ، و من يضعك بالهامش ، و تكون

في حياته كومبرس بديل لبطل حياته ، افترق عنه ...

نعم سنتألم ، لكن قف ادر ظهرك لهم جمعيا ، اصف

أشخاص يستحق الولوج و اقتحام حياتك ، أناس أنت
لهم بطل من أبطال قصتهم ، أنت لهم في وسط
صفحتهم لا على هامشها ... قبل كل هذا اقترب من
نفسك سامحها أحبها بصدق ، فإن لم تستطع أن تحبها
فأعلم أن فاقد الحب لا يعطيه ... اقترب من ربك أكثر ،
استأنس بعبادتك له ... تجدهم يلتفون حولك يطلبون
ودك ...

درب الحياة ملئ بعثرات و عوائق ... عثراتها تشد
عضدك تقوي ساعدك ، و تعينك على اكتشاف السيئ
حولك و أنت من تختار اقترابهم ، او اثنائهم عنك ،
تعينك على نضج و زيادة معرفتك بدواخلك و ثناياك و
تطوير ذاتك ... فاعبد خالقك ... حب ذاتك قبل أي
أحد ، و خض معركة الحياة بقوى لا تستسلم
لعوائقها ...)

تركت أناملها القلم يخربش يرسم خربشات

كثيرة عادت بذكرها إلى يوم وصلت الأخبار إلى
مسامعها أن القاتل أحد أفراد العصابة ، التي اشترك
معها ذكريا في المتاجرة بالمخدرات ، أيام معدودة و
تبددت ثروته التي كنزها حوله و لن يأخذ منها قرشا
واحد يسانده في قبره ، بل ذهبت لابناء أخيه ، تعجبت
من انتقام الله منه ، تحمد الله على تعويضه لحامد و
أسرته و لها

شعرت بهمسات خلفها تقرأ ما كتبت ، فالتفتت إليه
تشهق برعب .. ابتعد خطوتان يربت على يدها يهدأها
يسير بها نحو الفراش ، يدس يده بأحد أدراج المنضدة
جوار سريره يخرج دفتر أزرق

فتمتت باندهاش : "مذكراتي "

عقدت حاجبها تسأله : " إزاي لقيت الدفتر بتاعي أنا

دورت عليه كثير ملقتهوش ؟ "

اهداها بسمه هادئة يخبرها بقصته مع فتاة القطار ،
لتعلم أن خافقه دق لها من أول دمعة انسابت على
وجنتها تواسيها بقطار يعج بخلق لم يشعر بها سواه ،
و أطلق اول نبضة عشق مع أول كلمة سلمت على
عينيه ، و أول رسمة لاقت بصره تروي له حكايات
عن فتاة القطار

" بس يا ستي .. و من يومها و قلبي وقع في حب فتاة

القطار ... ها يا فتاة القطار مش هتقوليا بقى "

عصرت أصابعها تشعر بأن خجلها وصل عنان

السماء ، و نبضات خافقها تزداد قرعا تكاد تصل

لمسامعه ، دنى منها يترجاها قولها ...

لتقولها بهمس خافت سريع : "بحبك ..."

تعيد بأحرف نبضات توقفت دقائق لسماعها ...

اتسعت ابتسامته يتناول يدها يبدآن معا حياة يملئانها

حب ، يعينهما على أحزانها و أفراحها ... يسقيان به

زهورهم القادمة

استمرت حياتهم بين جد و هزل ، حزن و فرح ... أيام

تمضي يتعاونان على دراسة و ادارة المطعم ، و أهلها

يساعدونهما على ذلك ...

قفز بجسده لسطح الآخر ، وثبة أخرى و يسبقها لنهاية

السباق ، لكنها سبقته تهبط جواره ، تسند جسدها على

فرائه تقول بانتصار : " سبقتك تاني مرة"

دنى برأسه العملاقة يجيبها : " على فكرة ده مش
عدل حضرتك بطيري و كل مرة تسبقيني ... ، آخر
مرة نعمل فيها سباق "

ابتعدت عنه تتودد إليه بنبرتها السحرية : " لا خلاص
هسيبك تفوز المرة اللي جاية يا سيف ... "
ضيق عيناه الذئبية يوافقها بأذعان تام : " خلاص
ماشي ... "

رقد مستندا على قائمته الأماميتين ، فارتكنت بالقرب
من نابضه تسأل : " أنا لو ما كنتش حفيدة شابي ،
كنت هتجوزني بردو "

راقب سطوع البدر المكتمل ، يصب فضيته بماء الواحة
مما يبث سحر في ليل ...

أجابها مأخوذ بسحر ما حوله : " لا ، كنت هتجوز

سهى بنت عمتي "

وكزته بقائمته ، فتأوه ينظر إليها باعتذار يجيبها دون

مزح : " لا كنت هضرب عن الجواز ، لحد ما أبويا

يعطف عليا و يجوزني ليكي قبل ما أعنس و يفتني

قطر الجواز "

ضحكت على مزحته ، دنى برأسه لها يستطرد : " أه

صحيح عاملة إيه مع أمي الأيام دي ؟ حساس إنها

هادية مش زي عاداتها "

جاهدت تخفي ابتسامتها بصعوبه تجيبه بنبرة تحاول

اضفائها جدية : " حماتي ، ممكن تقول أننا بدأنا

نتفاهم "

مر شهران على زواجهما بمباركة الشيخ مبروك و

أبيه ، و تحت نظرات أمه الكارهة لها ، تعلم إنها

ما زالت تعدها ساحرة لعينة ، أخفت بسمتها الشريرة ،
فهي أخذت هذه الأيام تعبت معها ، و ترتدي عبائة
الإخفاء التي تصنعها بوجهها كما علمها شيخ
أحلامها ، و تحرك الأشياء ، و تصدر أصوات تخيف
بها حماتها الفاتنة فترعبها ، تركض صائحة تستجد
بحسين الذي اعتقد أنها تخرف

- " لسه بردو صاحبك فرح مش عايزة تتجوز هيثم ؟

"

أخفضت بصرها تتذكر ردة فعل صديقتها عندما أتى
إليها هيثم و عم حسين يطرق باب شقتهم ، فتحت هي
لهم ... جلسوا جميعا يطلبون يدها أما فرح ردت بتلعثم
:"... أنا... أنا هقوم اعملكوا شاي ... عشا عشان

الشاي ده شكله برد "

أصابهم عدوة التعجب منها ، و كرروا طلبهم ،
فرفضت بعجالة تهم الخطى لحجرتها ، تترك نور تتعثر
بأحرف الاعتذار ...

تذكرت أيضا كيف أنها حذرتها من زيجتها من سيف ،
بحجة أنها لن تدم و ستطلق بعد أن يترك لها جرحا
كبيرا لأن أهله و والدته لن يوافقوا عليها ...

اطلقت زفرة طويلة تخبره بقرار صديقتها : " لا لسه
مش موافقة "

- " ليه ؟ "

- " ممكن تكون بتحسبها بعقلها أكثر ، و أنها مش
ضامنة أن جوزتهم هتحصل أصلا "

- "و أنتِ تفتكري هيثم هيستسلم ... لا ده لما يحط

حاجة في دماغه يفضل وراها لحد ما ينفذها ، و أنا

بقولك إن شاء الله هيتجوزها "

اطلقت ضحكاتها الرنانة تصعد سحب السماء فيرددوا

صداها ، تعجب ينظر إليها : " مالك بتضحكي كده ليه

يا نور ؟ "

حاولت التحكم بضحكاتها تجيب : " أصل في واحد كان

بيقول "

ضخمت احبالها الصوتية :

"بحبك و هتحبيني بخاطرك أو غصب عنك ..."

اشاح ببصره يوزعه بأنحاء الواحة عداها ، و قد نال

منه الخجل ما نال : " مين اللي قال كده "

- " أنت اللي كنت بتقول كده لما كنت نايمة في

لغيبوبة "

- " أنا ... أنا "

قالت تشاكسه تبتعد عنه : " أنا سمعت كل حاجة

متحولش تنكر "

ركض خلفها على السطح ، يحاول القبض عليها وسط

ضحكاتهم المتناثرة حولهم ...

بعد شروق الشمس و عودته لهيئته البشرية عادا

للبيت ، ارتمت على فراشها بتعب ، تتذكره ، فهي لم

تتحى صورة أبيها و دموعه الغير مصدقة لوجودها ،

فقد استطاعت الإنتقال بطيفها من الواحة فرأت ،

نورين ترتدي فستان أبيض ، تتزوج بمن أحبت ،

نظراتها تملئها حب و فرحة... ازالتمدعاتها التي

سالت على وجنتها ...

- " سوف تذهبين إليهم ثانية لا تقلقي "

اعتدلت تراقب هيئته البيضاء ، إنه شيخ أحلامها عاد

من جديد بعد شهران غياب

- " عدت أيها الشيخ "

- أوما رأسه يطمئنها : " نعم عدت ... نور "

هممت له ، فأكمل حديثه : " إياك و أخبار أحد

بالحقيقة "

- " عن أي حقيقة تتحدث ...؟ "

- " عن أنك حفيذة سرجون و الساحرة ، فإن علم

أحد ، سيقتلونك نور ... "

أشارت لزوجها الراقد بأحلامه و لم تكذ تسأل ، قاطعها

يؤكد : " حتى سيف لا تخبريه دعيهم يعلمون نصفها ،

أنك من أهل توليارا ، و حفيدة شابي أخو سرجون

هو جدك أيضا "

أومات له و هي ترتعش خوفا من تخيل أنهم عرفوا

بتلك الحقيقة

عاد الحزن يعتلي ملامحها تسأله : " أنا لم أستطع

إنقاذ الواحة من اللعنة التي اصابتهم؟ هل سيظلون

هكذا يعانون منها ؟ "

دنى منها يجيبها بحكمته : " إنها ابتلاء لهم ، و هم

استطاعوا تحويله إلى نقطة قوى و ليس ضعف ، إنهم

أقوى بشر على الأرض ، لا تحزني على زوجك نور ،

فهو من أقوى البشر ، و أنت كذلك يا ابنة توليارا "

ابتسمت بجزل تسأله : " لكن لم تقل لي من أنت ...؟

"

اهدها بسمة يشرح لها : " تستطيعين القول انني
الواحة ذراتي منثورة بين ترابها ، و هواءها ، لا يهم
من أنا نور ، المهم انك تكملين الطريق و تسيرين على
الدرب ، سأظل معك و أرشدك حتى تؤدي

رسالتك هيا بنا ! "

- "إلى أين ؟ "

- "هيا لتعرفي ! "

رأت فقاعته اللمعة يقتحمها بنصف جسده ، يمد يده

لها مشجعا لتتناولها : "ثانية "

- "نعم فطريقك لم ينتهي بعد "

تمت بحمد الله

١٢ مايو ٢٠٢٢

انتظروا الجزء الثاني قريبا

